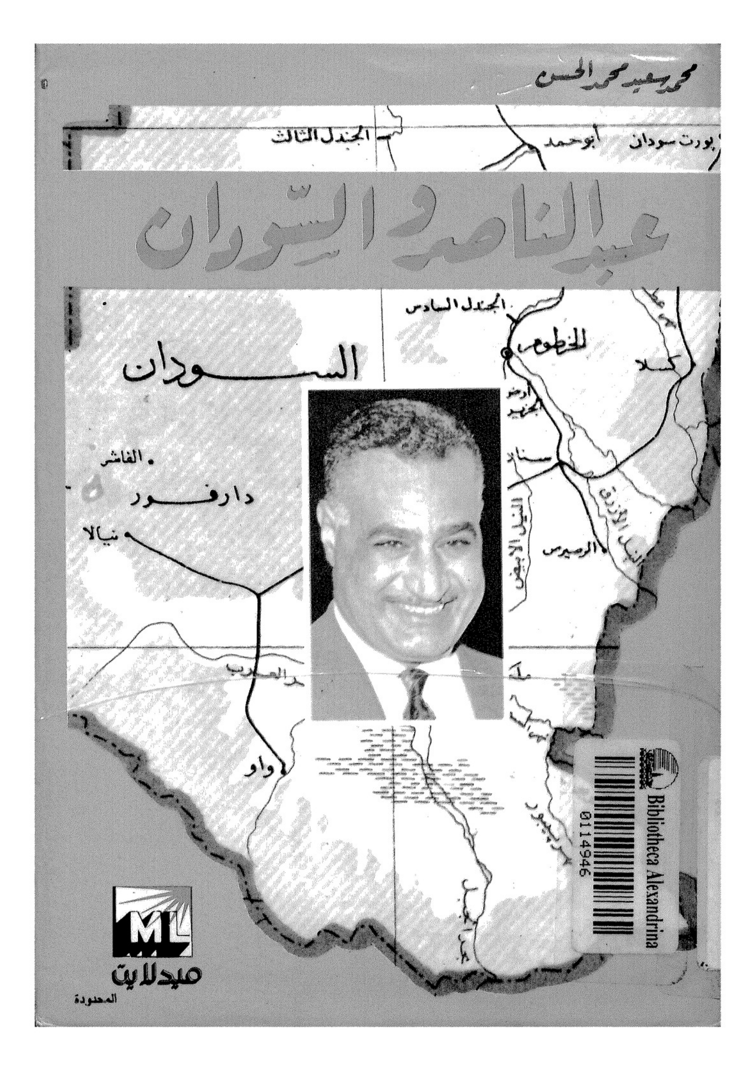
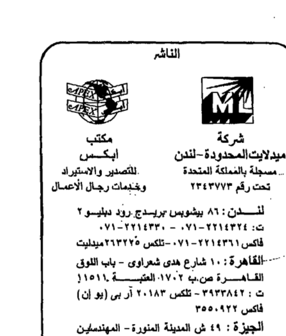

محمد سعيد محمد الحسن
عبد الناصر والسودان
الجندل الثالث
أبو حمد
بورت سودان
الجندل السادس
الخرطوم
كسلا
السودان
الفاشر
دارفور
نيالا
الروصيرص
واو
ميدلايت
المحدودة
Bibliotheca Alexandrina
0114946

عبد الناصر والسودان

الناشر



شركة
ميدلايت المحدودة - لندن
مسجلة بالمملكة المتحدة
تحت رقم ٢٣٤٣٧٧٣

مكتب
ابكـــس
للتصدير والاستيراد
وخدمات رجال الأعمال

لنـــدن : ٨٦ بيشوبس بريدج رود دبليو ٢
ت: ٠٧١-٢٢١٤٣٢٤ - ٠٧١-٢٢١٤٣٣٠
فاكس ٠٧١-٢٢١٤٣٦١ - تلكس ٢٦٣٢٢٥ ميدليت

القاهرة : ١٠ شارع هدى شعراوى - باب اللوق
القاهـــرة ص.ب ١٧٠٢٠ العتبـــة ١١٥١١
ت : ٣٩٣٣٨٤٢ - تلكس ٢٠١٨٣ آر بى (يو إن)
فاكس ٣٥٥٠٩٢٢

الجيزة : ٤٩ ش المدينة المنورة - المهندسين
ت : ٣٤٩٥٣٥٠ - ٣٤٩٧٠١٠
فاكس : ٣٤٩٧٠١٠ - تلكس : ٢٠٦٩٠ APEX

الشارقة : ص.ب ٩٠٩ الشارقة - الإمـــارات العربية المتحدة

الخرطـوم : الخرطوم بحرى - شارع شمبات شرق مدارس الازدهار ص.ب ٣٥٣ - ت: ٧٢٤٥٥
- الخرطوم شرق - مربع سان جيمس شارع عطبرة ص.ب ٨٨٨ ت : ٧٢٦٢٧ - ٨١٤٩٣

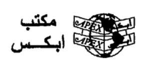
الطبعة الاولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

محمد سعيد محمد الحسن

عبد الناصر والسودان

● الناشر ●





بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

إلى والدى محمد الحسن محمد سعيد بكل ما يرمز إليه من أبوة وأصالة وصلابة ، فقد ظل مؤمناً بوحدة وادى النيل ، وبالكفاح المشترك والمصير المشترك ، ولقد كان والده « وفدياً » مع زعامة سعد زغلول ، وظل هو وفدياً مع زعامة مصطفى النحاس ، وساند ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة اللواء محمد نجيب ثم بقيادة جمال عبد الناصر التى اعترفت بحق تقرير المصير والحكم الذاتى للسودان ، وظل مؤمناً بأن قوة مصر بالسودان وقوة السودان بمصر .

كانت قضية الوطن تشغل كل فكره ووجدانه ، ومنه تعلمنا ، وانتفعنا .

أسبغ الله عليه شآبيب رحمته وأنزله منزلة الشهداء والصديقين والمجاهدين وحسن أولئك رفيقاً .

تمهيد

على الرغم من كثرة ما نشر عن جمال عبدالناصر، فان احداً، لم يتناول علاقة عبدالناصر بالسودان، ولا السودان بعبدالناصر، رغم انها حفلت بالكثير من الوقائع والاحداث والازمات، والتي ادت بدورها الى تحولات ومواقف حادة، واحيانا متشابكة ومتعارضة الى حد المواجهة والحرب.

كما أن احداً لم يتناول فترة مهمة من حياته، وهي فترة عمله في السودان من مطلع عام ١٩٤٠ الى عام ١٩٤٣، مع أنها تمثل جزءاً خصباً وحيوياً اسهم بشكل مباشر في تشكيل تفكيره، وتعامله، وفي تقويم كل امر يتصل بالسودان والسودانيين، ثم انها شكلت تجربته وخلفيته السياسية. كذلك فأن هذه العلاقة، ومن خلال حقائق ومواقف ووقائع مباشرة، تميزت بالخصوصية حيث كان موقف السودان حكومة وشعبا، وردود فعله نحو أي قرار أو موقف أتخذه، والشواهد على ذلك ايضا كثيرة وعديدة.

• • •

واعترف أنني عندما اعتزمت قبل ثلاث سنوات تناول العلاقة بين السودان وعبد الناصر، وجدت نفسي امام مهمة بالغة التعقيد والمشقة، تبدأ بوجوب الاطلاع على كل ورقة، وملف، ومذكرة، ووثيقة، وحديث أو تصريح تناول بشكل مباشر السودان وعبد الناصر. ورأيت الاعتماد على المصدر السوداني وحده، وعلى الجانب الذي عرفته، وسمعته، وسجلته مباشرة من الشخصيات السودانية التي كانت على اتصال بجمال عبد الناصر. وطالعت ايضا العديد من المذكرات التي كتبها سياسيون، ومؤرخون، وصحفيون سودانيون ممن شهد لهم بالمعقولية والموضوعية مثل محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان حتى ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٩ وكان صديقا مقربا الى عبدالناصر، وخضر حمد وكان وزيراً في اول حكومة وطنية والسكرتير العام للحزب الوطني الاتحادي وعضو مجلس السيادة حتى ايار (مايو) ١٩٦٩، وعلي عبد الرحمن نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الاسبق، وحسن عوض الله نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وعبد الماجد ابو حسبو وزير الاستعلامات وقطب الحزب الوطني الاتحادي، وامين التوم وزير شؤون مجلس الوزراء حتى عام ١٩٥٨ واحد مستشاري الصادق المهدي رئيس الوزراء، وقبلها كان مستشارا لوالده الصديق المهدي. كذلك اطلعت على كتاب الصادق المهدي عن جده عبد الرحمن المهدي ومحادثاته في مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو ولقاءاته مع عبد الناصر، ومذكرات محمد سليمان وهو مؤرخ عمل سفيراً للسودان في مصر حتى عام ١٩٧١، واحمد سليمان الذي كان وزيراً في حكومة ثورة اكتوبر ١٩٦٤ وصديقا لجمال عبد الناصر، وايضا مذكرات بشير محمد سعيد رئيس اتحاد الصحافيين السودانيين الاسبق والمستشار الاعلامي للمجلس العسكري الانتقالي، ومحجوب محمد صالح، ومذكرات اخرى عديدة.

الى جانب ذلك قمت بالاستعانة بدار الوثائق السودانية، وبالاطلاع ايضا ـ باذن خاص ـ على ملفات مجلس الوزراء في الفترة من ١٩٥٤ الى عام ١٩٦٦، للتأكد من مناقشات وقرارات ذات صلة بالعلاقات السودانية ـ المصرية، وايضا الاطلاع على مجموعة ملفات بوزارة الخارجية السودانية، وعلى مذكرات اسماعيل الازهري رئيس اول حكومة وطنية في السودان.. الى ذلك اطلعت على مجموعات الصحف السودانية، وبشكل خاص المستقلة منها، مثل مجموعة «الرأي العام» ومجموعة «الايام» (صحيفة الرأي العام أسست في عام ١٩٤٥ والايام عام ١٩٥٣). كما اطلعت ايضا على المذكرات والأوراق التي احتفظ بها بعض السودانيين ممن كانت لهم صلة بعبدالناصر وبالعلاقات السودانية ـ المصرية وبالعمل العام ايضا.

واعتمدت ايضا على ما سجلته شخصياً من احداث ووقائع عاصرتها منذ عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٧٠ خصوصا هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ومداولات الجمعية التأسيسية (البرلمان) في السودان بشأنها ثم مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الخرطوم في آب (اغسطس) ١٩٦٧ وما دار في جلساته المغلقة، ثم زيارات عبد الناصر الاخيرة للسودان في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ثم في أيار (مايو) ١٩٧٠.

وأضفت الى هذه الحصيلة لقاءات مطولة مع شخصيات سودانية اخرى، لأنها كانت طرفا في واقعة أو موقف أو حدث، واستعنت بوثائق مازالت مطوية، كما حصلت على كل التصريحات التي ادلى بها عبد الناصر عن السودان في الفترة من ١٩٥٤ الى ١٩٦٢. والتقيت بالسيد محمد عثمان الميرغني وايضا بالسيد الصادق المهدي، ليس لأن الاول هو زعيم الحزب الاتحادي الديموقراطي، ولا الثاني باعتباره رئيس الوزراء ورئيس حزب الامة، ولكن لأن عبد الناصر ظل على صلة وطيدة بالسيد علي الميرغني والد السيد محمد عثمان باعتباره القيادة التي ظلت منادية بالاتحاد مع مصر، ولصلة عبد الناصر بآل المهدي وبحزب الامة، ولانهما ايضا عرفا عبد الناصر جيداً وتعاملا معه، وكانت لكل منهما مواقف محددة ومحاورات مباشرة معه، ولانهما يمتلكان حساً تاريخيا، ويعرفان بشكل خاص اهمية ودقة ما طرحاه من معلومات ووقائع بما فيها الاجابة عن سؤال افتراض هو: لو أن العمر امتد بعبدالناصر هل كان النظام المايوي في السودان بقيادة المشير جعفر نميري استمر على الحالة أو الصورة التي انتهى بها؟ وهل كانت العلاقات السودانية ـ المصرية على ما هي عليه الان؟

● ● ●

مع مطلع عام ١٩٤٠ واتساع نطاق الحرب العالمية الثانية، اخذت القوات الالمانية، في اكتساح دول اوروبا والتهامها الواحدة تلو الاخرى، وطائراتها تقذف المدن البريطانية بالقنابل

الحارقة مخلفة وراءها سحباً سوداء من الدخان والدمار، وقواتها اخذت طريقها الى الصحراء بقيادة الجنرال روميل الذي لقب بـ «ثعلب الصحراء» متجهة الى منطقة العلمين في مصر حيث واجهت قوات الحلفاء بقيادة الجنرال مونتغمري البريطاني.

أما القوات الايطالية فقد اجتاحت الحدود الى ليبيا، واثيوبيا واريتريا، وبلغ عدد قواتها انذاك ثلاثمائة الف جندي، وراحت تشن غارات متلاحقة على مناطق الكرمك والدمازين حتى امكنها الوصول الى مدينة كسلا شرق السودان، وكانت تهدف الى غزو السودان بأكمله لتكتمل خطة التطويق أو «الكماشة» من ناحيتي الشمال الغربي والشرقي، وبالتالي يسهل الطريق الى دخول مصر.. وكان قائد القوات الايطالية متبجحا عندما وصل الى مدينة كسلا وقال، انه سيتغدى في اليوم التالي في الخرطوم، وبعدها نحو القاهرة.

وهكذا اصبح السودان، من دون اختيار أبنائه، في حالة حرب فعلية، اذ سارعت الادارة البريطانية ممثلة في الحاكم العام البريطاني، باعلان حالة التأهب القصوى، واصدار قرارات استثنائية، ففرضت حظر التجول، والظلام التام على جميع مدن السودان، وفرضت الحراسة المشددة على الكباري والجسور الرئيسية في البلاد، وطبق نظام توزيع المواد التموينية بالقوائم او بالبطائق، ووضعت الادارة البريطانية يدها على الماشية والمنتوجات الزراعية وجعلت الاولوية لقوات الحلفاء لتزويدها باحتياجاتها، اذ كانت تأتي عابرة الى مواقع القتال من مناطق مختلفة، وراحت انذاراتها تتوالى اثناء النهار، واثناء الليل ليهرع المواطنون نحو الخنادق، او ليتواروا خلف الاكمات ويظلوا في اماكنهم حتى سماع صفارات اخرى، باخطارهم بالامان، وانتهاء الغارة الجوية.

• • •

وقتها لجأت الادارة البريطانية ايضا الى التجنيد الاجباري، اذ جمعت الشباب من المدن السودانية لتدريبهم على حمل السلاح، والاعمال الميدانية ليتم ارسالهم الى جبهات القتال، او ليكونوا مستعدين للدفاع عن مناطقهم، واحكمت رقابتها على المثقفين والمتعلمين الذين اعتبروا السودان، بلداً، ليس له صلة بالحرب، وكانوا في دواخلهم يبدون السرور بانتصارات الالمان والايطاليين نكاية بالبريطانيين والفرنسيين! وبعثت الادارة البريطانية بالقوات السودانية (قوة دفاع السودان) وكانت مكونة من اربعة الاف ضابط وجندي الى شرق السودان لاسترداد مدينة كسلا وطرد الايطاليين، والاشتراك مع قوات الحلفاء في دحر قوات المحور في اثيوبيا واريتريا وليبيا.

ورغم ان الادارة البريطانية، لم تكن تفكر في انشاء محطة اذاعة بالسودان، الا انها وجدت ان مصالحها في ظل ظروف الحرب تفرض انشاء هذه المحطة لبث النشرات الاخبارية، والتعليقات



العلمان المصري والبريطاني على ساريتي الحاكم العام في الخرطوم وجود شكلي

والاناشيد والاغاني لشحذ الروح المعنوية والاسهام في التعبئة العامة لمواجهة مقتضيات الحرب، وايضا لمواجهة البرامج والتعليقات التي تبثها الاذاعة النازية في برلين والتي تحرض السودانيين وتؤلبهم على الادارة البريطانية.

وخلال فترة وجيزة، وبامكانات محدودة، قامت (هنا ام درمان) لاذاعة البيانات الرسمية، واخبار الحلفاء والحرب.

وفي هذه الظروف التي اتسمت بالتوتر وحالة الحرب التزمت القوات المصرية بتوجيهات قيادتها في القاهرة، والتي شددت على التواجد داخل الثكنات وعدم الظهور في الاماكن العامة والنأي عن اي نشاط. وكانت القوات المصرية موزعة على مناطق عدة في الخرطوم وشندي،

وبورسودان، وملكال حيث منشآت الري المصري في الجنوب.

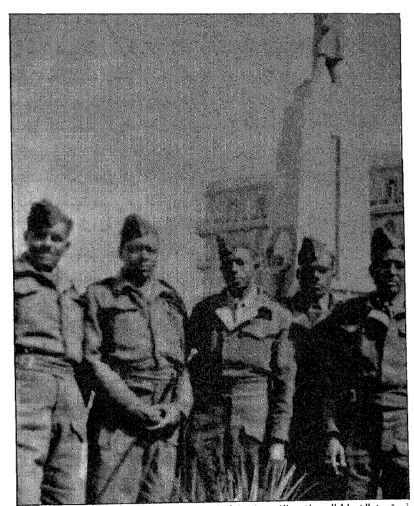
وفي هذا الجو المشحون بالحرب في الداخل والخارج، جاء الملازم اول جمال عبد الناصر حسين ليتولى عمله كمساعد لقائد الكتيبة المصرية الاول في الخرطوم، كان طويل القامة، ضامر الجسم، صامتاً، مراقباً لما حوله وامامه، ومتابعاً باهتمام شديد لجولات الاداريين البريطانيين الميدانية، وقد امتطوا خيولهم، ومن خلفهم يأتي مساعدوهم، ثم المسؤولون المحليون، فرجال البوليس، وكانت تلك الجولات تأخذ شكل المواكب الرسمية كمظهر من مظاهر السلطة وارهاب المواطنين الذين كثيرا ما سارعوا الى اخلاء الطريق او الميادين حتى لا يتعرضوا لمهانة الوقوف او الحديث مع اي من الاداريين البريطانيين.

وكان شديد الدهشة لرؤيته سرايا الحاكم العام، وقد اخذت موقعها المطل على النيل وقد رفع على الساريتين، العلم البريطاني والعلم المصري، وحول السرايا او بجوارها، منازل كبار المسؤولين والمستشارين البريطانيين التي اقيمت على ارض مساحتها فدانان اي نحو ٤٢٠٠ متر مربع، وقد بنيت على الطراز البريطاني، وزرعت ميادينها، وارتفعت اشجارها، وخصص جانب منها للعب كرة السلة والتنس، والهوايات الاخرى وايضا صالة للموسيقى والرقص، وكانت جميع احتياجاتهم تأتيهم من لندن مباشرة.. ومن دون تأخير.

وكان يغيظه كل صباح منظر رفع العلم البريطاني والعلم المصري على المباني الرسمية ثم انزالهما في المساء، وكان يقول: «ان مصر لا تحكم ولا تشارك، انهم مجرد وجود رمزي في الثكنات، وفي مباني الري المصري»

وفي هذه الفترة ايضا، وصل علي ماهر باشا رئيس حكومة مصر وبصحبته صالح حرب باشا وزير الدفاع، وعبد القوي احمد وزير الري الى الخرطوم، واحست الادارة البريطانية بقلق شديد من وصوله المفاجيء الى الخرطوم، خصوصاً وانها كانت مشغولة تماما باوضاع الحرب واحتمالاتها. كما ان علي ماهر باشا لم يظهر اي تعاطف مع بريطانيا في الحرب.

واعدت له الادارة البريطانية برنامجاً لزيارة عدد من المواقع السودانية، ولكنه رفض البرنامج، كما رفض الاقامة في دار الضيافة الرسمي وفضل الاقامة مع وزيريه في منازل الري المصري التي تقع على قمة جبل اوليا، وحيث تعسكر ايضا القوات المصرية في ثكناتها في جبل اوليا، والتي تبعد نحو ٤٥ كيلومترا عن الخرطوم. ووجد المثقفون الفرصة سانحة لاظهار مشاعرهم نحو مصر، فأقيم له حفل تكريم في نادي الخريجين في ام درمان حضرته جماهير غفيرة، وسلمت اليه مذكرة علنية، وفي الوقت نفسه سلمت اليه مذكرة سرية حملها اليه ليلا في مقر اقامته نصر حاج علي ـ شغل فيها بعد منصب اول مدير لجامعة الخرطوم بعد اعلان الاستقلال ـ.



فريق من الضباط السودانيين الذين حاربوا في فلسطين يزورون القاهرة

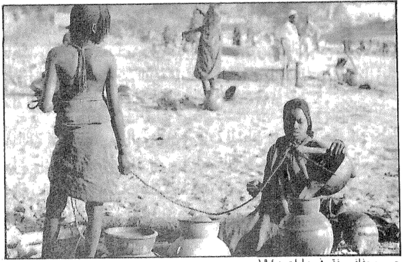
واشتملت المذكرة السرية على كشف مخططات الادارة البريطانية في السودان، وظهر لعلي ماهر باشا ان شكوكه نحو التنظيم السوداني (مؤتمر الخريجين) لم تكن صحيحة، وانه تنظيم وطني يعمل من اجل رفاهية ومصلحة السودان.

وظل جمال عبد الناصر مهتما بهذه الزيارة آنذاك، يتسقط اخبارها من المصريين في القيادة او في الري، الى جانب ما سمعه من السودانيين.

ولاحظ السودانيون الذين عاصروه آنذاك، شغفه وولعه بالقراءة والاطلاع حيث كان يمضي وقته بين الكتب والمجلات، وقد تعرف الى تاجر خشب يدعى حاج احمد الذي كانت تصله الصحف والمجلات المصرية بانتظام، فيطالعها معه اولا بأول، ويجري معه مناقشات طويلة



جمال عبد الناصر في السودان: نمو بذور الثورة



حرب وجفاف وفقر في بدايات ١٩٤٠

حول الاوضاع في مصر، اذ كان للتاجر السوداني المام واسع بالاحزاب المصرية وقياداتها، ومثل كثير من السودانيين، فانه كان من المتحمسين لحزب الوفد، وكثيرا ما استضاف حاج أحمد، عبد الناصر في منزله المتواضع بالخرطوم في عطلة نهاية الاسبوع (الخميس)، حيث كان يضع امامه المجلات والصحف، فيظل يطالعها حتى صباح اليوم التالي.

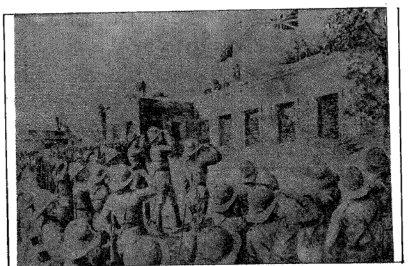
ويذكر الذين عرفوه في تلك الفترة المبكرة، انه كان على صلة برجل اسمه محمد محمود في جبل اوليا، وقد خصه بزيارات متعددة في منزله القريب من ثكنات الجيش. وكان يتناول معه القهوة التي تعد على الطريقة السودانية، ويبقى معه حتى موعد الغروب، فيؤدي صلاة المغرب ثم يودعه عائدا الى مقره، وكان احيانا يرافقه زميله وصديقه عبد الحكيم عامر، الذي كان يفضل قضاء وقته في صيد الاوز.

وروى الخليفة محمد محمود، انه في ذات مرة جاء منجم ممن يدعون وضع (الاحجبة) للحيلولة دون وقوع شر او مكروه، وابلغ عبدالناصر اثناء جلوسه امام منزله، ان لديه (حجابا) يحمي حامله او من يقتنيه من الرصاص، وان ثمنه عشرون جنيها، وابلغه ايضا ان عددا من زملائه الضباط والجنود قد اشتروا منه «الاحجبة» وتظاهر عبد الناصر بالاهتمام والاقتناع، وطلب من الخليفة محمد احضار البندقية (الخرطوش)، وتساءل الفلكي عن سبب طلب «البندقية»، فرد عبد الناصر، انه قرر شراء «الحجاب» ولكن بعد تجربته، فسأله للمرة الثانية، كيف؟ فاجاب عبد الناصر، بوضع الحجاب على رأس الحمار، وتصويب البندقية نحوه، فاذا لم تحدث اصابة، اعطاه العشرين جنيها ثمن (الحجاب) واذا مات الحمار، اخذ «حجابه» وذهب!!

ورفض الفلكي المجازفة، فأخذ حماره، وذهب وهو يردد «ده اول مصري يطلب اختبار حجابه»! وقال الخليفة محمد، ان عبد الناصر، كان ودودا في علاقاته مع السودانيين الذين تعرف اليهم في جبل اوليا، وانه عندما اكمل فترة عمله مع القوات المصرية بالسودان ـ ثلاث سنوات ـ وحان موعد عودته الى مصر، حرص على وداع كل من عرفه منهم، وانه ترك لديهم انطباعا طيبا، وقد فوجيء العديد منهم بأن عبد الناصر قد بعث رسائله اليهم عن طريق السفارة المصرية في الخرطوم، وإلى عناوينهم القديمة مما يشير الى احتفاظه بها، للالتقاء بهم إبان اول زيارة رسمية له الى السودان في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٦٠.

● ● ●

وجاء اللقاء الثاني لناصر مع السودانيين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ حيث كان ضابطا برتبة صاغ، واشترك في معارك عدة، وجرح في احداها بالفالوجا، وكانت القوات السودانية مرابطة بالقرب منه، وتقوم بعمليات فدائية ضد العدو الاسرائيلي، وبلغ عدد من استشهدوا من الضباط والجنود، ٤٤ ضابطا وجنديا، وقد توطدت صلته بهم، اذ كان يتبادل معهم المعلومات



ج كتشنر يحيى العلم
رفع العلمين المصرى والإنجليزى
على السراية عند افتتاح
الخرطوم



تمثال
الجنرال كتشنر
في الخرطوم
اثبات الوجود

عن العدو، وقد روى جمال عبد الناصر للاستاذ عبدالله الحسن (نقيب المحامين السودانيين) انه عرف الضابط بشير بادي، حيث توسم فيه النبل والشجاعة الفائقة، وقد ابلى بلاء حسنا في معارك عدة، وانه في واقعة عراق المنشية، اصيب ضابط مصري بطلق ناري، ورغم الظلمة الشديدة والتراشق الناري، فان الضابط السوداني بادي، هرع نحو الضابط الجريح وحمله على كتفه، وفيما هو عائد به، أصابه طلق ناري من العدو الاسرائيلي، فواصل سيره، وبعدها سقط مضرجا بدمائه، وفارق الحياة.

وقال عبد الناصر، لقد استشهد امامي الضابط الشجاع بادي، وعاش الضابط المصري

الذي كتبت له الحياة.

ووصف هذا المشهد، بانه صورة نادرة عن الشجاعة والايثار والبسالة الفذة، تعكس روح الجهاد والفدائية لدى السودانيين الذين استحوذت عليهم فكرة الجهاد في سبيل الله والوطن، فراحوا يتسابقون نحو الشهادة.

اما سبب الاشارة الى هذه الواقعة، فلأن عبدالناصر التقى بالاستاذ عبدالله الحسن في الاسكندرية، فسأله عبد الناصر من اي منطقة هو من مناطق السودان، فرد عليه، بانه من الشمالية، ومن مدينة شندي، وهي المدينة نفسها التي انتمى اليها الشهيد بشير بادي، فروى عبد الناصر له هذه الواقعة..

كيف جرى اللقاء الثاني مع السودان؟

حق السودان بالاستقلال

من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٢، تدفقت احداث كثيرة في كل من البلدين، مصر والسودان، وفي صبيحة يوم ٢٣ تموز «يوليو» ١٩٥٢، استمع السودانيون الى اذاعة القاهرة، حيث اعلن انور السادات، ان الجيش استلم السلطة في مصر.

وقتها كان سير روبرت هاو هو الحاكم العام للسودان، يعاونه كبار المستشارين البريطانيين في العاصمة والاقاليم، والقوات البريطانية قابعة في ثكناتها على شاطيء النيل.

ومع ذلك، فان الوجود البريطاني بسطوته وسلطاته الاستثنائية لم يستطع الحيلولة دون متابعة السودانيين الجارفة لمجريات الاحداث في مصر من خلال متابعة اذاعة القاهرة، ومن الصحف السودانية التي كانت انذاك تصدر ظهراً، وينتظرها المواطنون في صفوف طويلة امام مطابعها، حيث افردت صفحاتها الاولى، والداخلية لذلك الحدث المدوي والهائل ثورة ٢٣ يوليو.

وحملت عناوين الصحف السودانية، الخطوط التالية: (الجيش يستولي على السلطة في مصر) (الشعب المصري يعبر عن ابتهاجه بمواكب تحيط بالدبابات) (اللواء محمد نجيب قاد إنقلاب الجيش).

وأحس السودانيون بالارتياح الشديد لهذا التغيير خصوصاً ان على رأسه اللواء محمد نجيب الذي ولد في السودان وتعلم في المدارس السودانية، كما ان لاسرته منزلا بالخرطوم، وشقيقه اللواء علي نجيب الذي عمل في الجيش المصري بالخرطوم وشندي وبورتسودان ـ فيما بعد اختير كسفير لمصر لدى سوريا.

ثم راحت الصحف السودانية تنشر بيانات التأييد للواء محمد نجيب، ورحبت افتتاحياتها بالتغييرات الجديدة في مصر، وظلت صفحاتها الاولى قاصرة على انباء القاهرة، وعلى صورة اللواء محمد نجيب، ولم يكن وقتها، اي من السودانيين يعرف ان البكباشي جمال عبدالناصر، هو الرجل القوي الذي خطط ونفذ ثورة ٢٣ يوليو.

وكان من الواضح ان ثورة ٢٣ يوليو تمثل مؤشراً بتحولات هائلة في كل من البلدين مصر

والسودان، خصوصا وقد فوجئت قيادة مجلس الثورة ان عليها اتخاذ قرار عاجل تجاه مشروع الحكم الذاتي للسودان الذي تقدمت به وزارة الخارجية البريطانية وطالبت برد فوري، والا فانها ستمضي قدما في تنفيذه. وراح يواصل سير رالف استيفنسون سفير بريطانيا لدى مصر لقاءاته مع القيادة الجديدة لتحديد موقفها بشأن مشروع تقرير المصير.

واتخذ مجلس قيادة الثورة بكامل هيئته قراره في منتصف آب «اغسطس» ١٩٥٢ على النحو التالي:

اولا: الاعتراف بحق السودان في تقرير مصيره، ووقف سياسة استجداء بريطانيا في امر علاقة مصر بالسودان، حيث لا تمتلك قانونا او شرعا أمر البت فيها.

ثانيا: زوال الحكم البريطاني المدني والعسكري من السودان شرط اساسي لممارسة السودانيين لحق تقرير مصيرهم.

ثالثا: العمل على تعديل مشروع الدستور المقدم من بريطانيا ليضمن اكبر قدر ممكن من السلطات للسودانيين خلال فترة الانتقال التي تمهد لتقرير المصير.

واقتضى القرار بدوره، التفكير في مسألتين ضروريتين:

الاولى: اطلاع الشعب المصري على القرار والظروف التي أملته، بصورة مقبولة تستحوذ على موافقته ورضاه، اذ ظل على مدى خمسين سنة على اقتناعه بوحدة وادي النيل، والمصير الواحد، والهدف الواحد والشعب الواحد، وحتى ٢٢ يوليو ١٩٥٢، كان الملك فاروق، هو ملك مصر والسودان، وملك وادي النيل بعد الغاء حكومة الوفد لمعاهدة ١٩٣٦.

الثانية: الاتصال بالاحزاب السودانية التي تنادي بالوحدة، او الاتحاد او الاندماج، او الاستقلال او الانفصال لتوحيد مواقفها بصورة تكفل للمفاوض المصري الدخول في المفاوضات مع الجانب البريطاني، وهو مطمئن الى المساندة السودانية التامة.

وكان جمال عبد الناصر حريصاً على اعطاء هذه القضية اقصى ما تستحقه من عناية وتركيز، وكان هو صاحب المبادرة ايضا بدعوة السيد علي الميرغني راعي طائفة الختمية والاحزاب الاتحادية والسيد عبد الرحمن المهدي راعي طائفة الانصار والاحزاب الاستقلالية للحضور الى القاهرة، وقد اعتذر الاول وقتها، بسبب ظروفه الصحية، ولبى الثاني الدعوة ومعه مجموعة من المستشارين.

وفي آب «اغسطس» ١٩٥٢، جاء اول مبعوث من الاحزاب الاتحادية الى القاهرة، خضر عمر سكرتير عام حزب الاشقاء ـ جناح محمد نور الدين ـ الذي انشطر من حزب الاشقاء برئاسة اسماعيل الازهري، وتلقى معلومات تشير الى ان البكباشي جمال عبد الناصر، هو الرجل القوي



اللواء نجيب عند وصوله الى السودان في عام ١٩٥٤.

في النظام الجديد، وانه صاحب القرار في القضايا المهمة، واتجه خضر عمر الى مقر مجلس قيادة الثورة حيث طلب لقاء عاجلا مع البكباشي عبد الناصر، ولحظتها، لم يكن في مقر القيادة، سوى جمال عبد الناصر والصاغ صلاح سالم، ولأن عبد الناصر كان في اجتماع، فقد طلب من الصاغ صلاح سالم لقاء «الاخ السوداني»، فأصبح هذا الطلب بمثابة تكليف رسمي بالتعامل مع القضية السودانية ومع اصحاب الشأن فيها، وقد كان.

ووحّدت الاحزاب الاتحادية في حزب واحد «الـوطني الاتحادي» وايضا الاحزاب الاستقلالية حيث جرى تفويض الجانب المصري، ووقعت اتفاقية تقرير المصير في شباط «فبراير» ١٩٥٣ مع الجانب البريطاني واجريت الانتخابات العامة تحت اشراف لجنة دولية برئاسة القاضي سوكومارش، وشكلت اول حكومة وطنية برئاسة اسماعيل الازهري، ووقتها، نشرت صحيفة المانشستر غارديان البريطانية تصريحا ادلى به اسماعيل الازهري، ونشرته في ٢٤ فبراير ١٩٤٧ «اذا صار السودان ملكياً، فسأصبح ملكاً، واذا صار جمهورية فسأكون رئيسا للجمهورية، واذا اتحد مع مصر، فسأكون رئيسا للوزراء».

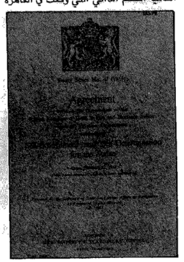
● ● ●

ومع مطلع عام ١٩٥٤، جاء وفد طلابي من مدرسة المؤتمر الثانوية العليا بام درمان، ورغم مشاغله الكثيرة، حرص البكباشي جمال عبد الناصر على الاستجابة لرغبة الوفد الطلابي، والالتقاء بهم، ووجه اليهم خطابا، حاثاً اياهم على التركيز على العلم والتحصيل، وان يتجهوا في



الازهري في وداع رمز الحكم البريطاني في السودان

اتفاقية الحكم الذاتي التي وقعت في القاهرة



المستقبل نحو بناء الوطن، لأن الاوطان تنهض بجهود ابنائها، وطلب منهم ايضا ان يغلبوا ايضا العقل والحكمة على العاطفة والانفعال، والافعال على الاقوال، وان يتذكروا ان الاوطان تبنى بالجهد والعرق وليس بالاحاديث والخطب.

وابرزت الصحف القاهرية هذا الحديث مع صورة لجمال عبد الناصر مع الوفد الطلابي، واذاعه راديو القاهرة، وايضا ركن السودان.

وكان من الواضح للمراقبين ان عبد الناصر اختار النبرة الهادئة والموضوعية في حديثه للمقارنة بينه وبين اللواء محمد نجيب الذي كان يميل في احاديثه وخطبه الى الحماسة والانفعال، ووقتها كانت بوادر النزاع بين اللواء محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة قد اخذت طريقها الى العلانية.

• • •

وعندما اعلن في مطلع عام ١٩٥٤، ان اللواء نجيب استقال من جميع مناصبه في مصر، فأحدث ذلك دوياً هائلا في السودان، ووقتها، ادلى خضر حمد الامين العام للحزب الوطني الاتحادي بتصريحات لصحيفة السودان الجديد، تعقيباً على نبأ اسند الى عبد الحكيم عامر مفاده، ان اللواء محمد نجيب لم يكن عضوا في تنظيم الضباط الاحرار، فجاء في تعقيبه، انه سبق ان قرأ في صحيفة مصرية، ان عبد الحكيم عامر عندما تعرف باللواء محمد نجيب، هرع الى جمال عبد الناصر، وقال له: «لقد وجدنا الكنز» فاللواء نجيب، يقول في العلن ما تقوله في السر، ووقتها

كان تنظيم الضباط يبحث عن ضابط كبير لقيادة الثورة.

وقال سكرتير الحزب الوطني الاتحادي ان السودان ايد ثورة ٢٣ يوليو تأييدا شاملا، ومن دون تردد، لأنه كان يعرف قائدها اللواء نجيب، وكان يثق به، وكان يشعر ان قائد الثورة منه واليه ومن حق السودان ان يجزع لما حدث.. وتلقفت اذاعات العالم هذا التصريح، ونشرته صحف اجنبية، وحرّفته، اذ قالت: ان سكرتير الحزب الوطني الاتحادي، قال انه لا وحدة ولا اتحاد بغير نجيب.

وازعجت هذه التصريحات التي نقلتها وكالات الانباء عبد الناصر، ولم ينقل اليه النص الصحيح الذي نشر في الصحيفة السودانية.

وكان من الواضح، ان استقالة اللواء نجيب او اعفاءه من مناصبه، قد تركت استياء وغضباً شديداً لدى السودانيين، حيث خرجت مواكبهم الى الشوارع وارسلت مئات من البرقيات الى جمال عبد الناصر تطالبه باعادة اللواء محمد نجيب رئيسا لمجلس الثورة ورئيسا للوزراء، وحملت الصحف اليومية ـ المستقلة والحزبية ـ في افتتاحياتها مطالبتها باعادة اللواء نجيب، لان السودانيين اعتبروا ان الاعفاء او الابعاد يمثل ضربة لهم، نظراً لمعرفتهم بحبه للسودان والسودانيين، «كان يردد في خطبه واحاديثه، ان روحه وقلبه فداء لمصر والسودان».

وثار نواب وشيوخ الحزب الوطني الاتحادي الذين كانوا اغلبية الاعضاء في المجلسين، وقالوا، كيف يحدث ما حدث من دون ان يكون لنا رأي او مشورة، ونحن الذين نسعى لتحقيق الاتحاد مع مصر.

وانعقد اجتماع كبير برئاسة اسماعيل الازهري رئيس الحزب ورئيس الوزراء لدراسة الموقف من جميع جوانبه واتخاذ الموقف المناسب، واقترح ارسال وفد وزاري على مستوى عالٍ الى القاهرة في محاولة لتطويق الازمة بين اللواء نجيب ومجلس قيادة الثورة، وشرح الاثار السلبية، لدى السودانيين عامة، ولدى جماهير الوطني الاتحادي بوجه خاص.

وأقر الاجتماع، اقتراح رئيسه، بارسال وفد يمثل الحزب بدلاً من الحكومة ليعمل بكل الطرق على ايجاد حل يعيد الاطمئنان الى النفوس ويهدىء الخواطر ويؤمن الاستقرار باعادة الامور الى ما كانت عليه قبل اعلان استقالة اللواء نجيب، وعندما وصل الوفد السوداني برئاسة خضر حمد الى القاهرة، كان مجلس قيادة الثورة قد اذاع بيانا بعودة اللواء محمد نجيب الى جميع مناصبه.

وحرص الوفد السوداني على لقاء جمال عبد الناصر، واللواء محمد نجيب، لينقل اليهما صورة ردود الفعل في السودان والغضب الذي اجتاح السودانيين نتيجة لهذا الخلاف.

كما شرح خضر حمد في القاهرة الملابسات التي صاحبت تصريحاته، والتي اقلقت بدورها

مجلس قيادة الثورة، وجانبا كبيراً من الشعب المصري والتي نقلت على النحو التالي: «لا وحدة ولا اتحاد مع مصر بغير نجيب».

ولكن هل انتهت الازمة؟

وماذا فعل اسماعيل الازهري عندما جاء الى القاهرة؟ وبماذا نصح جمال عبد الناصر؟

الآراء في
نجيب وعبد الناصر

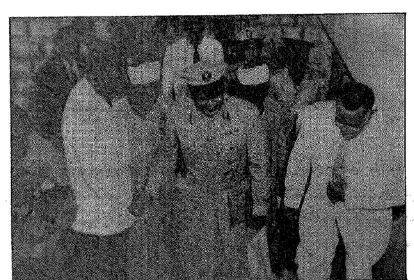
رغم عودة اللواء محمد نجيب الى منصبه بفعل الضغط الشعبي في كل من مصر والسودان، فان مساحة النزاع اتسعت بينه وبين مجلس قيادة الثورة، وكانت التقارير تصل تباعا عن طريق الوفود الرسمية والشعبية الى اسماعيل الازهري، الذي بعث بدوره باكثر من رسالة شخصية الى اللواء محمد نجيب والى جمال عبد الناصر مشيرا الى مخاطر هذا الخلاف وتأثيره على السودانيين.

وعندما وجهت اليه الدعوة للمشاركة في احتفالات الذكرى الثانية لثورة ٢٣ يوليو، حرص على تلبيتها، وتوجه في مطلع شهر تموز (يوليو) عام ١٩٥٤ على رأس وفد مكون من علي عبد الرحمن وزير العدل وابراهيم المفتي وزير التجارة والتموين ومحمد احمد المرضي وزير الحكومات المحلية وحسن عوض الله وزير الزراعة، وجميعهم من اقطاب الحزب الوطني الاتحادي الى جانب احمد حسين الرفاعي امين مجلس الوزراء واحمد يوسف هاشم رئيس اتحاد الصحافيين السودانيين وابوعقله يوسف مدير الاذاعة السودانية وياور رئيس الوزراء السر محمد أحمد، واستضيف رئيس الوزراء والوفد المرافق له في قصر الاميرة زينا بمنيل الروضة.

وفي صباح اليوم التالي لوصول الوفد السوداني، جاء البكباشي جمال عبد الناصر بزيه العسكري الى اسماعيل الازهري رئيس الوزراء الذي اعتاد على ارتداء البذلة البيضاء الكاملة في مقر اقامته بالقصر، واستقبله الازهري والوفد المرافق له بحفاوة بالغة، وبعد عبارات المجاملة والترحيب، انفرد الازهري بعبد الناصر، وظل الازهري يتحدث على مدى الساعتين، كان عبد الناصر خلالها مصغيا ومنتبهاً تماما، لم يقاطعه، ولم يعلق سوى مرتين حيث وافقه على ما طرحه.

وشدد الازهري في هذا الحديث على وجوب (الوفاق) والمصالحة والتعاون بين اللواء نجيب ومجلس قيادة الثورة، وقال: «انه لا يعقل ان تجري احتفالات الثورة بوجود انقسام وخلاف في مجلس قيادة الثورة».

واقترح تحقيق (المصالحة الفورية) لتكتمل بهجة الجماهير في ظل احتفالاتها بالثورة، ووجوب أن يظهر اللواء نجيب وعبد الناصر صباح اليوم التالي في سيارة مكشوفة، حيث



الازهري في استقبال عبد الناصر في مقر اقامته في القاهرة

تحتشد الجماهير على جانبي الطريق المؤدي الى ميدان التحرير، وان يخاطب اللواء نجيب الاحتفال بكلمة عامة وموجزة ثم يتحدث عبدالناصر بخطاب شامل يتناول ما حققته الثورة خلال عامين، ووافق عبد الناصر، وانتقل اسماعيل الازهري بعد ذلك الى منزل اللواء محمد نجيب الذي ابدى تحفظاً، اذ كان على حد قوله زاهدا تماما في الحكم، فاما ان يمارس كل مسؤولياته وصلاحياته كرئيس للجمهورية ولمجلس قيادة الثورة، واما أن تقبل استقالته، ويعلن قراره على الملأ، وظل الازهري متابعا لمحاولات التقريب حتى نجح في مساعيه في الساعة الثالثة من صباح اليوم التالي اي يوم الاحتفالات، حيث وجد اعضاء الوفد المرافق له في انتظاره وهم في قلق شديد، بسبب ما ناله من اجهاد منذ سفره من الخرطوم وحتى وصوله الى القاهرة.

وفي الصباح، اتجه اللواء محمد نجيب والبكباشي جمال عبد الناصر في سيارة مكشوفة قطعت الطريق في بطء شديد بسبب الحشود الجماهيرية على جانبي الطريق، وعندما وصلت السيارة المقلة لهما الى ميدان التحرير، ظلت الجماهير لدقائق عديدة تهتف لنجيب وحده، وتنادي باسمه، وكان عبد الناصر صامتاً ومتماسكا، وعندما تلي القرآن، ووقف اللواء محمد نجيب ليتحدث، تحولت هتافات الجماهير الى هدير اهتزت له حيثيات الميدان الفسيح، وكان مقعد الازهري بجوار عبد الناصر وبجانبه اعضاء مجلس الثورة، فاعضاء الوفد السوداني.

وعندما وقف بعده عبدالناصر ليتحدث، ظل الهتاف، مستمرا بحياة نجيب، وظل عبد الناصر ثابتا، وواضحا، وهو يقول للجماهير التي قدّر عددها انذاك باكثر من مليون شخص، «اننا

لا نخاطب عواطفكم... اننا نخاطب عقولكم... ان حديثنا... هو حديث الواقع... وحديث الحقائق . والارقام... هو حديث البناء والعمل...» وظل مرددا لهذه الفقرات لعدة مرات... حتى هدأت الجماهير، وراحت تستمع اليه، وبعدها استطاع السيطرة عليها تماما من خلال لغة جديدة... لغة صحيحة... ومباشرة... تجعل المواطن المصري شريكا في المسؤولية والعمل والامل.

وعندما انتهى عبد الناصر من خطابه دوى الهتاف باسمه من جديد واهتز ميدان التحرير... وتحول الهتاف ايضا الى هدير امتد من ميدان التحرير الى الطريق المؤدي الى مقر مجلس قيادة الثورة.

وكان لحضور الوفد السوداني هذا اللقاء المباشر بكل ما حدث فيه وفي ضوء ظروفه وفي ميدان التحرير على وجه التحديد ما ساعد على الاقتناع بان عبد الناصر يمثل زعامة حقيقية من خلال قدراته التي تكشفت في الكيفية التي استطاع بها الثبات امام هدير الهتاف لنجيب ثم تأثيره على الجماهير التي استجابت له، فهدأت وسرعان ما تجاوبت مع خطابه وهو يحدثها عن الثورة واهدافها وامانيها في بناء مصر القوية الجديدة.

وظهر للوفد السوداني، أنه مع كل التقدير للواء نجيب الذي كان واجهة لثورة ٢٣ يوليو يوم اعلانها، والذي استطاع اجتذاب الجماهير نحوه بابتسامته الابوية، وعفويته، وبالشعبية الواسعة التي حظي بها في السودان، حيث وشيجة الدم المباشرة، فان عبد الناصر امتلك مزايا الزعامة، بحسها ومسؤولياتها الجمة.

• • •

وتم لقاء اخر بين الازهري وعبدالناصر قبل عودة الوفد الى الخرطوم، حيث ظل عبدالناصر مستمعا للازهري الذي شدد للمرة الثانية على اهمية استقرار الحكم والاوضاع في مصر وتقوية دعائمه، لأن اي هزة او شروخ في مصر ستؤثر على السودان خصوصا في هذه المرحلة، اذ مازالت الادارة البريطانية ممثلة في الحاكم العام متواجدة، وتتحين الفرص لايجاد اي ثغرة في هذه المرحلة للحيلولة دون الوصول الى قرار حول تقرير المصير، اي قرار الاستقلال او الاتحاد مع مصر.

ونقل الازهري الى عبدالناصر تجربته عندما تولى رئاسة مجلس الوزراء بعد فوز حزبه في الانتخابات العامة، فقد رأت بعض العناصر في الحكومة وفي الحزب وجوب تصفية الادارة الاهلية في السودان، باعتبار ان الشيوخ والنظار والعمد وغيرهم تعاونوا مع الادارة البريطانية وظلوا لسنين طويلة، عينها ويدها، كما انهم اعتادوا الولاء للادارة البريطانية، ولا يمكن ان يتخلوا عن هذا الولاء بين يوم وليلة، وحذروه بان الشيوخ والنظار والعمد في مقدورهم احباط اي خطط اصلاحية بحكم نفوذهم في مناطقهم ووسط قبائلهم. وقال لعبدالناصر ان هذه المسألة نوقشت في المكتب السياسي للحزب وفي مجلس الوزراء، وانه رفض تماما هذا الاتجاه. اي



عبد الناصر يستمع إلى الأزهري

تصفية الادارة الاهلية لاقتناعه، بأنهم سودانيون في المقام الاول، وان اخلاصهم لوطنهم ولمواطنيهم لا ينبغي الانتقاص منه.

وانه بعد عامين من هذا القرار، ومن خلال تعامله المباشر كرئيس للوزراء وكوزير للداخلية ازداد اقتناعاً بصحة قراره، حيث ضاعف الشيوخ والنظار والعمد جهودهم في كافة المجالات، وعكست التقارير نشاطهم وجديتهم في خدمة مناطقهم ومواطنيهم، بل ان بعضهم استقال من مناصبه ورشحوا انفسهم لانتخابات البرلمان، وقال الازهري لعبد الناصر ضاحكاً: ان اول مرشح اعلن عن فوزه بالتزكية وكان فوزه بالتزكية مبعث تفاؤل وبشر، حيث جاءت النتائج تباعا، هذا المرشح كان سير علي التوم ناظر الكبابيش، وقد فاز عن الحزب الوطني الاتحادي، وان النظار والشيوخ الذين فازوا في البرلمان اثبتوا مشاركة وجدارة وحنكة ذات فائدة كبيرة للبلاد، وحث عبد الناصر على الاستفادة من هذه التجربة وعدم القاء التهم من دون دليل او سند، كما ان تجربة الادارة في مصر، ينبغي الاحتفاظ بها لانها ذات تاريخ وميزة واسعة في المناطق الريفية، وقال شاهد عيان (ابو عاقلة يوسف)، ان عبد الناصر وافق الازهري على كل ما قاله، وأكد له حرصه على تماسك الجبهة الداخلية في مصر وحرصه ايضا على استقرار الاوضاع في السودان حتى يحقق ما يصبو اليه.

بداية
الازمة الحادة

احدثت ازمة اللواء محمد نجيب مع مجلس قيادة الثورة اثارها السلبية لدى الاوساط السودانية، خاصة لدى دعاة الاتحاد مع مصر الذين رأوا في اللواء محمد نجيب رمزا لوحدة وادي النيل، وظهرت مقالات واحاديث تنتقد لاول مرة تصرفات بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة، ووصفت بانها تفتقد النضج والكياسة السياسية.

واشار البعض الى اختلاف النظامين في كل من مصر والسودان، حيث في الاخير، برلمان منتخب، وايضا مجلس للشيوخ، ويعتمد اتخاذ القرار فيه على المشورة والحوار والدراسة، واخذ رأي الاغلبية. بينما في مصر، النظام عسكري، واعضاء مجلس قيادة الثورة تنقصهم الخبرة مما يجعل التباعد لا محالة واقعاً، الى جانب وجود اختلاف في وجهات النظر في العديد من المسائل، بالاضافة الى غياب التنسيق في هذه المرحلة والمرحلة التالية في ظل المتغيرات المتلاحقة.

واستحوذت مسألة مياه النيل على اهتمام السودانيين، لان التقارير الصحفية نقلت اليهم ان المصريين متحفظون في اعطاء السودان حصته الكاملة من مياه النيل بما يمكنه من استصلاح اراض زراعية جديدة او اقامة خزانات. وسافر وفد سوداني برئاسة وزير الري خضر حمد ووكيل الوزارة وعدد من المستشارين الفنيين. وطلب الوفد تحديد نصيب السودان من محصول نهر النيل الطبيعي قبل قيام السد العالي، او اي مشروعات اخرى، وان يكون للسودان الحق في اقامة منشآت على النيل لاستغلال نصيبه من المياه في كلا الحالتين، كخزان الروميرص، وان يعوض سكان منطقة حلفا (شمال السودان) التعويض الكافي قبل اقامة السد العالي.

وعاد وفد السودان الى الخرطوم من دون الوصول الى اتفاق مع الجانب المصري.

وبدأت بعدها حملات اعلامية متبادلة في كل من القاهرة والخرطوم، وقالت اذاعة القاهرة، وركن السودان، ان المفاوضات فشلت، وان السبب في فشلها وزير الري لانه متأثر بتحيزه ـ اي تحيزه الى اللواء محمد نجيب ـ وادعت صحف قاهرية ان الوزير السوداني ضبط وهو يعد منشورات ضد الوضع الحالي في مصر ولم يكن ذلك صحيحا.

وتولت اذاعة ام درمان الرد على حملات اذاعة القاهرة، من خلال برنامج شهير كان يقدمه ابو عاقله يوسف مدير الاذاعة آنذاك واحد مستشاري اسماعيل الازهري.

كما ان الصحف السودانية شنت حملاتها على تلك الادعاءات.

وفي هذه الظروف التي تصاعدت فيها الحملات المتبادلة، واخذ كثير من دعاة الاتحاد يميلون الى اتجاه الاستقلال، اصدرت صحيفة الايام اليومية ملحقا، نقلت فيه لاول مرة تصريحات لاسماعيل الازهري رئيس الوزراء معبرا فيها عن رأيه وميله الى استقلال السودان بدلا من الاتحاد مع مصر، وانه يترك اتخاذ القرار في هذا الامر لحزبه.

واحدثت ضده التصريحات بدورها ردود فعل واسعة في السودان وفي مصر، حيث نفدت الصحيفة في الحال. وفي المساء، كانت اذاعة ركن السودان في القاهرة تشن حملاتها على تصريحات الازهري، بأيعاز من الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي والمسؤول عن التعامل مع السودان.

وفي نيسان «ابريل» ١٩٥٥، عقد رؤساء دول عدم الانحياز اول مؤتمر تأسيسي لهم في باندونغ (اندونيسيا)، وترأس اسماعيل الازهري رئيس الوزراء وفد السودان، الذي ضم ايضا مبارك زروق وزير المواصلات، وفيما بعد وزير الخارجية، وحسن عوض الله وزير الزراعة. وكان الوفد المصري برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية الصاغ صلاح سالم و د. محمود فوزي. وبعث عبد الناصر برسالة للازهري ناقلا فيها رغبته في تعاون الوفدين، وتنسيق جهودهما كدلالة على المظهر الاخوي بين البلدين، وانهما معا يمثلان «وادي النيل».. كما يمثلان قوة جديدة في هذا المؤتمر. وجاء رد الازهري، انه يفضل ان يظهر وفد السودان منفردا ليظهر قدراته واسهامه في اللجان الرئيسية للمؤتمر، اللجنة السياسية، ولجنة صياغة مبادىء باندونغ، واضاف الازهري أنه راغب في تقديم نفسه للمجتمع الدولي على اساس الاستقلالية.

وفي هذا الاطار، اقام وفد السودان حفل استقبال لجميع رؤساء الوفود المشتركة في المؤتمر، وحضره زعماء المؤتمر البانديت نهرو، وشوين لاي، وسوكارنو والامير فيصل ولي عهد المملكة العربية السعودية ووزير الخارجية آنذاك، وغاب الوفد المصري برئاسة جمال عبد الناصر، مما اغضب الوفد السوداني، واعتبر عدم الحضور متعمدا ومقصودا. وبعث عبد الناصر الصاغ صلاح سالم للوفد السوداني لينقل له اعتذاره والاسباب التي حالت دون حضوره، ولكن الوفد السوداني لم يظهر اقتناعا او قبولا لعدم الحضور والمشاركة.

• • •

وفي طريق العودة من باندونغ الى الخرطوم توقف الوفد السوداني برئاسة اسماعيل الازهري في القاهرة حيث عقد اجتماعاً مع جمال عبد الناصر بحضور عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة،

عبد الحكيم عامر، وكمال الدين حسين وزكريا محيى الدين، وصلاح سالم وحسين ذو الفقار.

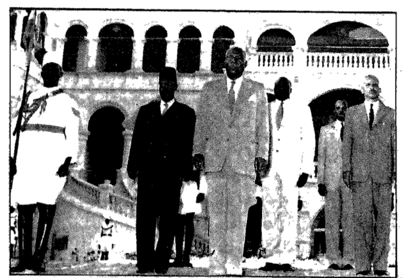
واستعرض الازهري الاوضاع الاخيرة في السودان. وقال لهم: ان الاحداث والتطورات في مصر، الى جانب الحملات الاعلامية من اذاعة ركن السودان والصحف القاهرية، كانت لها اثر مباشر في تحويل اتجاه السودانيين نحو الاستقلال، وانه حاول تهدئة الاتحاديين بالتصريح الذي ادلى به الى صحيفة الايام، ولكنه فوجيء بحملات حادة من قبل اجهزة الاعلام المصرية. كما ان جهات رسمية اوعزت الى جناح في الحزب بالخروج، واعتبرت هذا الجناح هو الاصل، وهو الحزب، واذاعت له قراراً بفصل اسماعيل الازهري واخرين. وان كل هذه الخطوات ادت بدورها الى تباعد واثارة الشكوك لدى السودانيين، وانه يفرق تماما بين علاقات البلدين ومصالحهما واهدافهما المشتركة، وبين هذه الافعال التي لا تخدم ايا منهما، وتثير الفرقة والشكوك. وابلغ الحاضرين، ان حزبه، كلف عشرة من اعضائه بدراسة الخيارات المترتبة عن تقرير المصير اي الاستقلال او الاتحاد مع مصر، وانه سيتقيد بقرار الحزب، وفي الوقت نفسه فانه يتمنى ان لا يساء تفسير ما يمكن ان يتوصل اليه الاتحاديون من قرار، كما انه يتمنى، ان تتوقف الحملات الصحفية، لانها لا تخدم الا اعداء البلدين.

وكان جمال عبد الناصر صامتا طوال هذا الاجتماع ومستمعا باهتمام شديد لكل الملاحظات التي طرحها اسماعيل الازهري وعقب بعض اعضاء مجلس الثورة على تلك الملاحظات والاتهامات. ولكن عبد الناصر اكتفى في نهاية الاجتماع، ان طلب من الازهري ان يكون الاتصال به مباشرة، كما انه بدوره سيتصل به مباشرة.

وعندما عاد اسماعيل الازهري والوفد المرافق له الى الخرطوم، دعا اللجنة العليا والهيئة العامة للحزب الوطني الاتحادي، حيث عرض تقرير لجنة العشرة الذي تضمن دراستها، بشأن الاتحاد مع مصر او الاستقلال. وبعد مناقشته وافقت الهيئة بالاجماع على التقرير وقراره الذي نص على «قيام جمهورية سودانية مستقلة لها كامل السيادة». ثم اشار القرار الى تكييف العلاقات مع مصر من حيث الماء والاقتصاد والنقد، والثقافة والمصالح المشتركة.

• • •

وفي نهاية عام ١٩٥٥ خرج الجيش البريطاني من السودان حيث استقل القطارات تباعا من الخرطوم الى «بورتسودان» ومن هنالك بالبواخر الى بريطانيا، وايضا اكتمل سحب القوات البريطانية من مصر طبقا لاتفاقية الجلاء التي وقعت بين الجانبين المصري والبريطاني. وبعث اسماعيل الازهري رئيس الوزراء برسالة الى جمال عبد الناصر مهنئا بجلاء القوات البريطانية عن مصر والذي تزامن مع جلاء القوات البريطانية عن السودان، وابلغه ان مبعوثا من قبله سيصل للقاهرة حاملا رسالة مهمة.



اول مجلس سيادة انتخبه البرلمان السوداني بالاجماع في اول كانون الثاني «يناير» ١٩٥٦

ووصل محمد احمد المرضى وزير الحكومات المحلية وقطب الحزب الوطني الاتحادي ومبعوث الازهري الى القاهرة، حيث ابلغ فور وصوله ان جمال عبدالناصر في انتظاره، وكان المرضى يعتبر احد المقربين لعبد الناصر، وكان يتميز بالذكاء والحيوية، وامضى المبعوث نحو الساعتين مع عبد الناصر، ابلغه خلالها ان الرئيس الازهري وحكومته وشعب السودان سيذكرون لثورة ٢٣ يوليو ولقيادتها ولمصر مبادرتها في حسم القضية السودانية، اذ وافقت، من دون تردد، على الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان مما احبط مخططات الادارة البريطانية، وانه الان وبعد اكتمال «السودنه»، اي احلال السودانيين مكان البريطانيين في الادارة والجيش والبوليس، واكتمال الجلاء، فان السودانيين اجمعوا على الاستقلال، وانه سيجري اعلانه رسميا من داخل البرلمان في اول كانون الثاني «يناير» ١٩٥٦، وانه يهمه ان تكون مصر الشقيقة هي اول دولة تعترف بالسودان المستقل بعد نيله السيادة الكاملة، كما يهمه ايضا ان تكون مصر ممثلة في شخصه او من ينوب عنه لحضور هذا الحدث التاريخي المهم.

وجاء رد جمال عبدالناصر، انه مقتنع تماما من خلال ماتوافر لديه من المعلومات، ومالمسه مباشرة من السودانيين انهم استقروا بالفعل على المناداة بالاستقلال وهو استقلال نظيف، ليس فيه شبهة احلاف او معاهدات مع اي جهة او دولة، وان مصر يسعدها بحق اجماع السودانيين على موقف واحد وهو الاستقلال، فالسودان الحر المستقل هو سند لمصر مثلما ان مصر الحرة المستقلة سند للسودان، وان مشاغله الحالية تحول بالفعل دون الحضور بنفسه هذه المناسبة المهمة وسيوفد مندوبا عنه.



بعد شهر واحد من اعلان الاستقلال شكلت حكومة قومية برئاسة الازهري وهنا تبدو بكل اعضائها مع السيد علي الميرغني

وجاء مبعوث عبد الناصر، البكباشي عبد الفتاح حسن الذي كان قائدا للجيش المصري في السودان وعضوا في لجنة الحاكم العام ليمثل مصر في احتفالات اعلان الاستقلال من داخل البرلمان.

وسلم الرسالة التالية من عبد الناصر الى رئيس الوزراء اسماعيل الازهري:

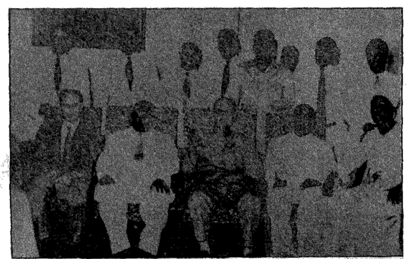
«ان الحكومة المصرية عملا بنواياها التي جاهرت بها، ولمسعاها الذي جاهدت من اجله لتحقيق الحرية لشعب السودان، تعلن فورا الاعتراف بالسودان دولة مستقلة ذات سيادة.

وقد اصدرت الحكومة تحقيقا لهذا (الاعلان المرفق) كما اعتمدت نيابة السيد الامير لاي اركان حرب عبد الفتاح حسن عنها، لتقديم هذا الاعلان. ولي عظيم الشرف بالاصالة عن نفسي، وبالنيابة عن الحكومة المصرية في ان ازجي لسيادتكم خالص التهنئة بهذا اليوم الخالد في تاريخ السودان، وان نبتهل الى الله ان يسدد خطاه في حاضره ومستقبله».

وجاءت صيغة الاعلان على النحو التالي:

«استجابة للقرار الذي اتخذه البرلمان في ١٩ كانون الاول «ديسمبر» ١٩٥٥، والذي اعلن ان السودان سيصبح دولة مستقلة ذات سيادة، اعتبارا من تاريخ اول كانون الثاني «يناير» ١٩٥٦.

وتأمل حكومة جمهورية مصر في الوقت الذي تعترف فيه باستقلال السودان، ان تستمر حكومة السودان في رعاية الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدتها دولتا الادارة الثنائية نيابة عن



اسماعيل الازهري رئيس اول حكومة وطنية وعن يساره الصاغ صلاح سالم وابراهيم المفتي وعلي عبد الرحمن وعن يساره حسين ذو الفقار

السودان او اتفقتا على تطبيقها على السودان».

وقد قرأ رئيس الوزراء الازهري رسالة عبد الناصر، والاعلان في البرلمان، وعلق قائلاً: «أن حكومة السودان لا تعلم شيئا عن تلك الاتفاقيات او المعاهدات لانها لم تكن طرفا فيها، اذ كان الحاكم العام هو الذي يتولى ادارة السياسة الخارجية، وان هذه الاتفاقيات متى ما عرفت ستعرض على البرلمان الذي يقرها او لا يقرها».

اختار جمال عبدالناصر بنفسه اللواء محمود سيف اليزل سفيرا في السودان، وهو كان عضوا في اللجنة العليا لتسليح الجيش المصري، ومسؤولا عسكريا في الجامعة العربية، وكان ايضا معلما له في كلية اركان حرب، وكان حريصا على وصوله الى الخرطوم قبل وصول السفير البريطاني، ولذلك بادر اللواء سيف اليزل الى تقديم اوراق اعتماده لمجلس السيادة واصبح بذلك اول سفير لمصر في الخرطوم. وايضا عميدا للسلك الديبلوماسى فى السودان، وقد أمضى اطول فترة عمل لديبلوماسي في الخرطوم من عام ١٩٥٦ الى عام ١٩٦٦، واستطاع ارساء علاقات طيبة مع جميع الاطراف السودانية. وكانت اتصالاته بعبد الناصر مباشرة فيما يتعلق بالمسائل الكبيرة، والقضايا الساخنة.

ولكن كيف جرت الاحداث بعد ذلك في كل من البلدين مصر والسودان؟ وماذا حدث عندما وقع العدوان الثلاثي على سيناء والسويس؟

السودان وحرب السويس

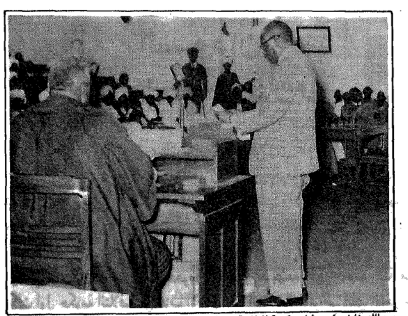
ما كادت البلاد تنتهي من احتفالات اعلان الاستقلال في عام ١٩٥٦ بدءاً من داخل البرلمان، حتى سارع اسماعيل الازهري رئيس وزراء اول حكومة وطنية الى تقديم استقالته استجابة لرغبة السيدين علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي ومناشدة الصحافة السودانية بوجوب تضافر الجهود، حكومة ومعارضة لمواجهة اعباء المرحلة الجديدة ولوضع الدستور الدائم للبلاد.

وشكل اسماعيل الازهري اول حكومة قومية، وبعد بضعة اشهر سحبت الثقة منه، وشكلت اول حكومة ائتلافية من حزب الامة وحزب الشعب الديموقراطي الذي انشطر عن الحزب الوطني الاتحادي، برئاسة عبدالله خليل سكرتير حزب الامة، والذي عرف بشكوكه الشديدة في مصر وعبدالناصر بشكل خاص، وايضا بتعاطفه الشديد مع الغرب.

وحدثت تطورات متلاحقة في كل من مصر والسودان، بعد ان امتنع البنك الدولي بايعاز من فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة الاميركية عن تمويل مشروع السد العالي، وجاء رد جمال عبد الناصر بقرار تأميم قناة السويس لتخصص عائدات المرور بها لتمويل السد العالي، وقد احدث القرار دوياً هائلا خصوصا في العواصم الغربية، واحس السودانيون بخطورة القرار واثاره البعيدة، وسرعان ما تناسوا خلافاتهم فيما بينهم، واتجهوا في مظاهرات شعبية تعلن مساندتها لمصر، ولحقها في ادارة قناة السويس، وتهتف لعبد الناصر. وصدرت بيانات من الاحزاب والهيئات تطالب حكومة عبدالله خليل بتأكيد وقوف السودان مع مصر، وتحركت المعارضة ممثلة في الحزب الوطني الاتحادي حيث دعت الى مؤتمر شعبي لمواجهة تطورات الموقف واحتمالاته.

• • •

وراح السودانيون يتابعون من خلال الاذاعة والصحف السودانية التي كانت تصدر طبعات متلاحقة احداث مصر أولاً باول، خصوصا بعد وقوع العدوان الثلاثي منذ ان احتلت اسرائيل سيناء الى ان استولت القوات البريطانية والفرنسية على القناة، والتهب السودان بأكمله في العاصمة والاقاليم، واصبح السودان باجمعه منطقة ساخنة، يفور بالغليان والقرارات،



عبدالله خليل رئيس أول حكومة ائتلافية بعد الاستقلال

وراحت كل من الحكومة والمعارضة تتحرك في اتجاه المطالب الجماهيرية المنادية بالمؤازرة الفعلية لمصر ومن دون حدود.

وعقد مجلس الوزراء اجتماعاً طارئا برئاسة عبدالله خليل، واتخذ عدداً من القرارات التي اذيعت على الفور من الاذاعة السودانية ومنها:

● اعلان التعبئة الداخلية بالغاء اجازات جميع العاملين في الدولة.

● منع الطائرات الحربية الفرنسية من استخدام مطارات السودان، ورفض العاملون بدورهم تقديم أي خدمات للطائرات المدنية التي حاولت الهبوط او المرور بمطار الخرطوم.

● فتح باب التطوع الى مصر، وتحديد اماكن التدريب العسكري ومنها، قشلاق عباس، واستاد الخرطوم.

● فتح مراكز التجنيد في مختلف المديريات، وجعله اجباريا في المدارس الثانوية العليا، وطبق القرار نفسه جامعة الخرطوم بالنسبة لطلابها.

● وضع قوات السودان في حالة الاستعداد القصوى.

● وضع جميع امكانات السودان تحت تصرف مصر.

● أعلان حالة الطوارىء لفرض رقابة حازمة على العناصر المخربة، ولمحاربة الاشاعة والتجسس، وهو اجراء هدف اساسا لحماية السودان ومعاونة مصر، اذ كانت في السودان آنذاك



اسماعيل الازهري واعضاء حكومته في المجلس قبل ان ينتقلوا الى صفوف المعارضة



محجوب: حملته على العدوان
قوبلت بحملات على السودان

جاليات اجنبية كبيرة، من البريطانيين والفرنسيين واليهود وغيرهم.

● قررت الحكومة ايضا اذاعة البلاغات والبيانات العسكرية وتطورات الموقف واخبار وافتتاحيات الصحف المصرية من اذاعة ام درمان مباشرة بعد ضرب مقر اذاعة القاهرة.

● تقديم تسهيلات للصحف السودانية لارسال مندوبيها الى القاهرة والى الجبهة لتغطية انباء الحرب، وتوفير كل احتياجاتها للوصول الى القراء المتلهفين للاطلاع عليها في العاصمة والاقاليم.

● استدعاء ممثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لتأكيد ادانة العدوان والمطالبة بسحب القوات المعتدية من مصر.

وأفردت صحيفة الرأي العام اليومية «من يوم الى يوم»، افتتاحيتها الرئيسية، بمقالة تحليلية للعالم النفساني البروفيسور التجاني الماحي الذي اسس الطب النفسي والعصبي في السودان والذي اصبح بعد ثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤ رئيسا لمجلس السيادة، وقال البروفيسور الماحي، انه طبقا لدراساته وبحوثه، وقراءاته التاريخية، فأنه يظهر في كل قرن، زعيم او بطل، لا يساوره الخوف اطلاقا، وانه يعتقد، بعد قرار تأميم قناة السويس، واعلان عبد الناصر في جامع الازهر، انه سيحارب، وان مصر ستحارب حتى ترد العدوان عن اراضيها، ان الخوف لا يعرف طريقه الى عبد الناصر، وان هذه الخلاصة التي توصل اليها، جاءت عبر دراسة وبحث، وليس من دوافع عاطفة واعجاب.

وسافر بعدها البروفيسور التجاني الماحي الى السويس مباشرة حيث اقام وحدة علاجية واسعافية لجرحى ومصابي قذائف الحرب.

وانعقد البرلمان في جلسة طارئة لمناقشة العدوان الثلاثي على مصر، وكان من راي زعماء المعارضة قطع العلاقات الديبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا كمثل ما فعلت معظم الدول العربية، وعندما تشعبت المناقشة، وامتدت، طلبت الحكومة تحويل المناقشة العلنية الى جلسة سرية، واخليت شرفات القاعة من الصحافيين والديبلوماسيين والمراقبين الاجانب، وابلغ علي عبدالرحمن زعيم المجلس ووزير الداخلية البرلمان في جلسته السرية، ان كل الخطوات التي نفذت تمت استجابة للموقف الطبيعي من السودان تجاه مصر، وايضا بالمشورة المباشرة والاتفاق مع جمال عبد الناصر، ونقل للمجلس ان عبد الناصر ابلغ الحكومة السودانية اطمئنانه الى حماية السودان لظهر مصر واقتناعه التام بسلامة الاجراءات التي اتخذت لتجنب الخطر بما فيها احتمالات وقوع عدوان على السودان، او الحيلولة دون تمكين السودان من تقديم اي عون او مساعدة الى مصر، كما ابلغ علي عبد الرحمن زعيم المجلس البرلمان، ان خطوات اخرى تم تنفيذها مع مصر، ومع جمال عبد الناصر، ومنها تأمين طائرات مصرية استطاعت ان تفلت من الضربة الجوية الاولى، التي قام بها سلاحا الطيران البريطاني والفرنسي، وانها الان في مأمن في مطار وادي سيدنا.

واكد للمجلس، ان السودان عمليا وواقعيا في حالة حرب فعلية، وانه اتخذ كل الخطوات المطلوبة لتأمين وفرة المواد الغذائية لمصر وللسودان.

● ● ●

وطلب عبدالناصر من الحكومة السودانية إيفاد محمد احمد محجوب وزير الخارجية الى الامم

المتحدة، حيث اصبحت قضية العدوان الثلاثي على مصر القضية الرئيسية، وعندما ابلغ ان محجوب سافر بالفعل الى لندن ومن هنالك الى نيويورك، قال انه سيبعث اليه برسالة عن طريق الدكتور محمود فوزي.

وكان الوفد السوداني برئاسة محمد احمد محجوب وزير الخارجية وعضوية محمد عثمان يس وكيل وزارة الخارجية، وحمزة ميرغني رئيس القسم الاقتصادي ومحمد خوجلي رئيس القسم السياسي، والسفير فخر الدين محمد وبشير محمد سعيد ممثلا للصحافة السودانية، وقبل اقلاع الطائرة بدقائق، تلقى برقية مفادها وقوع اعتداء واسع على مصر، وان الطائرات البريطانية والفرنسية، بدأت بضرب الاهداف الاستراتيجية والعسكرية في مصر، وتأكد له الخبر، عندما ابلغه قائد الطائرة بانه تلقى اوامر بتحويل اتجاهه تفادياً للاجواء بسبب وجود عمليات حربية.

وعندما وصل الوفد السوداني برئاسة محجوب الى لندن استقبله سفير السودان عوض ساتي ومندوب وزارة الخارجية البريطانية، واتجه الوفد مباشرة الى السفارة السودانية، حيث وجد في انتظاره البرقيات التي تشير الى حجم العدوان الثلاثي على مصر.

واصدر وزير خارجية السودان بيانا شديد اللهجة، ندد فيه بالعدوان الثلاثي، وقال ان هجوم القوات برا وجوا وبحرا من قبل ثلاث دول بينها بريطانيا وفرنسا على دولة مستقلة ذات سيادة يشكل إعتداء وغزوا ليس له مثيل، ولم يحدث منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. وعقد محجوب مؤتمراً صحفياً، شرح فيه النتائج والابعاد الخطيرة للعدوان الثلاثي وتهديده المباشر للامن الاقليمي والدولي، وعبّر عن دهشته البالغة، من الدور البريطاني في هذه الحرب، وكان الظن، ان بريطانيا قد نالت من الخبرة والدراية ما يحول دون وقوعها في هذا المستنقع، الذي نال من مركزها وهيبتها.

واعلن وزير الخارجية انه قرر مواصلة سفره الى نيويورك من دون توقف، وانه رفض دعوة بريطانيا له، وصعق الرأي العام البريطاني وهو يستمع الى الحقائق من وزير خارجية السودان، كما صعق انطوني ايدن رئيس الوزراء البريطاني من الموقف السوداني، واللهجة التي ندد بها بالعدوان.

وفور وصوله الى نيويورك، وجد محجوب في انتظاره برقيات سرية، مرسلة من الخرطوم والتقى بالدكتور محمود فوزي وزير الخارجية المصرية الذي وصل لتوه الى الامم المتحدة، ونقل اليه رسالة شفهية من عبدالناصر، ثم اجتمع بممثلي الدول العربية السبع آنذاك، المملكة العربية السعودية، ولبنان، والعراق والاردن وسوريا واليمن، كما اجتمع بممثلي الدول الافريقية الثلاث، اثيوبيا وليبريا وغانا، وكان السودان وقتها العضو رقم ٥٤ في الامم المتحدة، ويمثل الدولة الفتية ذات الرصيد المتميز من السياسيين والموارد الطبيعية غير المحدودة.

وقررت الوفود العربية اختيار محجوب وزير خارجية السودان ناطقاً رسمياً باسمها وكلف باجراء الاتصالات نيابة عنها، فاجتمع بهمرشولد امين عام الامم المتحدة انذاك، وهنري كايوت لودج مندوب اميركا الدائم في الامم وسيبيلوف مندوب الاتحاد السوفياتي وظل على اتصال وثيق مع كرشنا مينون وزير خارجية الهند، كما اجرى اتصالات مع كتلة دول اميركا اللاتينية والكتلة الشيوعية وايضا مع الوفد البريطاني.

وتلقى محجوب اكثر من رسالة من جمال عبد الناصر عبر وزير خارجيته الدكتور محمود فوزي، ناقلاً اليه آخر التطورات ليستعين بمؤشراتها في التحرك الديبلوماسي الهادف الى اجماع على أدانة العدوان ووجوب انسحاب القوات المعتدية، وكان يعول كثيرا على دور الدولتين العظميين، من الضغط على بريطانيا وفرنسا لحملها على الانسحاب.

وكان التحرك الديبلوماسي المكثف من الوضوح والفاعلية على درجة ازعجت الدول المعتدية حيث هاجم وزير خارجية فرنسا السودان، قائلا، ان السودان يتحرك ضدنا من كل اتجاه، انه في الامم المتحدة يؤلب علينا الوفود ويعيق مهمتنا لحماية الملاحة الدولية في مصر ويطالبنا بالانسحاب، وفي الجزائر يبعث بالاسلحة الى الجزائريين ليقاتلونا بها، مشيرا بذلك الى السوداني ابراهيم النيل الذي اعتقلته السلطات الفرنسية وهو ينقل السلاح على باخرة يونانية، استأجرها خصيصاً لتوصيل السلاح الى الثوار في الجزائر.

وانزعج الوفد البريطاني من الهجوم المكثف على العدوان الثلاثي على مصر، وفي التنديد بالتورط البريطاني في العدوان، والذي وصف «بالحماقة والتهور».

وقال عضو من الوفد البريطاني، لعضو من الوفد السوداني: لقد كان من الافضل ترك هذا الهجوم الشرس للمصريين، ثم تساءل، اليس من مصلحتكم ـ اي مصلحة السودان ـ انكسار شوكة ناصر حتى لا تكونوا عرضة للمطامع الناصرية.

وجاءه رد المندوب السوداني، انه لا خوف على السودان من الناصرية، ولا من مصر، فالعدوان الثلاثي اظهر ان مصدر الخوف يبقى الاستعمار القديم والحديث، وان هذا العدوان يمثل طعنة للبلدين مصر والسودان، بحكم الجوار والمصالح المشتركة.

وسجلت محاضر الامم المتحدة، ان اقوى خطاب سجل في ادانة العدوان الثلاثي على مصر، كان خطاب السودان الذي القاه محجوب باسم السودان والدول العربية، حيث تركز على التذكير بمواثيق الامم المتحدة، الواحدة تلو الاخرى، باعتبار انها خرقت جميعها من قبل الدول المعتدية، ولم يكتف السودان بالمطالبة بالادانة والانسحاب الفوري وانما طالب ايضا بوجوب انزال العقوبات بالدول المعتدية، بحيث تدفع كل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل تعويضات

على الخسائر التي الحقتها بالمنشآت والمواقع الاستراتيجية الى جانب الخسائر البشرية.

وعندما انتهى محجوب من القاء خطابه، وقفت جميع الوفود ـ باستثناء وفود الدول المعتدية ـ تحية تقدير لخطابه ومنطقه القوي.

وكان جمال عبد الناصر يتابع كل هذه الجهود بما فيها الخطاب وردود فعله في الامم المتحدة بارتياح بالغ، والعجيب انه بعد مرور ثلاثين عاماً على حرب السويس، صدرت ملفات السويس، وقد اغفلت الاشارة الى دور السودان، واغفلت الاهمية البالغة التي كان يعلقها عبد الناصر على السودان ودوره ومساندته له، وعلى محمد احمد محجوب وزير الخارجية الدبلوماسي والقانوني الكفء والناطق باسم الوفود العربية في تلك الدورة المهمة للامم المتحدة، وتشهد له بذلك محاضرها وشهودها من وفود الدول الاعضاء.

بعد السويس... كيف سارت علاقة عبد الناصر بالسودان، او السودان بعبد الناصر؟

ماذا قال محجوب لدالاس؟

لم يكتف السودان بالموقف المتشدد والايجابي تجاه العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦، داخليا بالتعبئة العامة، وحماية ظهر مصر وتوفير المواد الغذائية وارسالها اولا بأول الى مصر، وخارجيا، فوّض محمد احمد محجوب وزير الخارجية بالبقاء في مقر الامم المتحدة ومتابعة اجراءات انسحاب البريطانيين والفرنسيين من منطقة قناة السويس، أثر وصول قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة، وظهر ان اسرائيل رفضت الاذعان لقرار الامم المتحدة بالانسحاب من اجزاء من منطقة غزة، وشرم الشيخ التي احتلتها خلال حرب السويس القصيرة.

وفي مطلع شهر شباط (فبراير) عام ١٩٥٧، قدمت دول عدة في الامم المتحدة منها الولايات المتحدة ويوغوسلافيا، والهند، واندونيسيا والنروج والبرازيل مشروعي قرارين. احدهما يعبر عن الاسف لعدم اذعان اسرائيل لقرار الانسحاب الى ما وراء خط الهدنة من دون تأخير، والاخر يطالب بوضع قوات دولية على خط الهدنة المصرية ـ الاسرائيلية، وتنفيذ كل الاجراءات الاخرى طبقاً لتقرير الامين العام للامم المتحدة.

ودعا محمد احمد محجوب وزير خارجية السودان وفود الدول العربية (٧ دول آنذاك) في الامم المتحدة الى اجتماع طارىء لمناقشة وتحليل القرارين، حيث اقترح رفض القرار الثاني الذي يدعو الى وضع قوات الطوارىء الدولية في شرم الشيخ وعلى طول طريق غزة، وينص ايضا على حرية المرور في مضيق تيران والقناة، وقال، ان القرار الثاني، يمنح اسرائيل امتيازات بدلا من التشديد على انسحابها فوراً، ولكن الدكتور محمود فوزي وزير خارجية مصر، عقب على هذا الاقتراح، بطلب عدم معارضة الجمعية العمومية للامم المتحدة من وضع قوات الطوارىء، وقال لمحجوب، انه تلقى تعليمات من الرئيس عبد الناصر بقبول ذلك. فرد محجوب، انه في هذه الحالة، ستمتنع المجموعة العربية عن الموافقة على القرار الثاني.

وعقب محجوب وزير خارجية السودان على القرارين امام الجمعية العمومية للامم المتحدة بما يلي:



محمد احمد محجوب. نجومية دولية اثارت حقد دالاس

«اتحدث باسف شديد وخيبة امل... بأسف على الامم المتحدة التي تحاول تبني مسودة القرار الثاني اضعاف ما تبقى لها من قوة معنوية، اما خيبة الامل فيزيدها اشفاقي على الوفود التي سبق ان طالبت بانسحاب اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة من غير شروط او مكاسب، فاذا بها، تظهر امامنا فجأة مدافعة عن قرارين يعطيان في جوهرهما الضمانات الضرورية التي طلبتها اسرائيل»!

ثم اشار في خطابه «الى انه مهما تكن العبارات، فان الانسحاب اصبح الان مشروطا، وقد كان بلا شروط في سلسلة القرارات الاولى التي اهملتها اسرائيل».

واضاف: «دعوت الجمعية العمومية الى دورة طارئة لغرض واحد فقط، هو كبح جماح العدوان، وجعل العمل العدواني باطلا، ولاغيا، وحمل القوات التي هاجمت الارض المصرية على الانسحاب الى ما وراء خط الهدنة من دون قيد او شرط. وكنا نعتقد انه في حال عدم اطاعة اسرائيل قرار الانسحاب، فان الجمعية العمومية ستدين اسرائيل وتنزل بها عقوبات، كوقف المعونات الفنية والعسكرية والاقتصادية عنها..!!».

«ونحن نواجه الان، بدلا من ذلك، قرارين، هما في رأي السودان، وبغض النظر عن اي تفسير لها.. قراران يعتمد احدهما على الاخر.. أي لن تنسحب اسرائيل حتى تضمن تنفيذ القرار الثاني بحضور الامم المتحدة وقواتها الدولية»!.

الى هذا المدى مضى السودان في مساندته لمصر ابان وقوع الاعتداء الثلاثي على السويس، ورفض في ذلك الحين مكافأة اسرائيل، بوجود قوات الطوارىء على خط الهدنة، وامتنع ومعه

الدول العربية عن تأييد هذا القرار.

• • •

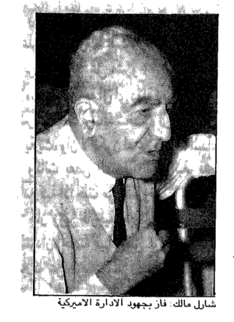
وهدأت الاحوال في مصر، كما هدأت في السودان بعد اكتمال انسحاب القوات المعتدية من منطقة السويس، واتسعت شعبية عبد الناصر، واصبح حلمه الكبير آنذاك اقامة السد العالي، ولكن محادثات مياه النيل بين البلدين تعثرت اكثر من مرة، وسافر الميرغني حمزة نائب رئيس الوزراء وزير الري الى القاهرة، متمسكاً بدوره بالاسس نفسها التي سبق ان طرحها وزير الري السابق خضر حمد، اي وجوب تحديد نصيب السودان من مياه النهر الطبيعي قبل قيام السد العالي او اي مشروعات اخرى، وعلى اساس تحديده، طبقا للارض الجيدة سهلة الري، او طبقا لعدد السكان، باعتبار ان مياه النيل بكاملها لسكان وادي النيل يوزعونها في ما بينهم بعدالة تامة، او على اساس اتفاق عام ١٩٢٠ ويقضي بالاعتراف بكل من مصر والسودان بالحق المكتسب ويقسم الفائض بالتساوي بين البلدين، واصبحت هذه القضية مثار اهتمام السودانيين، اذ تناولتها الصحف في افتتاحياتها ومقالاتها، ومتابعة تطوراتها، كما تناولها القادة السياسيون في تصريحاتهم وفي الليالي السياسية التي كانت تقام في العاصمة او الاقاليم.

- ووجهت صحيفة «الرأي العام» اليومية، المستقلة، وكانت ذات تأثير كبير على الاوساط السياسية، بسبب طرحها الموضوعي، واسلوبها الرصين، اذ طلبت من الرئيس عبد الناصر ان يتدخل شخصيا للوصول الى اتفاق عادل بين البلدين، حتى لا يكون عدم الوصول الى هذا الهدف، سبباً في اثارة الشكوك والخلاف بين البلدين الشقيقين.

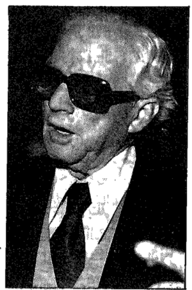
وراحت العواصم الغربية.. وبشكل خاص في لندن وباريس، التي اجتاحها غضب شديد بسبب التنديد العالمي الذي لحق بها نتيجة العدوان على السويس، تتخذ من قضية مياه النيل، مادة، تسعى بها لاشاعة الخلاف بين السودان ومصر، وتناولت افتتاحيات بعض الصحف اللندنية ما اسمته انذاك بالمطامع الناصرية، مجددة حملاتها على عبد الناصر، لانه «يريد فرض نفوذه ومصالحه على البلدان المجاورة»!

وجرت مناقشة في مجلس العموم البريطاني، علق خلالها وزير خارجية بريطانيا بالقول: ان الحكومة البريطانية ستبذل جهدها مع اصدقائها للحيلولة دون اقامة السد العالي، اذا تبين لها عدم موافقة السودان. كما ابلغ مجلس العموم البريطاني، ان حكومة السودان، لم تستشر بريطانيا ولم تلجأ اليها في اي امر يتصل بمياه النيل والسد العالي، وان السفير البريطاني في الخرطوم ابلغه ان مسألة مياه النيل، تخص السودان ومصر وحدهما، وانه مهما كانت درجة الخلاف بينهما، فان بمقدورهما معالجته».

ولم يصدق بعض اعضاء مجلس العموم البريطاني، هذا التعليق، وقالوا له، ان رئيس وزراء



شارل مالك: فاز بجهود الادارة الاميركية



كميل شمعون: ايد وحده مشروع ايزنهاور

السودان عبدالله خليل والذي عرف بميوله الغربية انذاك، ادلى بتصريحات مفادها ان اصدقاء السودان سيقفون معه عند وقوع اي تهديد ومخاطر؟!

ونقلت الصحف البريطانية، تصريحات صدرت عن الامبراطور هيلاسيلاسي، ونسبت اليه قوله: «ان الذين يتحدثون عن مياه النيل، واقامة خزانات ومشروعات جديدة في كل من السودان، ومصر، عليهم، ان يتذكروا: ان مياه النيل تتدفق اليهم من هضاب اثيوبيا، وان لدى اثيوبيا ايضا مشروعاتها الضرورية».

وفي منتصف عام ١٩٥٧ طرح الجنرال ايزنهاور اثر اعادة انتخابه رئيسا لاميركا للمرة الثانية، مشروعه الذي اقترن باسمه، والذي ادعى فيه ان «الشيوعية» الدولية» تمثل خطرا حقيقيا على الشرق الأوسط، ووعد بتقديم مساعدات اقتصادية، بالتشاور مع الامم المتحدة، الى اي بلد يطلبها من الشرق الاوسط خصوصا الى الدول التي ساعدت على مقاومة الشيوعية الدولية.

وتصدى جمال عبد الناصر لهذا المشروع، وقال ان مصر والبلاد العربية، ليس فيها فراغ، وانه يعارض الاحلاف والمساعدات التي تخفي وراءها مطامع استعمارية، وراحت الصحف السودانية، بدورها تتناول منتقدة هذا المشروع، خصوصا بعدما اعلن في واشنطن ان نائب الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون سيزور السودان ضمن عدد من دول الشرق الاوسط لشرح اهداف المشروع.

وبادرت المعارضة السودانية برئاسة اسماعيل الازهري الى معارضة مشروع ايزنهاور، واعلن وزير خارجية السودان محمد احمد محجوب في روما، وهو في طريقه الى الامم المتحدة: «انه لا يريد التعليق على مشروع ايزنهاور، ولكن اذا كان هناك فراغ في الشرق الاوسط فنحن نملأه، ولسنا بحاجة الى اي دولة اجنبية لتأتي وتملأه». وعندما وصل الى نيويورك، اطلع على نص المشروع فبعث برسالة شخصية الى رئيس الوزراء عبدالله خليل، قال فيها «ان على السودان ان يتريث، وان لا تكون له علاقة بهذا المبدأ».

وكانت بعض الصحف السودانية، قد نسبت الى رئيس الوزراء ترحيبه بالمساعدات الاميركية اذا خلت من الشروط.

كان وزير خارجية اميركا جون فوستر دالاس، حريصا على ان يتلقى تقارير منتظمة عن السودان، خاصة فيما يتعلق بموقفه من مياه النيل وموافقته على السد العالي، التي امتنعت اميركا عن تمويله، وقد اثار دهشته، موقف السودان المتشدد من العدوان الثلاثي على السويس، وبشكل خاص، تشدده ضد اسرائيل ومناداته بعدم الامتثال بشروطها فيما يتعلق بانسحابها من شرم الشيخ وغزة، واحلال قوات الطوارىء الدولية على خط الهدنة، ولذلك اصابه انزعاج شديد عندما نقلت اليه تصريحاته الرافضة لمشروع ايزنهاور، واعتبرها متطابقة مع اتجاهات عبد الناصر، مع انه لم يحدث البتة اي تشاور سابق بشأنها، وان تصريحاته ادلى بها في مطار روما وهو في طريقه للامم المتحدة.

وحرص دالاس على لقاء محجوب، حيث اجتمع به في مكتبه في فندق والدورف استوريا تاورز، حيث بدأ الحديث معه بتناول الاوضاع في لبنان حيث سارعت الولايات المتحدة الى انزال جنود البحرية على شواطىء لبنان لمساندة رئيس جمهوريتها انذاك كميل شمعون الذي ايد مشروع ايزنهاور، فكان العضو الوحيد في الجامعة العربية الذي اتخذ هذا الموقف.

وابلغ دالاس، محجوب، ان هنالك دولاً عدة طرحت مشروعات قرارات في الدورة الطارئة للامم المتحدة خاصة بازمة لبنان، وان من رأيه ان تؤيد الدول العربية المشروع الذي قدمته كندا والدول الاخرى، فرد عليه وزير خارجية السودان بقوله: بما ان النزاع عربي فان الدول العربية أقرت الوصول الى قرار منفصل والى حل مرض وانها حددت خطوطه، وانه كناطق رسمي بأسم الوفود العربية، سيتولى صياغة القرار وطرحه امام الجمعية العمومية.

وأثارت الاجابة القاطعة، الحقد في صدر الوزير الاميركي وقال بعجرفة شديدة، وقد سحب كتابا من رف الكتب، واخذ يقرأ فقرة عن «الشيوعية الدولية»، «انتم دولة صغيرة وتحتاجون الى مساعدة الدول الكبرى».

فاجابه وزير خارجية السودان: «يا حضرة الوزير، هل لي بان اذكرك بان الدول الكبيرة تحتاج احيانا الى مساعدة الدول الصغيرة. اما ما قرأته عن الشيوعية الدولية، فدعني اذكرك بأنني أعرف الكفاية عن الشيوعية نظريا وعمليا وشكراً». وخرج من المكتب.

وتوهم دالاس، ان وزير خارجية السودان، يبالغ فيما قاله عن اتفاق الدول العربية على موقف واحد، ولكن تأكد له صحته، عندما سمعه بنفسه وهو يلقي ببيانه امام الجمعية العمومية.

وقال دالاس لمعاونيه: «لن اجعله يفرح بما حققه»!

لقد كان رأي دالاس وزير خارجية اميركا ان الذي يسمعه من وزير خارجية السودان يماثل ما ينقل اليه عن عبد الناصر، ثم ان محجوب يتصرف كما لو كان يمثل دولة كبيرة، وعندما عرف ان الوفود العربية تقديرا منها للسودان ولدوره خلال عامي ٥٦ و٥٧، قد اجمعت على ترشيح محمد احمد محجوب كرئيس لدورة الامم المتحدة لعام ١٩٥٨، وان الاتحاد السوفياتي وافق على ترشيحه، وسحبت الكتلة الشرقية مرشحها ايضا لتأكيد فرص فوزه، وفوجئت وفود الامم المتحدة بوجود مرشحين من منطقة واحدة، وكان المرشح الاخر دكتور شارل مالك وزير خارجية حكومة شمعون الذي ايد مشروع ايزنهاور، وعندما نقل لدالاس بواشنطن، ان اكثر الوفود تميل الى مرشح السودان، ترك مكتبه على الفور، وجاء الى نيويورك لتأييد شارل مالك، وابرق الى جميع رؤساء دول اميركا اللاتينية لاصدار امر الى وفودها بالتصويت الى جانب شارل مالك.

وهدد وفوداً اخرى في الامم المتحدة بقطع المعونة الاميركية عنها اذا هي لم تنتخب شارل مالك.

واجري الاقتراع، وانتخب شارل مالك رئيسا للدورة الجديدة، اذ نال احد عشر صوتاً اكثر من المحجوب، وفور اعلان النتيجة، تقدم محجوب نحو الدكتور مالك وصافحه مهنئا والتقطت صورة لهما معاً جعلتها الامم المتحدة طابع بريد، كدلالة على «الحضارة في التعامل».

قبلها، اي قبل بدء الاقتراع بعشر دقائق، التقى دالاس بالمحجوب عند مدخل القاعة، فقال له بحضور مندوبي الصحف ووكالات الانباء، جملة مختصرة «يؤسفني ان لا نستطيع تأييدك، فقد وعدنا بذلك الدكتور مالك قبل زمن طويل».

فرد محجوب «شكراً.. يا حضرة الوزير، انني افهم ان تعطوه صوتكم لانكم وعدتموه به، اما ما لا استطيع فهمه، فهو جمعك الاصوات له، وتهديدك مندوبي دول اميركا اللاتينية.. دعني اقول لك انني أعتدت تماما الفشل والنجاح، والفشل بالنسبة لي، هو الخطوة الاولى نحو النجاح، ولكن بلدي لن يغفر لك ابداً هذه الاساليب، وسينظر اليك دائماً بازدراء».



جمال عبد الناصر تنسيق فاعل مع السودان

ووجم دالاس، ودخل محجوب القاعة. وبعد اعلان النتيجة ظهر الارتياح الشديد على ملامح دالاس، لانه نفذ ما قرره، اي انه لم يجعل محجوب يفرح بما حققه من نجومية في الامم المتحدة، ولأن هزيمة محجوب تعني بشكل اخر، هزيمة لعبد الناصر شخصيا، هكذا كان يظن دالاس..

ولكن كيف سارت العلاقات بين السودان وعبد الناصر بعد ذلك؟

نحارب اسرائيل لا السودان

مع مطلع عام ١٩٥٨، كانت الاحزاب السياسية، مشغولة تماما بالاستعداد للانتخابات العامة التي ستجري لأول مرة في ظل الحكم الوطني، وكان التنافس والنشاط حادا الى اقصى الحدود، ولكن من دون خروج على النظام أو القانون أو العرف السوداني.

وفجأة وقع ما لم يكن في الحسبان، اذ تلقت الحكومة السودانية مذكرة من الحكومة المصرية تطالبها بتسليم منطقتين بسكانها (حلفا وحلايب)، الى الادارة المصرية، وكان هذا الطلب في ذاك التوقيت مفاجئاً ومزعجاً للسودانيين، خصوصاً لرئيس الوزراء عبدالله خليل الذي كانت تساوره شكوك كثيرة في مطامح عبد الناصر، وكان يقلقه كثيرا اصرار عبد الناصر وأحاديثه عن اقامة السد العالي، وردد امام القريبين منه، كيف بمقدور عبد الناصر اقامة السد من دون موافقة السودان، ومن دون الوصول الى اتفاق بشأن مياه النيل؟ وكان من رأيه، ان كل حاكم مصري تواتيه القوة والنفوذ يعمد الى اقامة هرم، وان عبد الناصر يريد ايضا بناء هرمه الشاهق، اي السد العالي كغيره من الفراعنة، وللمفارقة، فان عبد الناصر عندما وضع الحجر الاساس للسد الجديد في سنة ١٩٦٠، قال: ان حجم الصخور التي ستستخدم في بناء السد العالي، يبلغ حجمها سبعة أمثال تلك التي استخدمت في بناء الهرم الكبير..!

وازداد انزعاج رئيس الوزراء، وجميع المسؤولين عندما عرفوا بوصول لجان الاستفتاء الى المنطقتين السودانيتين، للقيام بمهمتها، أي اجراء الاستفتاء على قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا آنذاك، وقامت السلطات المحلية في المنطقة باحتجازهم، وجرى نقلهم الى فندق حلفا، وفي الوقت نفسه، عقد مجلس الوزراء اجتماعا لمناقشة تطورات الازمة مع مصر، وقرر وجوب اطلاع الراي العام السوداني عليها اولا باول، وان المجلس اتخذ الخطوات الكفيلة بحماية الحدود السودانية، وفي الوقت نفسه استدعى رئيس الوزراء عبدالله خليل، وزير الخارجية محمد احمد محجوب الذي كان يقود حملة انتخابية في دائرته في منطقة الدويم، وجرى اطلاعه على المذكرة المصرية ومطالبتها بالمنطقتين السودانيتين وتسليمها الى الادارة المصرية.

وقرر مجلس الوزراء سفر وزير خارجية السودان الى القاهرة ليعالج الامر مع المسؤولين المصريين، وفي طريقه الى القاهرة، قرأ ملفاً سرياً، اشتمل على تقرير يفيد ان بعض الوحدات العسكرية المصرية زحفت نحو منطقتي حلفا وحلايب المتنازع عليها قرب الحدود!

وفور وصوله الى القاهرة، اجتمع وزير الخارجية محجوب مع زكريا محيي الدين الذي كان يشغل منصب نائب الرئيس ووزير الداخلية، ووزير الخارجية الدكتور محمود فوزي.

وقال محجوب، وقتها، ان الاجتماع لم يسفر عن نتيجة مفيدة، وان زكريا محيي الدين كان متصلباً وثائر الاعصاب: فهو الذي اثار هذه القضية وطلب محجوب الاجتماع بعبد الناصر، حيث انتقل ومن معه الى مكتب عبد الناصر في قصر القبة، وشرح محجوب لعبد الناصر وضع المنطقتين السودانيتين، وانهما ظلتا تحت ادارة سودانية منذ ست سنوات، وقد اجريت فيهما الانتخابات في عام ١٩٥٣.

وكان زكريا محيي الدين لايزال غاضبا، وسال: «هل صحيح، انكم ارسلتم قواتكم الى مناطق الحدود»؟ فأجابه وزير خارجية السودان: نعم، وقواتنا تحمل تعليمات اكيدة باطلاق النار على كل من يجتاز الحدود، وان السودان مصمم على عدم التخلي عن شبر واحد من تلك الاراضي الا بعد اراقة الدم بمقدار عشرات وزنها.

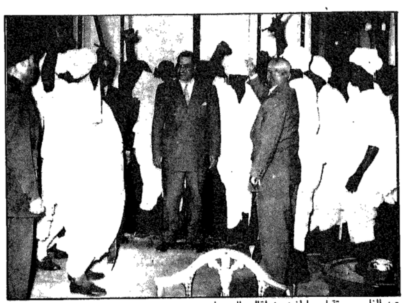
وكانت نبرة محجوب واضحة وحاسمة، فرد زكريا محيي الدين، في لهجة هادئة: «ان مصر لم تبنِ جيشها من اجل مقاتلة السودان».

ورد محجوب: اعرف ذلك، لقد بنيتموه لمحاربة اسرائيل، واستعادة فلسطين.

وكان عبد الناصر خلال هذه المناقشة صامتا ومصغياً، وتدخل اخيرا، سائلا: يا اخ محجوب، ماذا تقترح؟

اجاب محجوب: «سيادة الرئيس، انني اقترح ان نترك القضية عالقة الى ما بعد اجراء الانتخابات في السودان، وان تسحب لجان الاستفتاء، وايضا القوات المصرية في المقابل، فأن حكومة السودان تعطي تعهداً كتابياً بالا تضار مصر باجراء الانتخابات، وان لا تستخدم كحجة تدعم قضية السودان في حقه في تلك المنطقة اذا ما عرض هذا الامر للبحث بين البلدين (السودان ومصر).

ولم يوافق الجانب المصري على هذا الطلب، وعند ذلك طلب محجوب من عبد الناصر ان يمكنه من الاتصال بمكتبه في الخارجية بالخرطوم، واخذه عبد الناصر من يده الى غرفة مجاورة، وعندما جاءت المحادثة، همّ عبدالناصر بمغادرة الغرفة، ولكن محجوب دعاه الى البقاء، وقال لمحدثه في الخرطوم، طبقا لاتفاق سابق، «امضوا قدما واذيعوه» وانتهت المحادثة، واندهش عبد الناصر



عبد الناصر يستقبل مواطنين من اقاليم السودان

لقصر المحادثة، ولم يعرف بمغزاها الا عندما اخذت اذاعات ووكالات الانباء العالمية في المساء نفسه، تنقل انباء وتقارير متتالية من الخرطوم، مفادها ان السودان قدم شكوى الى الامم المتحدة، والى الجامعة العربية ضد مصر، ولكن الازمة مثلما تفجرت بسرعة، هدات بسرعة، اذ اصدرت الحكومة المصرية بيانا، قالت فيه «حرصا على الروابط التي تجمع بين الشعبين المصري والسوداني، قررت الحكومة المصرية ارجاء تسوية موضوع الحدود بين البلدين الى ما بعد الانتخابات السودانية، وان مصر التي تضامنت مع السودان في سبيل الحرية والاستقلال اذ تتخذ هذا القرار فهي انما تهدف الى قطع خط الرجعة على المغرضين الذين استغلوا الفرصة لافساد العلاقات الخالدة بين الشعبين الشقيقين.

وان الحكومة المصرية لتعلن مرة اخرى، ان القوات المصرية المسلحة لم تقم لغزو السودان، ولكنها دائما السند للسودان ضد العدوان المشترك».

وقد اتخذت الحكومة المصرية القرار بعد بحثها لرسالة السيدين، علي الميرغني، واسماعيل الازهري لجمال عبد الناصر، وايضا رؤساء الدول الشقيقة التي طالبت بمعالجة الامر بروح المودة والأخاء، وبعدم اعطاء الفرصة للمغرضين والدوائر الاستعمارية.

وقيل وقتها، ان ازمة الحدود، وقعت، بسبب خشية الحكومة المصرية ان تعمد حكومة السودان انذاك الى تقديم تسهيلات في هذه المناطق للغرب او للولايات المتحدة، فارادت احباط هذا الاتجاه، الذي لم يكن صحيحا، ولم يكن واردا على الاطلاق. وقيل ان حزب الامة اراد



السيد علي الميرغني يحتفل بزيارة رئيس الصومال ومعهما عبدالله خليل رئيس الوزراء

استغلال الازمة، بتكثيف الاعلام ضد مصر، للافادة منها في معركة الانتخابات، وليحقق تفوقا على حزبي الوطني الاتحادي والشعب الديموقراطي، ويحول دون عودتهما الى الحكم معاً. ووقتها ايضا، نقل عن عبد الناصر قوله «ان السودانيين غلبوه، اذ اوهموا العالم من خلال تحرك اعلامي وديبلوماسي نشط، بان المصريين خططوا لاقتطاع اراض سودانية وضمها الى مصر وان الحدود ستشهد معركة بين البلدين». وروى باعجاب قصة المحادثة التلفونية القصيرة التي اجراها امامه محجوب وزير خارجية السودان.

وفي منتصف عام ١٩٥٨، ومع دعوة عبدالناصر الى القومية العربية، ووقوع الانقلاب في العراق، كان الشارع السوداني فائراً، وخرجت مظاهرات مساندة للتغيير في العراق، واخرى منددة بنزول القوات البحرية الاميركية في لبنان وتجددت المناقشات حول قبول المعونة الاميركية مع رفض اي شروط او معاهدات مقترنة بها، وكان رئيس الوزراء عبدالله خليل يرى ضرورة الافادة من المعونة الاميركية، خاصة وان السودان قد تضرر كثيراً نتيجة اغلاق قناة السويس عام ١٩٥٦، الى جانب ان القطن وهو المحصول الرئيسي للبلاد قد تدنت اسعاره، وانقسم مجلس الوزراء في مسألة الموافقة عليها.

واقترح السيدان علي الميرغني، وعبدالرحمن المهدي، ارسال مبعوث الى عبد الناصر للتشاور معه حول هذا الامر، وكان رد، عبد الناصر، ان السودان ادرى بمصالحه.

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨ قاد اسماعيل الازهري وفداً من حزبه الوطني الاتحادي

ضم ابراهيم المفتي، واحمد المرضي ويحيى الفضلي، الى بغداد لتهنئة النظام الجديد في العراق، وفي طريق العودة توقف الوفد في القاهرة، وفي الوقت نفسه جاء علي عبدالرحمن رئيس حزب الشعب الديموقراطي ووزير الداخلية والدكتور امين السيد قطب ووزير الصحة الى القاهرة، وافادت التقارير ان اجتماعات مشتركة تمت بينهما من اجل العودة الى الحزب الواحد، وان عبد الناصر التقى بهم حيث جرت مناقشة الاوضاع في السودان، وفي المنطقة العربية، وانه كان يرى ضرورة توحيد الحزب ليتمكنا معاً من تحقيق اغلبية تسمح بتشكيل حكومة جديدة، وازعجت هذه التقارير بشكل خاص عبدالله خليل رئيس الوزراء، وقالت التقارير الصحفية، انه سيجري طرح الثقة بحكومة عبدالله خليل عند انعقاد البرلمان، اي في يوم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨، وانه في كل الحالات، فان عبدالله خليل لن يبقى رئيساً للحكومة اذا تم حجب الثقة عنه، اما بتوحيد الحزبين (الوطني الاتحادي والشعبي الديموقراطي) أو بائتلاف جديد بين الوطني الاتحادي وحزب الامة.

وفي صباح يوم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨، اعلن الفريق ابراهيم عبود استيلاء الجيش على السلطة، ليعيد الى البلاد الامن والسلام، ويحافظ على الاستقلال، ويعيد النظام ويرسي دعائم النزاهة في الحكم. كما انه سيعمل على ازالة الجفوة المفتعلة مع مصر واعلن الغاء البرلمان وتجميد الدستور المؤقت، وحل الاحزاب السياسية ومنع المظاهرات والتجمعات والمواكب، واوقف الصحف الى حين، وطالب المواطنين بالهدوء والسكينة.

واعلنت مصر على الفور، اعترافها بالنظام الجديد، وطلب اللواء محمود سيف اليزل سفير مصر في الخرطوم لقاء عاجلا مع الفريق ابراهيم عبود، حيث سلمه رسالة من عبدالناصر تبلغه بتأييد مصر للنظام الجديد واستعدادها لتقديم اي مساعدات يطلبها السودان، وانها مستعدة للنظر في كل المسائل المعلقة بين البلدين.

وتطايرت اسئلة كثيرة حول الدوافع التي املت على مصر التعجيل باعترافها بالنظام الجديد، وايضا الدوافع وراء رسالة عبد الناصر الى الفريق عبود، وكان قبل يومين من الانقلاب، قد عقد اجتماعات مع قادة حزبي الوطني الاتحادي والشعبي الديموقراطي لتوحيدهما في حزب واحد، ولتشكيل حكومة جديدة من داخل البرلمان.

وجاءت اكثر من اجابة، منها، ان مصر لا تتدخل في شؤون السودان الداخلية، فهذا شأن سوداني بحت، وان مصر تضع مصالحها، ومصالح السودان في كفة واحدة، وانها من هذا المنطلق تتعامل مع السودان، وان اعترافها بالنظام الجديد أملته هذه الاعتبارات.

وجاءت اجابة اخرى تشير الى ان عبد الناصر، وقد ضاق ذرعا بحكومة عبدالله خليل التي

تعمدت عدم الوصول الى اتفاق بشأن مياه النيل، وبالتالي تأخر تنفيذ مشروعه الكبير اي اقامة السد العالي، قد فضل التعامل مع العسكر للوصول الى حلول عاجلة للقضايا المعلقة، كمياه النيل، والتجارة، والسد العالي.

وسألت شبكة التلفزيون البريطاني الفريق ابراهيم عبود، اذا كان قد تأثر بتحركه لاستلام السلطة، بالناصرية، التي قيل وقتها، أنها كانت وراء التغييرات في المنطقة العربية. فنفى صلته بالناصرية، وقال ان حركته أملتها مصالح السودان وأمنه واستقراره، وجدد قوله، من انه سيعمل على ازالة الجفوة المفتعلة مع مصر.

ماذا قال عبد الناصر في اول مناسبة في القاهرة ليعكس رأيه فيما حدث في الخرطوم ويعدد الاسباب التي عجلت باعترافه بالنظام الجديد؟

تصحيح العلاقات مع السودان

ظل عبد الناصر يتابع بيانات النظام الجديد في السودان، وأحس بارتياح شديد لتأييد السيد علي الميرغني والسيد عبد الرحمن المهدي لانقلاب الفريق ابراهيم عبود، وفي يوم ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨، خاطب المؤتمر التعاوني بالقاهرة.. وقال:

«بالنسبة للسودان، ماذا قال الاستعماريون؟ لم تنفع المشاكل في لبنان، ولا في العراق، ولا في سوريا، نلف ونأتي وسط افريقيا.. اين.. السودان؟ قالوا ماء النيل.. وجدوا جرائد انكلترا تقول.. الحل الوحيد الذي امامنا، بعد ان فشلت حرب السويس ٥٦، والحرب الاقتصادية لم تنفع، والضغط والاذاعة، والحرب النفسية، والدعاية، كل هذا لم ينفع، ولا الشعب قام بثورة، ولا ماتوا من الجوع، وقالوا نعاكسهم في مياه النيل، هذا الكلام كتبته الجرائد في عام ١٩٥٦، وبدأت بيننا وبين السودان، ولذلك حينما قال الفريق عبود ان «المشاكل بيننا وبين السودان مفتعلة»، كان يعلم الحقيقة، لان المشاكل طول الزمن لم تكن حقيقية، ولكنها كانت مشاكل مفتعلة.. المشاكل على اي شيء؟ على المياه.. كل سنة فيه ٣٠ مليار متر مكعب من المياه تصب في البحر، فيه مياه تكفينا، وتكفي السودان، الانكليز يوعزوا لاكثر من بلد حول حوض النيل علشان يقولنا، أحنا لنا نصيب في المياه عندك»!

«احنا لنا مليون سنة قاعدين بجوار بعض، وسنستمر بجوار بعض الى يوم القيامة، نحن في الشمال وهم في الجنوب، أحنا علاقتنا أبدية، وان اتخانقنا شهر، لازم نتصالح، لأن مصالح السودان ومصالح مصر تعتبر مشتركة».

بعد الضغط في موضوع مياه النيل، الحديث مايزال على لسان عبد الناصر في المؤتمر التعاوني «قالوا يجربوا الوسائل الثانية، وسائل الضغط التجاري، يمنع الاستيراد من الجمهورية العربية المتحدة، ومنع الاستيراد من مصر، وطبعا، الذي يكسب من هذا.. هم الانكليز.. لماذا؟ لان الميزان الحسابي في السودان، وصل الى ان انكلترا تستورد بـ ٨ ملايين جنيه قطن، والسودان تستورد من انكلترا بضائع بـ ٢٥ مليون جنيه، يعني الخسارة على السودان، ثم يمنع الاستيراد من الجمهورية العربية المتحدة، لأنها تعتبر بضائعنا كماليات، نتج عن هذا ايضا، اننا حددنا



عبد الناصر يرحب بالفريق عبود في مطار القاهرة

الاستيراد من السودان، لأننا اذا كنا نستورد من السودان، ولا يستوردون منا، نأتي اخر السنة، وندفع الفرق بالاسترليني، وليس عندنا نقد كافٍ لنصرفه، اتخلقت طبعا مشكلة التجارة، ومشكلة مياه النيل، ووصل الامر بين البلدين الى حد أثر علينا، واثر على السودان».

وبدأ الشعب السوداني يثور نتيجة هذه السياسات، وهذه الجفوة المفتعلة، وانا اخذت المبادرة، (الحديث مازال لعبد الناصر) وأثناء وجود عضو مجلس السيادة السوداني في مصر،

تحدثت معه، وقلت له، طبعاً، السودانيين اخواننا، ولابد ان نحل مشاكلنا، وانا مستعد اذا كان في نية لحل مشاكلنا، انا مستعد ابعث دعوة لأي واحد، دعوة لرئيس الحكومة، عبدالله خليل، لكي نحل المشاكل، ولكن اذا لم تكن هنالك نية للحل، طبعا لا داعي، ان ابعث دعوة، وكون هذه المشاكل مفتعلة، فأنها تدل على عدم وجود نية للعمل.

وارسل عضو مجلس السيادة رسالة، وقال لي، انه تحدث مع القادة والزعماء، وتوجد نية لتسوية كل هذه المشاكل، على اساس، ان البلد هناك، بدأت تتعب، وان التجار بدأوا يتعبون، وان الناس تضايقوا، وطلب مني ان ابعث بدعوة لعبدالله خليل على هذا الاساس.

طبعا، احنا نيتنا ان نحل المشاكل.. نحن لا نريد خلق مشاكل، وارسلت دعوة الى عبدالله خليل لزيارة القاهرة وحل المشاكل.. وطبعا.. لم يحدد ميعاد وصوله..!».

اجاب عبدالناصر عن هذا السؤال في حديثه الى المؤتمر التعاوني بقوله: «فجأة قام جيش السودان الوطني بثورة، واعلن ان هذه الثورة، هي للقضاء على الاستغلال، وكنا أول من ايد هذه الثورة لاسباب عدة:

اولا: نحن نعلم ان جيش السودان، هو جيش وطني، وبدأت وكالات الانباء الاجنبية من اول يوم، من يوم الثورة ١٧ نوفمبر، قالوا ان هذا الانقلاب، انقلاب غربي، ومدبره الغرب، لم اصدق؟ لماذا؟ لاننا نعرف السودان، ونعرف السودانيين. ولا يمكن لجيش السودان ان يقبل ان يكون اداة في يد الغرب، وان جيش السودان حارب في سنة ١٩٢٤، حارب من اجل فكرته. ومن اجل كرامته، ومن الفكرة التي يؤمن بها.. وبعدها حارب في فلسطين وحارب ببسالة وشجاعة ايضا.

وواصل عبد الناصر، «وكنا ايضاً نعرف من هو قائد ثورة السودان، ونعرف انه رجل وطني صميم.. واذا كان قام بثورة من السودان ومن اجل مصلحة السودان، ومن اجل بقاء السودان خارج مناطق النفوذ الذي كان قد بدأ يتسرب قبل هذا باشكال مختلفة، وكنا نعرف ايضا، كبار الضباط، وباقي الضباط في السودان، ونعلم، انهم رجال وطنيون.. لا يهدفون الا لخدمة وطنهم».

وقال عبد الناصر للمؤتمر التعاوني في أول يوم.. (لما أذيعت هذه الاخبار.. شعرت بوجوم هنا. ولكن لم يخالجني ادنى شك. انا مؤمن أن التاريخ يتقدم الى الامام، ولا يسير الى الخلف أبداً.. ولهذا اعلنا اننا نؤيد الثورة، وشكرناهم على اشارتهم الى ان الخلاف بين بلدينا، هو «خلاف مفتعل»، وعلى اشارتهم انهم سيعملون بالتضامن مع الدول العربية والجمهورية العربية المتحدة).

وقال عبد الناصر: «بدأت طبعا، وسائل الاستعمار التقليدية بالدس والكذب والاباطيل، واقول مرة اخرى، ان هذه الاساليب لن تنطلي علينا، ونحن نكشفها اولا بأول، ولن يستطيعوا ان يفرقوا بين شعب الجمهورية العربية المتحدة وشعب السودان الشقيق، ولن يمكنهم ان يوقعوا بين الحكومتين..».

وبالامس، اعلنت حكومة السودان، أنها فتحت باب الاستيراد من مصر الذي كان موقوفا من قبل، واليوم ونحن هنا في الاقليم المصري، قررنا فتح باب الاستيراد من السودان الذي كان موقوفا قبل هذا.. وبهذا فعلاً، قال قائد ثورة السودان الفريق عبود.. «الجفوة المفتعلة» لتنحل «بكلمة سهلة».. ولم يحدث اتصال بيننا.. ونحن لم نتصل.. ولكن الخطوة بدأت من الخرطوم. اعلنوا فتح الاستيراد.. وازالوا الوضع المفتعل.. كان طبيعيا.. ان تعود الامور الى طبيعتها.. والى اوضاعها الطبيعية، والى ما كانت عليه، اليوم اصدرنا قرارا باعادة فتح باب الاستيراد مع السودان، وعلينا ان نحذر دسائس الاستعمار الذي يريد الوقيعة بيننا وبين جميع الدول العربية والشعوب العربية.. وامله ان يرى الخلاف ناشبا بين مصر والسودان، وهو يقف مسرورا حين يخلق عدم الثقة بين البلدين.

وقتها، اعتبر هذا الخطاب، اخطر خطاب لعبد الناصر، لانها كانت المرة الاولى التي يتناول فيها ما حدث يوم ١٧ نوفمبر ٥٨، وكانت هنالك تساؤلات عديدة، لأن عبد الناصر ظل على اتصال بقيادات الوطني الاتحادي والشعب الديموقراطي حتى يومي ١٥ و١٦ نوفمبر، وان علي عبدالرحمن وزير الداخلية والدكتور امين السيد وزير الصحة كانا معه حتى ساعة متأخرة من مساء ١٦ نوفمبر، وانهما عندما وصلا المطار فجر يوم ١٧ نوفمبر وجدا قوات الجيش السوداني في انتظارهما حيث نقلا الى منزليهما، ووجدا خطابين من رئيس المجلس الاعلى للقوات المسلحة، يشكرهما على خدماتهما، واعفائهما من منصبيهما مع غيرهم من وزراء حكومة عبدالله خليل...!

وكانت هناك تقارير تشير الى ان عبدالله خليل رئيس الوزراء انزعج كثيرا للقاءات القاهرة، ولذلك تغاضى عن عمد عن التقارير الخاصة بتحرك الجيش، لانه كان وقتها ايضا وزيرا للدفاع، وانه في قرارة نفسه كان مرتاحا لاستيلاء الجيش على السلطة حتى لا يتيح للاتحاديين العودة الى الحكم.

كما ان الصحف ووكالات الانباء الغربية، وصفت ما حدث في الخرطوم بانه ضربة لعبدالناصر، وان القيادة العسكرية الجديدة، ليست من دعاة الناصرية، وانها ستتخذ خطاً متشددا، وكان السودانيون ايضا يتطلعون الى رأيه تجاه التطورات الجديدة في الخرطوم.

وظهر بعد القاء هذا الخطاب، ان عبد الناصر لم يكن على علم مسبق بانقلاب ١٧ نوفمبر،



علي عبد الرحمن وزير العدل وخضر حمد وزير الري الذي قاد اول محادثات تجري حول مياه النيل

واعترف شخصيا، انه اصيب بالوجوم عند وصول الانباء الاولى لما حدث بالخرطوم، ولكن كانت ثقته كبيرة بالجيش الوطني بالسودان.

ولاحظ المراقبون، ان عبدالناصر اطلق على ما حدث صفة (الثورة)، وردد في خطابه مرات عدة كلمة «ثورة السودان» مع ان الفريق ابراهيم عبود، وصف انقلابه بـ«الحركة المباركة»، وانه لعدة اسابيع، ظلت محتفظة باسم «الحركة المباركة» وحتى الصحف السودانية المستقلة التي عاودت الصدور بعد ذلك، ظلت تكتب عن «الحركة المباركة» التي جاءت لتصحيح الاخطاء، ولكن بعد ذلك الخطاب، حلت كلمة الثورة مكان الحركة، واصبح الفريق ابراهيم نفسه، يردد، ان ثورة الجيش من اجل الاصلاح ورفاهية شعب السودان.

وترأس الفريق ابراهيم عبود أول اجتماع للمجلس الاعلى للقوات المسلحة (١٢ عضوا) يمثلون قيادات افرع الجيش، في القصر الجمهوري وجرى استعراض للقضايا العاجلة، وكان من بينها العلاقات المصرية ـ السودانية، ورأى المجلس، تكوين لجنة لتبحث على وجه السرعة القضايا المعلقة بين البلدين مياه النيل والتجارة، وتحدد توصياتها، وعندما فرغت اللجنة من مهمتها، شكل المجلس الاعلى للقوات المسلحة وفدا على مستوى عال برئاسة اللواء محمد طلعت فريد الذي كان قائدا للقوات بالجنوب، واصبح عضوا في المجلس ووزيرا للاستعلامات.

والاميرالاي محمد احمد عروة عضو المجلس العسكري ووزير التجارة والتموين، والاميرالاي مقبول الامين الحاج عضو المجلس ووزير الزراعة وعبد الماجد احمد وزير المالية ومكي المنا وزير الري مع عدد من كبار المستشارين.

وعبرت القاهرة عن ترحيبها الشديد بهذا القرار، اي تشكيل وفد سوداني على مستوى عال، وابرزت الصحف المصرية، واذاعة القاهرة وركن السودان انباء تشكيل الوفد. ومن جانب اخر، فان الصحف السودانية عبرت عن املها في الوصول الى نتائج ايجابية نحو انهاء (الجفوة المفتعلة)، والوصول الى اتفاق عادل يصون مصالح البلدين، ويحدد خطوات التعاون في كافة المجالات.

ووصل الوفد السوداني الى القاهرة، حيث استقبله زكريا محيي الدين وزير الداخلية وسط حفاوة رسمية واعلامية بالغة.

وادلى اللواء طلعت بتصريحات للصحفيين مفادها، انه يحمل رسالة شخصية من الفريق ابراهيم عبود الى شقيقه الرئيس جمال عبد الناصر، وان الوفد جاء بقلب مفتوح، وبقناعة تامة لحسم المسائل المعلقة، وعبر عن امله في الوصول الى النتائج المرضية لشعبي السودان ومصر.

وقبل اجراء المحادثات بين الجانبين، التقى عبد الناصر باللواء طلعت حيث تسلم منه رسالة الفريق ابراهيم عبود، كما استمع منه الى مجريات الاحوال في السودان، بعد تسلم الجيش مقاليد الامور في البلاد.

ثم بدأت المحادثات السودانية ـ المصرية في القاهرة، وكان عبد الناصر يتابع تطوراتها اولاً باول، خصوصاً فيما يتعلق بمياه النيل، اذ كان موضوع السد العالي يشغل ذهنه كثيراً.

وفجأة توقفت المحادثات..!؟

نصيحة بتأجيل الزيارة

جرت المحادثات بين الجانب السوداني برئاسة اللواء طلعت فريد والجانب المصري برئاسة زكريا محيي الدين بتركيز خاص على مياه النيل وعلى التجارة بين البلدين، وعندما تناول البحث مشروع السد العالي، واثاره المتعددة، كاغراق منطقة حلفا، وضرورة التعويض العادل على اهالي المنطقة التي عاشوا فيها مئات السنين وترحيلهم الى منطقة جديدة. وطالب الجانب السوداني بتعويض قدره ٢٠ مليون جنيه، وتمسك الجانب المصري بتعويض قدره ١٠ ملايين جنيه، وعندما لم يتم التوصل الى قرار، اوقف الجانب السوداني المحادثات، للتشاور مع الخرطوم، وسافر عبد الماجد احمد وزير المالية في طائرة خاصة لنقل امر النزاع في مسألة التعويض إلى الفريق عبود، الذي طلب منه ابلاغ اللواء طلعت بمقابلة عبد الناصر ليتدخل في مسألة التعويض لاهالي حلفا، وعاد المبعوث في الطائرة نفسها الى القاهرة.

وتدخل عبد الناصر، ورفع التعويض الى ١٥ مليون جنيه، يغطى جزء منها، بتزويد السودان بالسكر، كما جرى ايضا الوصول الى حل بشأن الماشية التي يشحنها السودان الى مصر والمعالجة المتعلقة بتحويل العملة.

ووسط الاضواء ووجود العشرات من الصحافيين المصريين والسودانيين وممثلي وكالات الانباء العالمية، تم التوقيع على اتفاقية مياه النيل واتفاق التعاون التجاري بين البلدين، ووقع عن السودان اللواء طلعت فريد وعن مصر، زكريا محيي الدين، وبعدها توجه الجانبان الى جمال عبد الناصر الذي كانت اساريره تنطق بالسرور والسعادة، اذ ان التوصل الى اتفاق بين البلدين، يعني تحقيق حلمه في اقامة السد العالي.

وفي يوم الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٩، وقعت اتفاقية مياه النيل، التي تمنح الجمهورية العربية المتحدة الحق في اقامة السد العالي.

وجاء في مقدمة الاتفاقية ما يلي:

«لان النيل في حاجة الى مشروعات لضبطه ضبطا كاملا ولزيادة ايراده للانتفاع التام بمياهه

لصالح جمهورية السودان والجمهورية العربية المتحدة، ونظراً لان هذه الاعمال تحتاج في انشائها وادارتها إلى اتفاق وتعاون كاملين بين الجمهوريتين لتنظيم الافادة منها، واستخدام مياه النيل مطالبها الحاضرة والمستقبلة، تم الاتفاق على ما يلي:

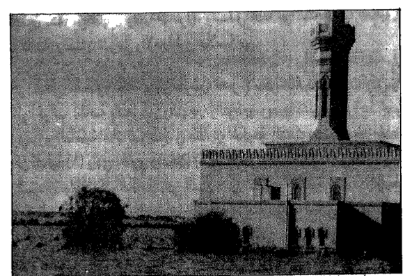
ان تنشىء الجمهورية العربية المتحدة خزان السد العالي عند اسوان، كأول حلقة من سلسلة مشروعات التخزين المستمر في النيل، كما تعهدت حكومة جمهورية السودان بأن تتخذ اجراءات ترحيل سكان حلفا وغيرهم من السكان السودانيين الذين ستغمر اراضيهم مياه التخزين بحيث يتم نزوحهم عنها نهائيا قبل تموز (يوليو) ١٩٦٣، وقد اتضح من الدراسات ان مدى تأثير مياه التخزين سيكون ١٧٠ كيلومترا داخل الحدود السودانية ويعني ذلك زوال الاراضي الزراعية والمنشآت والمساكن واشجار النخيل والفاكهة.

وقد تعهدت حكومة الجمهورية العربية بدفع ١٥ مليونا من الجنيهات كتعويض عن الخسائر التي ستنجم عن تخزين المياه.

ونصت الاتفاقية على ان تحتفظ مصر بحقها المكتسب من مياه النيل وقدره ٤٨ مليار من الامتار المكعبة المقدرة عند اسوان، ويحتفظ السودان بحقه المكتسب حاليا وقدره ٤٥ مليار من الامتار المكعبة عند اسوان، ويحسب صافي الفائدة من السد العالي على متوسط ايراد النهر الطبيعي عند اسوان في سنوات القرن الحالي المقرر بنحو ٨٤ مليار من الامتار المكعبة سنوياً.

كان الوصول الى اتفاق مع مصر حول مياه النيل والتجارة امراً مريحاً لجميع السودانيين، ولكن تفاوتت ردود الفعل فيما يتعلق باقامة السد العالي، الذي يهدد قيامه، بغرق اجمل واشهر مدن السودان قاطبة، حيث عاشت على ضفاف النيل الوف السنين، وشهدت عصورا حافلة بالازدهار والحضارة، واحتضنت فوق ارضها، وتحتها كنوزاً من التراث الحضاري، وحيث ظلت وعلى مدى سنين طويلة، بعثات التنقيب عن الاثار، تكتشف في كل مرة اثاراً، ومعابد، وتماثيل يرجع تاريخها الى الوف السنين. وكان اشهرها (معبد يوهين) الذي نقل من حلفا الى الخرطوم، كما كانت هنالك مشكلة تهجير سكان منطقة حلفا (٥٠ الف نسمة) وتحديد المنطقة التي يقبلون بالانتقال اليها. وانقسم الرأي بين هؤلاء بين فريق تقبله كأمر قدري، لا مفر منه، وفريق اخر، استبعد تنفيذ اغراق المدينة بالنيل، وكان يعتقد بوجود حلول اخرى، وفريق ثالث قرر عدم مغادرة الارض حتى وان غرقت!

وكان لابد من تحرك سريع للحكومة في السودان لتنفيذ الجانب المتعلق بتهجير سكان منطقة حلفا في مدة زمنية قصيرة، وقام الفريق ابراهيم عبود بزيارة لوادي حلفا يوم ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٩، واستقبله سكانها في المدينة والقرى المجاورة لها استقبالاً طيباً، وفي لقاء بينه



مسجد وادي حلفا الذي غمرته مياه السد



فندق النيل حلفا الذي غمرته المياه ايضا

وبين مواطني حلفا، قال لهم: «نحن مسؤولون ان نوفر لكم حياة كريمة، وتعويضا عادلا، وسوف يعطى كل ذي حق حقه، وسوف تشكل لجنة حكومية ولجان اخرى من سكان المنطقة للنظر في مستقبلكم»، وكان الفريق عبود في غاية التأثر من أستقبالات اهالي حلفا التي اتسمت بالترحيب من دون أظهار اي جانب يتعلق بمعارضتهم لقرار التهجير.

وحرص الفريق عبود على زيارة معالم المدينة ذات الطرق المعبدة، التي تحف بها النخيل على جانبي الطريق، كما زار المتحف الذي ضم الاثار القيمة للمنطقة، واقام في فندق حلفا الذي شيد

قبل خمسين سنة، من طابقين وضم ٥٠ غرفة، واستقبل عدداً من الشخصيات العالمية التي جاءت كالسير ونستون تشرسل والامبراطور هيلاسيلاسي.

واقر المجلس العسكري اقامة جهاز للتوطين لحصر الاماكن المقترحة للتوطين، والاشراف على كل الجوانب الخاصة بالتعويض والتهجير والتوطين، وبعدها اعلن اللواء احمد مجذوب البحاري وزير الداخلية انذاك للمواطنين في حلفا، ان الحكومة، اقتنعت بحصر الوطن الجديد في الاماكن التالية (١) وأدي الخاوي و(دنقلا) (٢) جنوب او شمال الخرطوم (٣) خشم القرية ـ شرق السودان. وابلغهم ان الحكومة، وهي الساهرة على المصلحة العامة، قررت اختيار «خشم القرية» كوطن جديد لهم، وحدد مزاياها بانها جيدة التربة، وستروى ريا حديثا بالخزان، واراضيها واسعة وستزود بكل الخدمات الصحية والتعليمية وغيرها.

واحدث هذا القرار رد فعل عنيفاً لدي مواطني حلفا، الذين كانوا يرون ان تؤخذ رغبتهم في الاعتبار، ووجوب الاستجابة لوجهة نظر غالبيتهم المتمثلة في تفضيل منطقة جنوب الخرطوم. وشكلت لجنة مقاومة للخيار الحكومي، وقدمت مذكرة الى المجلس العسكري تعترض على «خشم القرية» كوطن لسكان حلفا.

ورغم اجراءات الامن المشددة ابان فترة حكم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر)، فقد فوجيء رجال المخابرات بخروج تظاهرة كبيرة في الساعة الثانية ظهرا، حيث اشترك فيها الالاف من المواطنين والمواطنات كمظهر لمقاومة النظام برمته، وكتأكيد على اهمية توفير الديموقراطية والقبول بالخيارات التي تقبل بها الغالبية.

وامكن تفريق التظاهرة الكبيرة، وجرى اعتقال ستين مواطنا وقدموا لمحاكمات عاجلة طبقا لقانون الطواريء انذاك، ولكن القضاة، طبقوا اخف العقوبات، وهي الغرامة على جميع من قبض عليهم، وسارع الجمهور الذي حضر المحاكمة الى جمع الغرامات المطلوبة ودفعها واطلق سراحهم.

وكان عبد الناصر يتابع مجريات الاحداث في حلفا والخرطوم بقلق شديد، خاصة عندما نقل اليه، ان تظاهرة كبيرة قد خرجت ظهرا، وفاجأت المخابرات في الخرطوم بدقة تنظيمها، وان الالوف ممن خرجوا من مكاتبهم، ومصانعهم، انضموا اليها، وان هتافاتها تضامنت مع سكان حلفا، وهتافات اخرى معادية للنظام الجديد، وكان قلقه، مصدره خشيته من اتساع هذه المعارضة مما قد يعوق اقامة السد العالي، وايضا خشيته ايضا من تصاعد الغضب على النظام

الجديد بما يمكن ان يؤثر على العلاقة مع مصر، وعلى شعبيته لدى السودانيين.

وفي هذه الظروف، تلقى جمال عبد الناصر رسالة من الفريق ابراهيم عبود، تتضمن رغبته في حضوره الى السودان للمشاركة في احتفالات الذكرى الثانية لثورة (١٧ تشرين الثاني «نوفمبر») اي في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠.

ونقلت الصحف السودانية والمصرية، ووكالات الانباء نبأ دعوة عبد الناصر الى زيارة السودان في اطار احتفالات ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر).

وتحفظت بعض الجهات المصرية على قبول الدعوة في هذا الوقت لخشيتها من خروج تظاهرات عدائية من الذين ستتأثر مناطقهم بالمياه نتيجة قيام السد العالي او الذين اعتبروا أن الحكومة السودانية لم تأخذ بخيارهم اي التوطين جنوب الخرطوم بدلا من «خشم القربة».

ولكن عبد الناصر، لم يتردد في قبول الدعوة، وبعث برسالة الى الفريق ابراهيم عبود تؤكد ترحيبه بالدعوة لزيارة السودان، وفي الموعد المحدد، وانه راغب في زيارة جميع مناطق السودان.

وجاء عبد الناصر، فكيف استقبل؟ وماذا قال؟ وكيف كانت مشاعره في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٦٠ في الخرطوم؟

الصديق المهدي يقدم سيفاً هدية الى عبد الناصر



طريق النيل يتدفق بالخير

عندما جاءت رسالة الرئيس جمال عبد الناصر التي اكدت قبوله الدعوة الى زيارة السودان، ورغبته في زيارة اقاليمه المختلفة، اعلنت على الفور حالة الاستعداد القصوى لاستقبال رئيس الجمهورية العربية المتحدة، وكونت لجنة عليا للتحضير للاستقبالات، ولجنة اخرى لتنظيم برنامج زياراته لمناطق السودان المختلفة، وجرى تجميل وتنظيم الشوارع الرئيسية والميادين في العاصمة، ورفعت اعلام البلدين على طول الطريق من مطار الخرطوم الى القصر الجمهوري، كما رفعت صور جمال عبد الناصر ولافتات الترحيب ببطل القنال، وعدو الاستعمار عبدالناصر، كما رفعت اعلام واقواس النصر.

وجاءت فرقة «اضواء المدينة» المصرية الى الخرطوم، وضمت مشاهير النجوم انذاك، كعبدالحليم حافظ ومحمد عبد المطلب وشادية وصباح ونجاة الصغيرة والثنائي فؤاد المهندس وخيرية احمد والثنائي ابولمعة والخواجه بيجو والفنانة نجوى فؤاد، كما قدم معهم مشاهير الاذاعة المصرية، كجلال معوض، واحمد فرج وغيرهما من الاذاعيين المعروفين، كسيد المعتصم (ركن السودان) وسامية صادق، وقد اضفى وجودهم في الخرطوم حيوية ومرحا ونغماً كانت تحتاجه في ذلك الوقت.

واستضيف نجوم «فرقة اضواء المدينة» في الفندق الكبير، وظلوا موضع ترحاب السودانيين، وعندما نزلوا الى الاسواق انذاك وكانت ممتلئة باحدث منتوجات ومصنوعات اوروبا، فوجىء الفنانون وهم يشترون حاجياتهم من اصحاب المحلات والمتاجر، يقدمونها اليهم كهدايا من دون مقابل. كما ان الشبان والشابات احاطوا بالطرق المؤدية الى الفندق الكبير في انتظار حضور فنانيهم المفضلين لتقديم هداياهم، ورغم ان وزارة الاستعلامات وضعت سيارات وحافلات لنقل الفنانين، الا ان عدداً من السودانيين تركوا سياراتهم، بسائقيها تحت تصرف الفنانين المصريين.

وعندما بدأت حفلاتهم الساهرة في المسرح القومي في ام درمان تألقوا في اداء فقراتهم، كما لم يحدث في اي مسرح اخر، وقابل السودانيون، ابداعهم الفني بحماسة شديدة.

وقال الفنان عبد الحليم حافظ، انه غنى بعاطفة صادقة كما لم يغن من قبل، اذ احاطه الجمهور كما احاط بزملائه الفنانين، بمشاعر ود بالغة لا تنسى مدى الحياة.

وجاء بعدهم الى الخرطوم، كتاب مصر، ممثلين، بمصطفى امين واحسان عبد القدوس وابراهيم نوار ثم جاء ممثلو وكالات الانباء والصحف العالمية ليروا بانفسهم كيف سيكون استقبال عبد الناصر في الخرطوم، وهيأت لهم اماكن خاصة لارسال برقياتهم ولاجراء محادثات تلفونية مباشرة مع صحفهم او وكالاتهم.

واعتبر يوم ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠، يوم عطلة عامة للمدارس في جميع مراحلها، واتجهت الجماهير في الصباح الباكر الى المطار لاستقبال عبد الناصر الذي وصلت طائرته ظهرا وبرفقته زكريا محيي الدين وزير الداخلية، والدكتور محمود فوزي وزير الخارجية وعلي صبري مدير مكتب عبد الناصر ونهاد القاسم.
وخرجت العاصمة السودانية باكملها لاستقباله، ووقف الناس على جانب الطرق التي يمر بها موكبه، وعلى المباني والاشجار، والجسور وكان استقبالا هائلا، هز عبد الناصر كثيرا، وهو يلوح بكلتا يديه محيياً الجماهير، والى جانبه في السيارة المكشوفة، الفريق ابراهيم عبود، الذي حققت له هذه الزيارة شعبية واسعة.

وفي الحفل الرسمي الذي اقامه له الفريق ابراهيم عبود في القصر الجمهوري.. قال عبد الناصر:
«لقد كان قدومي الى الخرطوم ظهر اليوم متبعاً مجرى النيل الخالد من القاهرة الى الخرطوم تجربة عميقة الاثر في فكري ومشاعري، ذلك ان الرحلة على مجرى النيل، او على ضفافه من شماله الى جنوبه او من الجنوب الى الشمال، تمثل قصة عظيمة، ضاربة في اعماق التاريخ البعيد الممتد من فجر الحضارة الى يومنا هذا بغير توقف او انقطاع، وبرغم كل الظروف، وما كان اصعبها، واشقها في بعض الاحيان، وبرغم كل العوائق، وما كان اصعبها في بعض الايام، فان طريق النيل بقي مفتوحا على الدوام يتدفق بالخير والمحبة والامل في المستقبل العزيز، لقد هانت المشاق، ولانت العوائق، وبقيت الشمس المشرقة على وادي النيل تمده بحوافز الحياة، وتدفع الطاقات الخلاقة لشعوبنا التي تسعى على ضفافه، تحاول ان تكتب صفحات جديدة من تاريخه المجيد».

وقال عبدالناصر في خطابه «ليست هذه اول مرة، اجيء فيها الى عاصمة السودان العظيم، فلقد تشرفت بالخدمة هنا، جنديا للوطنية المصرية السودانية التي وحدت صفوفها لمجابهة



ناصر في حفل تكريم اقيم على شرفه في نادي الضباط في الخرطوم

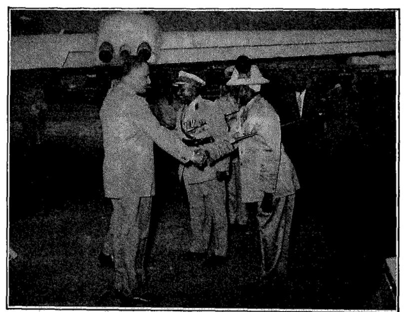
الاستعمار واجلائه، عن وادي النيل تحقيقا لاستقلال بلدينا وتمكينا للحرية في كل منهما».

«وانه ليسعدني اليوم ان اجيء اول مرة الى عاصمة السودان الحر المستقل الذي انطلق ليؤدي دوره الكبير، لقد كان الشعب السوداني الذي التقيت به في ارجاء العاصمة المثلثة، هو الشعب نفسه الذي عرفته دائما خلال معركة التجمع الشعبي في البلدين، وراء اهداف الحرية والاستقلال، كذلك هو الشعب الحر نفسه، الذي عرفت جنوده البواسل محاربين معي في الصف نفسه من ميدان القتال في فلسطين وكان كرمه الفائق في استقبالنا هو الكرم الرائع نفسه الذي هو من خصائصه الاصيلة وسماته البارزة».

وفي هذا الخطاب الذي وصف بالاهمية آنذاك، جدد القول، ان قضية الحرية لا تتجزأ، وان نجاح الحرية هو المقدمة لنجاح قضية السلام.

واختتم حديثه بقوله: «ان شعب السودان سيلتقي بشعب الجمهورية العربية المتحدة في معركة التطور الاجتماعي، الذي يمهد له ويحققه تطوير الزراعة والصناعة والخدمات، وانه مؤمن بأنه سوف يكون لدى كل منا ما يقدمه للاخر في مجالات التجربة والعلم والتجارة».

وامضى عبد الناصر اطول زيارة رسمية قام بها خارج مصر، حيث بقي في السودان عشرة ايام، قام خلالها بزيارة الى الابيض (غرب السودان) والى بورتسودان (شرق السودان) وجوبا (جنوب السودان) وهنالك جاءه القائممقام سعد الدين الشاذلي قائد القوات العربية على متن



جمال عبد الناصر لدى وصوله الى عاصمة غرب السودان

طائرة خاصة تابعة للامم المتحدة في الكونغو، واجتمع الى عبد الناصر فور وصوله حيث اطلعه على الاوضاع في الكونغو وعن حالة القوات السودانية والمصرية من ناحية اخرى، وعاد بعدها الى مقر عمله في الكونغو، كما زار منطقة مدني (وسط السودان) وكان الفريق عبود احيانا يقود السيارة بنفسه للتجوال في هذه المناطق التي عرفها جيدا، وكان من الواضح، ان الزيارة حققت نتائجها المطلوبة، اذ عادت العلاقات بين البلدين الى طبيعتها تماما، وانه على الرغم من الازدحام الجماهيري خلال هذه الزيارات الى المناطق المختلفة لم تقع حادثة واحدة، او مخالفة، وكان المواطنون في احيان كثيرة يتولون بانفسهم النظام، لان البوليس لم يكن في مقدوره التواجد في كل اماكن الاستقبالات الحاشدة.

وظهر ان التقارير التي نقلت الى عبدالناصر، بانه سيقابل بمظاهرات عدائية من سكان المناطق التي ستغرق نتيجة قيام السد العالي لم تكن صحيحة، بل ان وفداً من اهالي حلفا حرص على الاشتراك في جميع الاستقبالات لتأكيد ترحيبه بزيارة عبد الناصر.

واهتمت الصحافة العالمية بهذه الاستقبالات الشعبية التي وصفت «بانه لم يكن لها نظير»، وقالت: «ان عبد الناصر استقبل بالزغاريد من النساء، وبالطبول، وان مهرجانات الرقص الشعبي نظمت في كل الميادين».



عبد الناصر يمارس هواية التقاط الصور في جنوب السودان

واشارت الصحف الاميركية الى زيارة عبد الناصر الى السودان، وقالت ان الدوائر الرسمية الاميركية تابعت جولة عبد الناصر واحاديثه في السودان باهتمام شديد، وفسرت الدوائر الديبلوماسية زيارة الفريق ابراهيم عبود الى القاهرة للاشتراك في احتفالات ثورة ٢٣ يوليو ٥٩، ورد هذه الزيارة من قبل عبد الناصر بأنها تعني توثيق علاقات البلدين في جميع المجالات، واشارت وزارة الخارجية الاميركية الى ان التفاهم بين عبد الناصر وعبود من شأنه ان يمهد السبيل الى هدوء الحالة في القارة الافريقية ويبني الطريق الى وحدتها، كما انه سيعزز المصالح المشتركة بين البلدين.

وخلال زيارة عبد الناصر الى السودان، اذيع ان مصر قدمت ٦ مقاتلات نفاثة، و٥ عربات نقل الى الجيش السوداني، وقوبل ذلك من الاوساط السودانية بالترحاب واشادت به الصحف السودانية، وقالت ان كل قوة لجيش السودان هي قوة لجيش مصر، وبالتالي قوة للعرب والمسلمين.

وعند انتهاء زيارة عبد الناصر الى السودان صدر البيان المشترك الذي نادى بصيانة وتقوية الحياد وعدم الانحياز، واكد العزم على العمل على استرداد حقوق عرب فلسطين كاملة وعودتهم الى ديارهم وبذلك تزول عوامل التوتر في المنطقة ودعم الجامعة العربية ومساندة

قضايا التحرير والسلام، والتوسع في التعاون بين البلدين.
وقال عبد الناصر وعبود في ختام البيان ان تقدم كل من الجمهوريتين الشقيقتين يمثل عونا للاخرى وسنداً لها يزيدها منعة وعزة ويصون سيادتها واستقلالها.

وحرص عبد الناصر خلال الزيارة، على لقاء السيد علي الميرغني راعي الختمية، والسيد صديق المهدي راعي الانصار، الاول في منزله في الخرطوم والثاني في ام درمان، ولم يتمكن من لقاء اسماعيل الازهري الذي امتنع عن تأييد نظام الفريق عبود انذاك لخرقه الدستور، واكتفى بالبقاء في منزله حتى جرى فيها بعد نقله مع عدد من القيادات السياسية كمعتقلين الى الجنوب، حيث امضوا هناك اشهراً عدة.

وراحت الحكومة السودانية من خلال جهاز التوطين تتابع اقامة المنشآت الحكومية والمساكن والطرق في المنطقة الجديدة (خشم القرية) ويتيسر تنفيذ الجانب الشاق من اتفاقية مياه النيل، اي ترحيل مواطني حلفا (٥١ الف نسمة) في الموعد الذي نصت عليه الاتفاقية.

ووضع برنامج التهجير في اطول رحلة في السكة الحديد من مدينة حلفا بالشمال الى الوطن الجديد (خشم القرية) في المشرق، وجهزت القطارات والشاحنات.
واحتفظت الذاكرة يوم ٦ يناير ١٩٦٤، بمنظر مهيب وحزين، اذ تجمعت وفود من سكان مدينة وقرى حلفا لحضور وداع الفوج الاول عند مبارحته ارض الاباء والاجداد ولم تخفف من رهبة المشهد دقات الطبول.. ولا الاذكار والاناشيد والهتافات التي اشتركت في الوداع، وقام الفوج الاول قبل مغادرته لمحطة السكة الحديد باخر جولة، شملت مقابر الموتى، والمسجد والمعابد التاريخية، والحدائق والمزارع والمدارس، وظل الجميع في حالة انتحاب والم، ومع تحرك القطارات الواحد تلو الاخر، كانت المياه ترتفع، من منطقة لاخرى وغرقت مدينة حلفا وقراها ايذانا بقيام السد العالي.

ورغم ان سكان حلفا وجدوا انفسهم في مناخ وظروف مختلفة تماماً عن تلك التي عاشوها في مدينتهم الجميلة، الا انهم سرعان ما تغلبوا على الظروف الصعبة، وتماسكوا، وجعلوا هاجسهم الرئيسي العمل والانتاج من دون ملل أو كلل، وتوفرت لهم الخدمات الضرورية؛ واصبحت لكل قرية مدارسها بمراحلها المختلفة، وازدهرت المنطقة باكملها، واصبحت لديهم جمعيات تعاونية نموذجية، تشارك في زيادة معدلات الانتاج والاكتفاء الذاتي والتصدير ايضا.
وتحولت الارض من جرداء الى مزارع خضراء وظهر بعد ٢٥ سنة، ان قرار الحكومة آنذاك

بتفضيل منطقة خشم القربة على الخيارات الاخرى، اتسم بالمعقولية والرؤية المستقبلية، لان الارض الجديدة ممتدة بلا نهاية، وأنه ينتظر منها الكثير.

وحتى مطلع عام ١٩٦٤، كان عبد الناصر، يتوقع ان يكون الفريق ابراهيم عبود الى جواره عند انتهاء عمليات بناء السد العالي للاحتفال بهذه المناسبة الكبيرة، ولكن كالعادة، كانت هنالك اكثر من مفاجأة؟ فقد جاء وجه جديد لم يكن في الحسبان..!

كيف...؟

ناصر
أيّد انقلاب نوفمبر

في مطلع تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤، كانت القاهرة، مشغولة تماما، باستقبال رؤساء الدول للاشتراك في مؤتمر عدم الانحياز، ومن بينهم الفريق ابراهيم عبود رئيس وفد السودان، وفي يوم انعقاد المؤتمر ٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤، ابلغ عبد الناصر ان طائرة مقلة لتشومبي رئيس حكومة الكونغو تحلق في اجواء مصر، وكان شخصية بغيضة لمعظم رؤساء الدول الافريقية، بسبب الفتن التي اثارها في بلاده، وتسببه في مقتل لومومبا الزعيم الوطني لشعب الكونغو، وطلب عبد الناصر عدم السماح للطائرة بالهبوط في المطار، ولكن تشومبي رد على مسؤولي المطار، ان الطائرة ستظل محلقة فوق القاهرة حتى يسمح لها بالهبوط، وانه لن يتجه الى اي مكان اخر، وعندها، امر عبد الناصر بالسماح له بالهبوط، وبمجرد نزوله من الطائرة، اقلته السيارة الى احد القصور بالقاهرة، واحتجز هنالك وكان يظن انه في طريقه الى قاعة المؤتمر. وظل تشومبي يصرخ داخل القصر: انا سجين.. ! «دعوني اخرج» «دعوني أذهب..» لقد اخذه الفزع، وخشي أن يبقيه عبد الناصر، رهن الاعتقال، ولا يعود ابداً الى بلاده، لانه كان يعرف وقتذاك، ان الدول الافريقية، تبغضه، وتتمنى له مثل هذه النهاية. وفتح له باب القصر ليعود مرة اخرى الى مطار القاهرة مباشرة، لان جلسات المؤتمر قد انتهت وصدرت قراراته الختامية.

وكان قادة ورؤساء دول عدم الانحياز يتناولون القضايا الساخنة داخل الجلسات المغلقة، حيث طالب وقتها الدكتور نكروما رئيس حكومة غانا بثورة مسلحة ضد الانظمة العنصرية في افريقيا، وفي فترات الاستراحة، يتندرون بما حدث لتشومبي..!!

وفي الاسبوع الثالث من شهر تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٦٤، انفجرت ثورة اكتوبر الشعبية، وتم الاتفاق بين القيادات السياسية، وجبهة الهيئات بعودة الجيش الى ثكناته، والابقاء على الفريق ابراهيم عبود كرأس للدولة تقديرا وتكريماً للجيش، وبعد شهر انسحب الفريق عبود نهائياً من الحياة العامة.

وكانت هذه التطورات، بالسرعة التي اتخذتها مفاجأة لعبدالناصر، وسقطت اول حكومة مدنية برئاسة سر الختم الخليفة، واختير محمد احمد محجوب وزيرا للخارجية ومبارك زروق

وزيرا للمالية. وكانا على صلة وطيدة بعبدالناصر، كما كانا معاً معروفين في الاوساط السودانية والمصرية على السواء.


الدكتور التيجاني الماحي يؤدي القسم كرئيس لمجلس السيادة

بهذا العنوان، وردت افتتاحية صحيفة الايام اليومية المستقلة يوم ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤: جاء فيها:

«علقت صحافة العالم كلها على ثورة السودان والتطورات التي تبعتها، كل من زاويتها الخاصة، ووفق ميولها، وفهمها للاحداث، ونلاحظ مع الاسف الشديد، ان بعض الصحف الاجنبية لم تلتزم الدقة، لا في تعليقاتها، ولا فيما نشرته من انباء حول الثورة، ونأسف بوجه خاص أن نرى بعض الصحف العربية في القاهرة، وهي الاقرب الينا من غيرها، كتب بعضهم عن الموقف في السودان على وجه لم يحالفه التوفيق سواء في المعلومات او الحقائق، وحاولت ان تضع في افواه الثوار والمتظاهرين هتافات وشعارات لم تصدر عنهم، وان تستدرج معاني لم يقصد اليها احد».

«نقول هذا، ويهمنا ان نؤكد في مستهل هذه الكلمة حرصنا التام على العلاقات الاخوية والابدية التي تربط الشعبين الشقيقين، لقد علق الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام في عدد الجمعة على ثورة السودان، فاعلن لأول مرة انه كان ينادي باستقلال السودان، لا بسيادة مصر عليه، وقال ان الاستقلال عنده، هو المنطلق الصحيح للوحدة».

ومضى يقول في تعليقه«انه قد جاء الوقت لكي تتوقف القاهرة عن الاستمرار في طريق

الهرب من كل ما يجري في السودان، وانه قد فات الوقت الذي كانت القاهرة تدير عيونها عما يجري في الجنوب، وتتظاهر بانه لا يعنيها، ولا يهمها»».

«أننا مع حرصنا التام، ورغبتنا الاكيدة في توثيق وشائج العلاقات بين الشعبين الشقيقين، يهمنا ان نرحب باهتمام القاهرة بما يجري في السودان، ولكننا نرى ان لا يؤذن لهذا الاهتمام بأن يبلغ درجة التدخل، اكان من القاهرة أو من الخرطوم، ويوم يحدث شيء من هذا، تدور العجلة الى الوراء، ونلقى انفسنا في عام ١٩٥٤، وما سبقه من اعوام مما ترتبت عليه نتائج وخيمة، احسن الوصف الاستاذ هيكل، حين اشار الى الانفعالات العاطفية المتشابكة والمعقدة».

«لنعمل في الخرطوم، وفي القاهرة على تقوية صلات الود والتعاون، وتدعيمها، ولنتطلع في الوقت نفسه الى كل ما من شأنه ان يرجع بنا القهقرى أو يوهن من الرباط المقدس المعقود بين شعبينا، وليكن رائدنا دائما وفي كل حين، صيانة استقلالنا هناك في مصر، وهنا في السودان، وسوف يكتب لنا النصر باذن الله».

«ولتكف صحافة القاهرة عن نشر المعلومات الخاطئة عن ثورة اكتوبر الشعبية، فالحقائق اليوم متفتحة، فلا رقابة على الاخبار، ولا همس بالانباء، وهي ثورة شعب، انبثقت من صفوف قيادة رشيدة، لا يحق لاحد ان يشكك فيها او يطمس معالمها وهي تتمتع بهذا السند الرائع».

تلك كانت افتتاحية صحيفة الايام السودانية حول ما تناقلته الصحافة المصرية عن ثورة السودان، وقد كان فيها الكثير من العتاب.

ونشرت صحيفة الاخبار القاهرية يوم ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) رسالة من موسى صبري رئيس تحرير صحيفة الاخبار، وكان اول من وصل الى الخرطوم من القاهرة، بعنوان «الجماهير تهتف للجمهورية العربية المتحدة، وعبد الناصر»..!! وتساءلت صحيفة «الايام» اليومية المستقلة، من أين جاءت الاخبار بهذه الهتافات؟

وقالت الصحيفة متعجبة «انه ليس عيبا، وليس كثيرا اذا هتف شعبنا للجمهورية العربية المتحدة ولعبدالناصر، فطالما فعل في المواقف الصحيحة، ولكن لكل عمل مبرر، فماذا قصد الاستاذ موسى صبري، هل أراد ان يقول لنا، غصباً عن ارادتنا، ان الجمهورية العربية المتحدة هي السبب وراء هذه الثورة، وان عبد الناصر هو رائد هذه الثورة المزمجرة، وأن فضله يعود للجمهورية العربية المتحدة..؟ وهل يريد الاستاذ موسى صبري ان يقول اننا قطعان قادها غيرها الى هذا النصر!؟

ان ثورة تشرين الاول (اكتوبر) لم تكن مرسومة من القاهرة، ولم يكن الرئيس جمال عبد الناصر مدبرا لها، او قائدا لجماهيرها في شوارع الخرطوم.. فلماذا تردد الجماهير ما كتب موسى

صبري؟ ان ثورة ٢١ تشرين الاول (اكتوبر)، ثورة شعبية وثورة ٢٣ تموز (يوليو)، ثورة عسكرية، وليس بينهما تشابه، كما انها ليست امتدادا لها ولا وليدة تجاربها.
وليس صحيحا ما اورده موسى صبري ان صحافياً، كان موالياً للعهد البائد ملأت الجماهير فمه بالسمك حتى كاد ان يموت، وهذه الواقعة لم تحدث!»
وكان من الواضح ان تعليقات القاهرة لم تكن موضع قبول او رضاء الرأي العام السوداني.

وظهر لدى العديد من السودانيين ان بعض الصحف المصرية ارادت النيل من ثورتها الشعبية، فخرجت مظاهرة احتجاج صاخبة، وصدر بيان من وزارة الداخلية يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ جاء فيه:
«ذهب بعض المتظاهرين في منتصف صباح امس نحو دار السفارة المصرية بالمقرن (الخرطوم) واحدثوا بعض الاضرار الخفيفة، ولم يكن في السفارة انذاك احد من الديبلوماسيين المصريين، ولم يلحق ضرر بالموظفين السودانيين الذين كانوا في السفارة.
واحاطت احدى التظاهرات بالسفارة الاميركية، ورددت هتافات تدين التدخل الخارجي، ولم يهاجم المتظاهرون السفارة، الا ان احدهم انزل العلم الاميركي ،وانفضوا بسلام وان الدولة، فرضت الحماية الكافية على كل البعثات الديبلوماسية في الخرطوم.

واصدرت وزارة الخارجية السودانية بيانا يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤، جاء فيه:
«اهتمت حكومة السودان، اهتماما بالغا بحوادث الشغب والتخريب التي حدثت لبعض السفارات الاجنبية في الخرطوم يوم ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر)، وبذلت جهدا كبيرا لايقافها، كما اوفدت بعض الوزراء لمخاطبة الجماهير التي التفت حول السفارات، وتأسف الحكومة لما وقع لبعض السفارات من ضرر، وقد قام السيد وزير الخارجية محمد احمد محجوب والسيد وزير الزراعة احمد سليمان بزيارة السيد سفير مصر محمود سيف اليزك، وابلغاه ان تلك الحوادث لا تعكس صلات البلدين، ولكنها من الاشياء التي تحدث في مثل هذه الفورات، وعبرا عن ثقتهما الا يؤثر ذلك على العلاقات بين البلدين، وقد قام السفير بابلاغ تلك العواطف الى الرئيس جمال عبدالناصر الذي تفضل مشكوراً، وصرح بأن حكومته لن تسمح لمثل هذه الحوادث البسيطة بأن تؤثر في العلاقات الاخوية بين البلدين. وان مصر تعتبر الذي وقع لسفارتها، كأنه لم يكن».
ومن جهة اخرى اذاع راديو القاهرة تصريحاً للناطق الرسمي، جاء فيه: (ان هنالك مخططا استعماريا لاساءة العلاقات بين البلدين «مصر والسودان» واكد ان شعبي البلدين لن يحققا

للاستعمار والرجعية اغراضها الدنيئة).

وكان من الواضح ان عبد الناصر يتابع كل هذه التطورات الجديدة في السودان باهتمام شديد.



ناصر وسر الختم الخليفة رئيس الوزراء ومحمد احمد محجوب وزير الخارجية

ووجهت الحكومة المصرية الدعوة الى رئيس الوزراء سر الختم الخليفة لحضور احتفالات السد العالي في مطلع كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥، كما وجهت الجامعة العربية ايضا الدعوة الى حكومة السودان لحضور اجتماعاتها على مستوى رؤساء الوزارات، وسافر الخليفة الى القاهرة، وبصحبته محمد احمد محجوب وزير الخارجية واحمد سليمان وزير الزراعة وازيوني منديري وزير المواصلات واستقبل عبد الناصر، الوفد السوداني في يوم وصوله في منزله في منشية البكري، وكان معه المشير عبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين، وانور السادات، وعلى حد قول سر الختم الخليفة رئيس حكومة أكتوبر، كان عبد الناصر راغباً في معرفة كل التفاصيل المتعلقة بثورة اكتوبر، وبالاتفاق الذي تم بين القيادات السياسية وجبهة الهيئات والقيادة العامة للجيش السوداني والميثاق الوطني، وكانت تعليقاته تنم عن ارتياح وترحيب بما حدث في السودان، وعبر عن استعداد مصر التام لتلبية كل ما يطلبه السودان، واكد قناعته، واحساسه الدائم، بان في قوة واستقرار السودان، قوة واستقرارا لمصر، وان اي خطر لاي منهما يشكل بدوره خطرا على الاخر، وقال ان الوقت قد حان لتنفيذ مشروعات مشتركة في مجال الاستثمار الاقتصادي لصالح البلدين، وأتسم اللقاء بجو اسري، اكثر منه بجو رسمي، اذ كان عبد الناصر وزكريا والمشير عامر والسادات يعرفون المحجوب جيدا واحمد سليمان الذي عرف بحيويته

وعفويته.. اذ عاش فترة في مصر ودراسته الجامعية في مصر، واعتقل في عهد الباشوات. وعند نهاية اللقاء، سأل عبد الناصر احمد سليمان عن اية خدمة يطلبها؟ فالتمس منه ان يأمر الميناوي أو حلاوة وقد رقي كل منهما الى رتبة لواء شرطة، ان يسلماه الاوراق التي اخذها رجال الشرطة عند تفتيش مقره وبينها ترجمته لكتاب «النجمة الحمراء فوق الصين» كتاب للكاتب الاميركي ادجار سنوكنت، وقد ترجمه للعربية في مناسبة تأسيس الدولة الجديدة في الصين الشعبية عام ١٩٥٠.

وضحك عبد الناصر وقال مازحا «كله الا كده، واذا ما اصريت على طلبك، فسنلقي عليك القبض اذ ان الدعوة الجنائية ضدك لازالت قائمة، حيث انه اطلق سراحك بالضمان فقط، وحيث ان الدعوة لم تسقط بعد بالتقادم، ولن يشفع لك انك قد صرت وزيراً». وضحك الجميع.

وسأل عبد الناصر، رئيس الوزراء (سر الختم) ووزير الخارجية (محجوب) عن علاقات السودان مع اثيوبيا، اذ انه تلقى تقارير تشير الى ان الامبراطور هيلاسيلاسي قلق تماما للمتغيرات الجديدة في السودان، وقد ازعجه ان الثورة الشعبية في السودان اعلنت تأييدها بلا تحفظ للاريتريين، كما انه تقدم باكثر من احتجاج بسبب تدخل السودان في شؤون اثيوبيا، ومساندته للاريتريين، واجابه محجوب، ان السودان حريص على تجنب المشاكل مع الدول المجاورة، وبشكل خاص مع اثيوبيا، وان الامبراطور هيلاسيلاسي يبالغ احيانا فيما يتعلق بالتدخل في شؤون بلاده!!

وكان تعقيب عبد الناصر «انه يتعين على السودان ان يكون دائم الحذر فيما يتعلق بالتعامل مع اثيوبيا، والامبراطور بشكل خاص».

وكان من الواضح ان عبد الناصر يشغله امر اليمن، والاجهاد الذي لحق به بسبب وجود الجيش المصري هناك، وكان من الواضح، انه يبحث عن مخرج.

وسأل عبد الناصر، محجوباً عما اذا كانت الاحزاب السياسية مستعدة، للمرحلة الجديدة، بعد ان جمد نشاطها مدة ست سنوات، واذا كانت قد اخذت في الاعتبار التجربة السابقة، فابلغه ان الاحزاب الرئيسية (الاتحادي الديموقراطي) و(الامة) عقدت مؤتمراتها، وبدأت بالفعل استعدادها للانتخابات العامة.

واستفسر عبد الناصر، عن صحة الفريق ابراهيم، فابلغه رئيس الوزراء، سر الختم الخليفة، انه في حالة طيبة، وانه تقبل التطورات الجديدة بتفهم صحيح، وانه كان حريصاً حتى آخر لحظة على تماسك الجيش ومنعته، وايضا على تماسك الجبهة الداخلية، والحفاظ على المصالح القومية والوطنية.

وارتاح عبد الناصر لهذه المعلومات الاخيرة عن الفريق عبود. واخذت التطورات الجديدة، تتسع، وفي كل مرة يكون السودان طرفا، وعبد الناصر.. الطرف الاخر، واحيانا معاً خصوصاً ازاء الاحداث بعد عام ١٩٦٥!!

السودان
وحرب يونيو

كانت ثورة اكتوبر الشعبية العام ٦٤، تمثل تأكيدا جديدا لعبد الناصر على وعي ونضوج الشعب السوداني، وانه متفرد بخصائصه، ولذلك كان شديد الحرص على الابقاء على مكانته معه، وعلى معرفة ما يريده ويتطلع اليه. والتقى بالقوى السياسية الرئيسية ممثلة بالحزبين الكبيرين «الاتحادي الديموقراطي»، و«حزب الامة» للأستماع إلى وجهة نظرها في المرحلة الجديدة، وفي اطار المتغيرات الاقليمية والدولية، وخاصة في المنطقة العربية.

وعلى حد قول الصادق المهدي رئيس حزب الامة ورئيس الوزراء، «كان في ذهن عبد الناصر مراجعة وتقويم علاقاته المباشرة مع القوى السياسية الرئيسية من جهة والعلاقات المصرية ـ السودانية من جهة اخرى، وبصورة صحيحة».

وفي هذه اللقاءات مع السيد محمد عثمان الميرغني، واسماعيل الازهري، وحسن عوض الله والشريف حسين الهندي وعلي عبد الرحمن (الاتحادي الديموقراطي) ومع الامام الهادي المهدي، والصادق المهدي ود. عبد الحليم محمد، ود. عبد الحميد صالح وحسن محجوب (الامة) كان وده فياضا، وقلبه مفتوحا، بشأن التطورات الداخلية في السودان وفي اللقاءات العربية.

واظهر عبد الناصر لبعض محدثيه في هذه اللقاءات استياء شديداً عن حرب اليمن، التي استمرت عدة سنوات، واستنزفت امكانيات مصر بالملايين من الدولارات يوميا، الى جانب القتلى والجرحى، من الضباط والجنود المصريين وذلك في حرب الجبال مع القبائل اليمنية.

وفي اعقاب انتخابات عام ١٩٦٥، حيث شكل مجلس السيادة برئاسة اسماعيل الازهري، وحكومة ائتلافية برئاسة محمد احمد محجوب، ثم حكومة ائتلافية برئاسة الصادق المهدي عام ١٩٦٦ بعث الازهري (رئيس مجلس السيادة) والصادق المهدي (رئيس الوزراء) بمبعوث خاص (محمد عثمان ياسين وكيل وزارة الخارجية) الى جمال عبد الناصر، حاملا خطة سلام لايقاف حرب اليمن، ويستفسران فيها رأيه لانهما ايضا بصدد عرضها على الملك فيصل والتقى المبعوث الشخصي، فور وصوله بعبد الناصر وامضى معه نحو الساعتين.

وعاد المبعوث الشخصي إلى الخرطوم فأعد مذكرة مكتوبة لكل من الازهري والصادق المهدي عن نتائج مهمته واجتماعه بعبد الناصر.. جاء فيها ما يلي:

«اخبرته ان حكومة السودان لا تريد ان يكون موقفها من مشكلة اليمن موقف مراقب. واكدت للرئيس ناصر حرص السودان على القيام بدور فعال لايجاد حل لقضية اليمن التي اضاعت، واستنزفت، جهود العرب ومواردهم الاقتصادية، وخصوصا دماءهم وارواحهم. وان لدى حكومة السودان اقتراحات لحل معقول، وفي امكان السودان تسلم المشكلة من النقطة التي تركتها المحاولات الاخرى. واخبرت الرئيس ناصر، ان وفداً سودانيا برئاسة الرئيس الازهري سيقوم بزيارة رسمية للمملكة العربية السعودية، ويقدم الاقتراحات نفسها الى الملك فيصل، واكدت له ان ما احضرته معي من الخرطوم، لا يكون سوى ملخص لخطة، اما التفاصيل، فستوضح في مرحلة تالية».

وتمضي مذكرة المبعوث الشخصي للازهري وللصادق المهدي الى القول: «ثم قرأت الاقتراحات الخاصة بالسلام في اليمن استمع الرئيس ناصر بانتباه شديد وكان اول تعليق له على احد الاقتراحات (الاشارة الى تشكيل حكومة ادارية)، ظهور علامات اشمئزاز على وجهه مما عكس دهشته، ومعارضته الشديدة، وسأل بامتعاض: كيف نفسر هذا الاقتراح الذي يزيل حكومة ونظاما اصبحا ثابتين تماما ومعترفا بهما ايضا من قبل كل الدول، وهما ممثلان في الامم المتحدة؟ ثم تناول بصراحة، وبشيء من التطويل، الصعوبات التي يواجهها في اليمن، وكشف تفاصيل الخسائر الفادحة التي مني بها بلده في الرجال والسلاح والمال. وقال ان عدد الجيش في اليمن يبلغ نحو ٧٠,٠٠٠ جندي وضابط، وان نحو ٣٠٠٠ منهم قد قتلوا وتحدث عن المشكلات الداخلية في المجال الاقتصادي، فقال ان الولايات المتحدة اوقفت «المعونة الغذائية» التي تقدر بستين مليون دولار في السنة. واعترف ايضا بانه ضاق ذرعا بالخلافات في الرأي والمنازعات الناجمة بين الجمهوريين اليمنيين انفسهم، وعنفهم واحدا، واحدا، ووصف بعضهم، بالفساد والجهل».

وتابعت مذكرة المبعوث الشخصي السوداني: بعد مراجعة كل اوجه الوضع بصورة مطولة، اكدت للرئيس ناصر، اننا ندرك تماما مشكلاته، ثم سألت رأيه في البنود التي تتألف منها اقتراحات الحكومة السودانية وتعليقاته عليها، وهي كما يلي:

البند الاول: تقرير مستقبل اليمن.

اعرب الرئيس ناصر عن شكه في امكان تحقق شيء فقال في هذا الشأن، في وقت اصبح فيه كل يمني مدججا بالسلاح، يحارب اما في الجبهة الملكية واما في الجبهة الجمهورية، الى جانب



الملك فيصل بين الازهري رئيس مجلس السيادة والمحجوب رئيس الوزراء

وجود انقسام بين صفوف الجمهوريين.

قلت ان حكومتنا ستنظر الى كل هذه العوامل، وبمجرد ان تزال يفتح الطريق الى تسوية.

البند الثاني: لجنة للاشراف على تقرير المصير.

وافق على ان يرأس السودان اللجنة، وان ترشح المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة دولتين اخريين لعضويتها.

البند الثالث: فترة فاصلة لخلق جو طبيعي ومحايد.

قال عبد الناصر ان ستة اشهر لن تكون كافية، واقترح بدلا من ذلك فترة من تسعة اشهر الى اثني عشر شهرا، آخذا في الاعتبار استقلال اليمن الجنوبية المقبل، والموعد الذي حددته الحكومة البريطانية لذلك.

ثم تلا ذلك نقاش حول فقرة، تنص انه لا يجب ان تشترك عناصر ترمز الى الفريقين المتنازعين، ورأى عبد الناصر، انه ليس عدلا، ولا عمليا مساواة اولئك الذين كانوا في الحكم بالذين ليس لهم تأييد محسوس.

البند الرابع: حكومة ادارية مؤقتة.

سبق ان لخصت في هذا التقرير رأي عبد الناصر في هذا الشأن.

ولم تمض هذه الخطة الى مرحلة التنفيذ انذاك اي عام ١٩٦٦، اذ رأى عبد الناصر التحفظ على جهود السلام في اليمن والتي تقتضي نوعا من التسوية مع الملكيين.

وسافر اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة في زيارة رسمية الى المملكة العربية السعودية في مطلع عام ١٩٦٧، حيث استقبله الملك فيصل بحفاوة بالغة فهما قد تعارفا عام

١٩٥٤، عندما كان الفيصل، وليا للعهد ووزير خارجية المملكة العربية السعودية، والازهري رئيسا لأول حكومة وطنية بالسودان. وتوطدت بينهما الصلة في لقاء ثانٍ ابان انعقاد مؤتمر دول عدم الانحياز عام ١٩٥٥ في باندونغ.

وتناولت محادثاتهما العلاقات الثنائية والاوضاع العربية وبشكل خاص موضوع اليمن، والمقترحات السودانية لوقف القتال. وكان رأي المملكة العربية السعودية، انها لم تدخر وسعاً او جهداً للوصول الى حل، والتقيد ببنود اتفاقية جدة نصاً وروحاً ولكن الاطراف الاخرى لم تتقيد بها.

وفي مايو (ايار) ١٩٦٧، تولى محمد احمد محجوب رئاسة الحكومة الائتلافية الجديدة (الاتحاد الديموقراطي والامة) وانتقل الصادق المهدي الى صفوف المعارضة في الجمعية التأسيسية، وكانت هنالك مؤشرات قاطعة بوقوع حرب مع اسرائيل في اعقاب طلب عبد الناصر من يوثانت امين عام الامم المتحدة سحب قوات الطوارىء الدولية من خط الهدنة مع اسرائيل.

وسارعت الحكومة السودانية الى ارسال وفد على مستوى عال برئاسة حسن عوض الله نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية الى القاهرة للاجتماع بعبد الناصر وابلاغه استعداد السودان لتقديم كل ما تحتاجه مصر، والقيام بما هو مطلوب منه في هذه الظروف الدقيقة.

ووقتها قال عبد الناصر للوفد السوداني، والحديث على لسان حسن عوض الله، «فرقة سودانية واحدة، لكيلا يفوت السودان شرف المشاركة في الانتصار»!!.

وعاد الوفد ونقل ما دار بينه وبين عبد الناصر الى كل من رئيس مجلس السيادة الازهري ورئيس الوزراء محجوب. كان مفرطا في الثقة والتفاؤل.

ووقعت حرب ٥ حزيران (يونيو) ٦٧، واصيب الشعب السوداني بصدمة فاجعة، كما لو ان زلزالا عنيفا قد ضربه، وظل واجما تماما وهو يستمع الى البيانات، وانباء الاذاعات التي اكدت اكتساح القوات الاسرائيلية سيناء، والقنال في مصر والضفة الغربية بالاردن، والجولان بسوريا.

وواجهت الحكومة السودانية بمسؤولية وحسم شديدين نحو هذه التطورات الحزينة، فعقدت اجتماعا طارئا، حددت فيه الاسبقيات في الداخل ومع مصر واتخذت عدة قرارات، ودعا محمد احمد محجوب رؤساء تحرير الصحف السودانية الى اجتماع طارىء نقل اليهم اخر التقارير التي تلقاها والتي تشير الى ان الطيران الاسرائيلي حقق ضربة قاصمة على الطيران المصري بضرب طائراته وهي جاثمة على الارض. وطلب من الصحافيين شحذ الروح المعنوية للسودانيين وقال لهم تذكروا موقف السودان ابان العدوان الثلاثي على مصر، ان الوضع الان

اخطر وافدح، ولكننا قادرون وقت الشدائد على اثبات الصلابة وتقديم المبادرة المطلوبة.

وقدم رئيس الوزراء بيانا وافيا امام الجمعية التأسيسية، يشتمل على تطورات موقف الحرب والقرارات الفورية التي اتخذتها الحكومة ومنها:

١ ـ ارسال قوات سودانية (ارسلت بالفعل الى مصر، وعسكرت في بورفؤاد).
٢ ـ تأكيد التزام السودان بحالة الحرب المعلنة ضد العدو الاسرائيلي.
٣ ـ تلبية كل احتياجات الحكومة المصرية وعلى الفور.
٤ ـ ارسال مؤونة وماشية الى الجيش المصري.
٥ ـ اغلاق المطارات امام طائرات الولايات المتحدة وبريطانيا، وسفنها.
٦ ـ قطع العلاقات الديبلوماسية مع كل بلد ساعد او يساعد اسرائيل.
٧ ـ وضع الجيش السوداني في حالة استعداد قصوى تحسبا لأي طارىء.
٨ ـ يظل مجلس الوزراء، وكل الاجهزة التابعة له في حالة انعقاد وعمل مستمر.

وتحدث الصادق المهدي زعيم المعارضة في الجمعية التأسيسية مؤيداً الحكومة في القرارات التي اقتضتها ظروف الحرب. ولكنه طالب بضرورة معرفة الاسباب التي ادت الى وقوع الهزيمة المريرة، بهذه السرعة، وبهذا الاتساع المريع وقال: انه من دون معرفة هذه الاسباب، فانه يصعب معالجة الموقف ورد العدوان، واسترداد الارض العربية، وطالب العرب بضرورة التماسك، والاستفادة من هذا الدرس القاسي، لانه ثبت لهم ان العدو المشترك، اسرائيل، لا يعرف المهادنة، وان مطامعه بلا حدود، وانه يحتاج الى تعامل قائم على العمل، وليس الشعارات.

وخرجت المظاهرات الشعبية في جميع مدن السودان بغضب صارخ وفاجع، ومعلنة مساندتها لمصر وبمواصلة القتال ضد العدو الاسرائيلي.

وظل مجلس الوزراء برئاسة المحجوب في حالة انعقاد لمتابعة تطورات الحرب، وازداد القلق عندما نقلت الانباء ان القوات الاسرائيلية التي احاطت بالقدس خلال الليل، قد اقتحمت المدينة القديمة صباح اليوم التالي، وسقطت القدس. وقال محجوب، ان سقوط «القدس» كان اسوأ اللحظات المحزنة التي مرت بنا، وان الشريف حسين الهندي وزير المالية والاقتصاد على الرغم من قوة شكيمته وشجاعته، انتحب وبكى متأثراً لوقوع «القدس» في ايدي العدو الاسرائيلي.

وراحت الصحف السودانية، تصدر طبعات متلاحقة لتغطية الاحداث اولاً بأول، والغت الاذاعة والتلفزيون البرامج العادية، واستبدلت بتلاوة القرآن، والاحاديث، والاناشيد الوطنية والندوات.



محجوب في مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في الكويت العام ١٩٦٧ وخلفه الشريف حسين الهندي وزير المالية الذي بكى اثر احتلال القدس

تطورات الموقف على الجبهات العربية، وفي الوقت نفسه واصل اتصالاته بالملك فيصل بالسعودية للتشاور ولتقويم مجريات الحرب على ضوء المعلومات التي تلقياها.

وكانت لاتصالات هذين الزعيمين وتشاورهما المتصل، اثار ايجابية وحاسمة، ستظهرها الحلقات المقبلة.

وفي يوم ٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، اعلن عبد الناصر عن مسؤوليته عن الهزيمة، وقال للشعب العربي «قررت التنحي كلياً، ونهائيا عن اي عمل رسمي او سياسي، وان اعود الى صفوف الشعب لأقوم بواجبي معه».

وما كاد عبد الناصر ينهي خطابه حتى خرجت الجماهير السودانية تلقائيا الى الشوارع والميادين، واتجهت نحو رئاسة مجلس الوزراء، ونحو القصر الجمهوري، والسفارة المصرية بالمقرن، تطالب ببقاء عبدالناصر في موقعه، وظلت المواكب مستمرة في طوافها حتى صباح اليوم التالي.

وعندما اعلن راديو القاهرة، ان عبد الناصر استجاب لرغبة الجماهير العربية، وقبل بالعودة الى موقعه الى حين انتهاء المعركة، بعدها انفضت الجماهير في هدوء.

وفي ذلك المساء، كانت لعبد الناصر محادثة تلفونية وخطيرة مع اسماعيل الازهري في مكتبه بالقصر الجمهوري في الخرطوم.

ليتني
متُّ قبل الهزيمة

وقع العدوان الاسرائيلي يوم ٥ يونيو ٦٧ على مصر والاردن وسوريا، وحدثت الهزيمة بكل ما تمثله من دمار وخسائر واحتلال للارض، واعلن عبد الناصر قرار تنحيه، ثم العدول عنه يوم ١٠ يونيو ٦٧، نتيجة للضغط الشعبي الواسع في مصر والسودان والدول العربية.

وكان على عبد الناصر ان يتصرف، على ضوء التفويض الجديد، ويغالب احزانه لمواجهة متطلبات وضع لم يكن في حسابه ولا في حساب أي من القادة العرب. وكان اول هاتف خارجي له مع اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة في مكتبه بالقصر الجمهوري بالخرطوم.

وعلى حد تعبير الازهري لبعض مساعديه آنذاك: «كان صوته مثخناً بالجراح والاسى والمرارة».. وقال له: «انه يغالب مشاعره، واحزانه الدامية في محاولة لأن ينقل اليه حقيقة الوضع في مصر على ضوء حقائق مجردة تلقاها من القيادة العسكرية».

ان مصر الان في وضع حرج وخطير، وان القوات الاسرائيلية، احتلت سيناء، ووصلت الى ضفة القناة، وهم اذا ارادوا عبورها لما وجدت عائقا يذكر يعترض تقدمها!! وقال انه استدعى السفير السوفياتي في القاهرة، وطلب منه ابلاغ قادة الكرملين ان يسارعوا كاصدقاء الى تزويده بالسلاح للدفاع عن القاهرة. وان السفير السوفياتي سرعان ما عاد اليه وابلغه، ان القيادة السوفياتية ردت بقولها: «انها لا تستطيع في هذه اللحظة التفكير في تزويدهم بالسلاح من دون ان تعرف الاسباب التي حدت بالقيادة العسكرية المصرية الى ترك السلاح السوفياتي، وهو بعد احدث سلاح واكفأ سلاح، في العراء على ارض سيناء، وان عدم استخدامه في هذه الحرب يمثل هزيمة معنوية لهم!، وان مما يحزنهم ويقلقهم، ان الجانب الاخر، يقصدون اسرائيل والاميركيين، سيجدون بسهولة بالغة المعلومات والاسرار التي حاولوا في سلسلة من العمليات الحصول عليها، ليعرفوا المستوى الذى بلغه السوفيات في مجال تطوير الاسلحة وتحديثها، وانهم الان يجدونها بيسر وسهولة في متناول ايديهم، كل المعدات الصغيرة، والكبيرة من الاجهزة والاسلحة والدبابات والقذائف والقذائف المضادة!!

ومضى عبد الناصر في محادثته التلفونية مع الازهري، سارداً هذه المعلومات بتفاصيل وترتيب: «انه مع ذلك طلب من السفير السوفياتي، ابلاغ قادة الكرملين، ان هذا الوقت لا يحتمل الاجابة عن اسئلتهم. وان ينقل اليهم ان القوات الاسرائيلية، اذا ارادت الوصول الى

القاهرة، فأنها لن تجد مانعاً. صحيح، ان الشعب المصري يستطيع استخدام يديه وفكيه، وكل ما يملك من ادوات المقاومة والفدائية، ولكن لانهم ـ أي الاسرائيليون ـ يستخدمون اسلحة حديثة ومدمرة، فيستمكنون من اصابة اهدافهم من البعد، وهم في مأمن، من دون خوف من رد قتالي مماثل.

وقال عبد الناصر: ان السفير السوفياتي، سرعان ما تلقى اجابة مختصرة، مفادها التحفظ أو الامتناع!

.. «ولانه في هذه الظروف، لا يتوقع الحصول على السلاح من اي طرف اخر، فانه غالب بدوره العديد من الاعتبارات، وبعث برسالة مكتوبة اخرى الى القيادة بالكرملين حاثاً على تزويده بالسلاح».

... «وأنه قد تلقى قبل قليل ايضا، ردا ايجابيا، يفيد بموافقتهم على تقديم السلاح، ولكن بشروط قاسية، اذ طلبوا دفع الثمن نقداً ومقدماً، ووضعوا بديلاً في حالة عدم الدفع نقداً، وهو اشتراطهم عند وصول سفينة محملة بالسلاح، ان يكون هنالك ما يقايضها او يعادلها من القطن المصري، ويجري انزال السلاح، دفعة، دفعة، وفي الوقت نفسه يدخل القطن الموازي في قيمته، لثمن السلاح دفعة.. دفعة.. لتعود به الباخرة على الفور».

كان عبد الناصر مسترسلا في التفاصيل، وبترتيب دقيق، وكان ايضا، كمن «يفضفض» في الحديث مع شقيق كبير يطمئن اليه، ولا يجد سواه لأشراكه في امر مصيري.

وكان الازهري مصغيا اليه بكل حواسه، ويردد بين فينة واخرى.. نعم.. نعم.

وكرر عبد الناصر القول لاسماعيل الازهري «ان السوفيات وافقوا على تقديم السلاح لمصر، ولكن بشروط قاسية، الدفع نقدا ومقدما، واذا تعذر بما يوازي قيمته من القطن، على ان لا تتم عملية انزال السلاح الا بعد التأكد من ان القطن جاهز ومعد للشحن..».

«ان اوضاعنا حرجة، وأننا في موقف لا نحسد عليه، وانني ارجوك، الاتصال بالاخوة الملوك والرؤساء، وان تنقل اليهم بأننا لا نستطيع الصمود من دون عون مالي من جانبهم، لكي ندفع ثمن السلاح الذي نقاتل به القوات الاسرائيلية التي اصبحت على مرأى العين وفي ارض مصر وان تنقل ايضا اليهم الشروط التي يتعين علينا قبولها لتزويدنا بالسلاح، لاننا لن نجد بديلا اخر».

كانت نبرات عبد الناصر عبر المحادثة التلفونية الطويلة، مثخنة بالاسى والمرارة، ولكن ظل ذهنه صافيا ومرتبا.. وكان من جانب يتحدث كرئيس دولة مطالب بمواجهة اعباء ملحة وعاجلة وعسيرة، ومن جانب اخر كان كانسان بحاجة الى ان يفضفض «لشقيق كبير»

بمتاعبه، ومتاعب مصر، وظل الازهري يطمئنه من لحظة لاخرى في قوله، ان السودان، شعبا، وحكومة مع مصر وشعبها. ويكرر على الطريقة السودانية «ما في عوجه» وانه سيبادر على الفور في اتخاذ الخطوات المناسبة لابلاغ القادة العرب بالاوضاع في مصر. وطمأنه اكثر من مرة.. ثم وضع السماعة في مكانها، وقال للذين كانوا على قرب منه، انها كانت اطول محادثة هاتفية جرت بين عبد الناصر والازهري.. وربما بين القاهرة والخرطوم على الاطلاق.

وكان اول اتصال هاتفي عاجل للازهري مع الملك فيصل (السعودية) ثم الامير الصباح (الكويت) ثم دعا مجلس السيادة الى اجتماع في مكتبه، وقد وصل الى قرار المبادرة بعد ما احاطهم اولا بما نقله اليه عبد الناصر عن الاوضاع في مصر بعد الحرب المباغتة، وانه يعتزم التوجه غدا الى القاهرة، اذ لابد ان تشعر مصر، حكومة وشعبا، ان السودان معها «قلبا وقالبا» واننا اشقاء في السراء والضراء، ثم ابلغهم انه سيوجه الدعوة الى اجتماع للملوك والرؤساء العرب في الخرطوم، وانه لمس من اتصالات مع اكثر من عاصمة عربية عدم الاعتراض.

ووصل اسماعيل الازهري الى القاهرة، ليكون اول رئيس عربي يصل اليها. وبعده، جاء الرئيس الجزائري هواري بومدين، فالرئيس العراقي عبد الرحمن عارف، ثم لحق بهم الرئيس الاتاسي (سوريا)، وجرت اجتماعات اطلق عليها (القمة العربية المصغرة).

وفي هذا الاجتماع، شدد اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة، على وجود اهمية قصوى للقاء قمة عربي بالخرطوم، لنواجه الموقف الجديد وما ينبغي القيام به.

وجاء محمد احمد محجوب رئيس الوزراء ووزير الخارجية قادما من الولايات المتحدة، حيث اشترك في الدورة الطارئة للامم المتحدة التي ناقشت حرب الشرق الاوسط وايقاف اطلاق النار، ونقل للمجتمعين ما دار من مناقشات حول الحرب، وان الدول الغربية عموما باستثناء فرنسا واسبانيا، ايدت وجهة النظر الاميركية في الدرجة الاولى. ونقل اليهم ان الوفود العربية قد ظلت على اتصال ومشاورات متصلة، وحققت مع بعضها مستوى عالياً من التعاون والتنظيم والتفاهم.

وفي مؤتمر القمة المصغرة، قال عبد الناصر انه «لا يعتقد بوجود اي فائدة من الحل السياسي»، وتناول مضامين الهزيمة واثارها على الوضع الداخلي في مصر.

وانتهى لقاء القمة المصغرة بالقاهرة على امل اللقاء بالخرطوم وطلب عبد الناصر من المحجوب رئيس الوزراء ان يراه في منزله بمنشية البكري.

وقال محمد احمد محجوب رئيس الوزراء في مذكراته: «ذهبت لارى عبد الناصر في بيته بمنشية البكري في القاهرة عند المساء، وبعد اجراءات الامن العادية سمح لسيارتي بالدخول ثم

اخذني السكرتير الى غرفة جانبية واسعة، بنيت حديثا، وبعد عشر دقائق، دخل عبد الناصر وهو يرتدي قميصاً مفتوح الياقة، قصير الكمين، فامسك بذراعي، واعتذر اليّ عن تأخيره قائلا وهو يبتسم ان جيكوب مالك اطال الزيارة، ثم اضاف قلت لمالك، اننا رفضنا قرار الاتحاد السوفياتي».

وتابع حديثه: «يا عزيزي محجوب، طلبت ان تأتي، لأنني اردت شخصا، استطيع ان افرغ امامه ما في قلبي». كان متعباً، وحزينا جداً.

قال لي ناصر: «كان خيرا لي لو مت قبل ان اشهد هذه الهزيمة، واسوأ من الهزيمة نفسها خيبة املي في صديق العمر عبد الحكيم عامر (القائد الاعلى للقوات المسلحة المصرية)، قلت لعبد الحكيم ان الحرب الحديثة اصبحت علماً، وان كلا منا، قد ابتعد عن الجيش زمنا طويلا، ولم يعد صالحا للقيادة العليا، طلبت منه ان يبقى نائبا للرئيس وان يستقيل من قيادة القوات المسلحة، ولكن عبد الحكيم اصر على الاحتفاظ بالمنصبين. وليس ذلك كل شيء بل دفع بعض كبار الضباط الى تقديم عريضة يطلبون فيها ابقاءه قائداً عاماً. فأرجعت العريضة اليهم، واخبرتهم ان هذا الامر، مخالف لنظام الجيش، ولكنهم قدموا عريضة اخرى، فكان لا خيار امامي هذه المرة سوى فصلهم جميعا من الجيش. وغضب عبد الحكيم، واعتكف في قريته فارسلت اطلب عودته الى بيته في القاهرة، فعاد، بيد ان الضباط يتابعون زيارته في بيته، وتلك مسألة تزعجني».

وبعدما اطلعه ناصر على شجاره مع عامر، وتحطيم سلاحه الجوي، سأل محجوب «ما رأيك في ما رأيت بالقاهرة خلال اقامتك؟ اعرف ان لك اصدقاء كثيرين هنا، وانت اقدر منا على تقدير الوضع، لان اصدقاءك يحدثونك بحرية».

ورد محجوب: «ان الوضع الذي اجده في مصر، وضع قلق وضياع تام. كنت تقول لي ان الحرب الحديثة اصبحت اليوم علمية، لكنني ارى ان الحروب، ليست مجرد معارك يقوم الجنود وقوة السلاح بكسبها. ان معنويات الشعب مهمة جدا، والمعنويات في الجمهورية العربية المتحدة، منحدرة جدا منذ سنوات كثيرة، قبل ثورة ٢٣ يوليو وبعدها. لقد كبتت الحريات الاساسية، وسجن كثيرون من الناس او حجزوا، وصودرت املاك الكثيرين، اقترح كاجراء اولي ان تفرج عن بعض السجناء وعن المحجوزين، وان ترفع الحجز عن املاك الاخرين.

ووعده عبد الناصر بالعمل باقتراحاته، ولكن افكاره وهمومه خلال حديثه مع المحجوب كانت مستغرقة تماما في هزيمته، وقال له «اتدري انه لم يكن يوم استقلت في ٩ يونيو، بين الاسماعيلية وبيني سوى اربعمائة جندي؟ كانت القوات الاسرائيلية، قادرة على دخول القاهرة اذا ارادت».

وقال ناصر «ان سبب هذا الوضع الحرج انهاك سبعين الف جندي مصري في حرب اليمن التي لا جدوى منها».

وتساءل محجوب، أكان وجود سبعين الف جندي في مصر في تلك الظروف السائدة يحدث فرقا كبيرا في نتيجة حرب الايام الستة، ام انهم بالفعل انقذوا بوجودهم في تلك الجبهة البعيدة من شبه الجزيرة العربية؟

كان الاحساس بالخطر يتزايد، وابعاد هزيمة ٥ يونيو ٦٧ تتسع، وانعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في اول آب (اغسطس) بالخرطوم. وجاء في خطاب وزير خارجية السودان، ان العدوان الاسرائيلي على ارضنا العربية لا يمثل اعتداء جغرافيا، بقدر ما يمثل اعتداء تاريخيا على مصيرنا ووجودنا، ويخطيء من يظن ان الغزوة الصهيونية الاستعمارية قد انتهت باحتلال ما استولت عليه من فلسطين الحبيبة، وما جاورها من اقطار عربية، بل انه يمثل بداية لغزوة استعمارية من نوع جديد، تستهدف الانسان العربي قبل الارض والتاريخ والجغرافيا، والوجود من جذوره واصوله قبل شكله وملامحه.

ووقتها توقف المراقبون والمحللون عند هذه الفقرة، واخذهم الجانب البلاغي في الصياغة، ولكنها الان وبعد مضي عشرين سنة على مضمونها، فانها تكاد ان تكون الحقيقة بعينها.

واستطاع الوفد السوداني من خلال اتصالات استمرت ساعات واتصل بها الليل بالنهار ان يكون مؤشرا في اتجاه توحيد الصف العربي من اجل الصمود ومواجهة العدوان الصهيوني وتحرير الارض العربية، بعدما تم التوصل الى التالي:

- الدعوة الى توحيد الصف العربي وتصفية اجوائه من كل الخلافات.
- ضرورة تحقيق التضامن العربي، وتحمل عبء مواجهة الاعتداء الاسرائيلي واستعادة الارض العربية.
- اقتران تحرير الارض العربية باستعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين.
- استخدام الموارد العربية (النفط والاموال العربية بالخارج) كسلاح فاعل في الاستراتيجية للمعركة المقبلة.

***

وكان المطلوب لضمان تحقيق النجاح، اتخاذ اكثر من خطوة مهمة وضرورية، وعاجلة، احداها في الرياض، والاخرى في القاهرة، فماذا فعل السودان، وماذا قال المحجوب للملك فيصل ثم لعبد الناصر..؟

ناصر
خشي الانقلاب عليه!

كان قد استقر رأي الازهري (رئيس مجلس السيادة) ومحجوب (رئيس الوزراء ووزير الخارجية) ان فرص نجاح القمة العربية بالخرطوم لن تكون كبيرة من دون الوصول الى اتفاق لحل مشكلة اليمن بين الملك فيصل وعبدالناصر، وانه لابد من طرح المشروع السوداني الخاص باليمن، ومغادرة القوات المصرية لاراضيها، وترك الامر لليمنيين وحدهم.

واستقل المحجوب الطائرة متجهاً الى جدة، حيث استقبله د. محمد احمد ياجي سفير السودان لدى السعودية، وقدم اليه مذكرة، كادت محتوياتها ان تجعله يتخلى عن مهمته، ومفادها، ان الملك فيصل بعد حرب حزيران (يونيو) وسقوط القدس واحتلال الاراضي العربية، لن يكون تواقاً الى بحث قضية اليمن.

وبعدها جاءه صديقه الشاعر الامير عبدالله ابن الملك فيصل، الذي بعدما حياه، بادره بالقول: «ارجو ان لا تكون قد حضرت للتحدث الى ابي في قضية اليمن».

واجابه محجوب «ولم لا.. هل هنالك ما يحول دون ذلك؟».

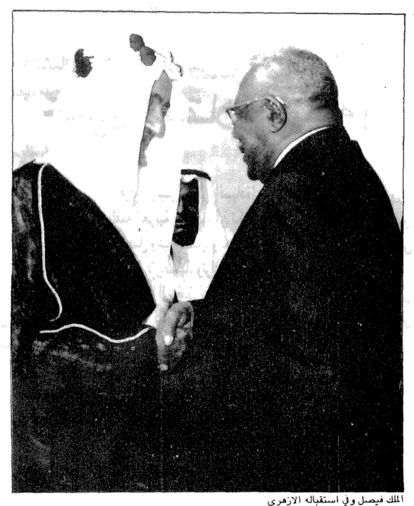
فرد عليه، ان والده ـ الملك فيصل ـ فقد الامل في اتفاق مع المصريين «لانهم لا يحافظون على دورهم في الاتفاق».

قال له محجوب «يا عزيزي عبدالله.. لقد تغيرت الامور، ويمر شعبنا العربي الان، بفترة حاسمة، وان مصيرنا، وقواتنا، وثقافتنا وديننا، ومجرد وجودنا، كلها امور في خطر».

ثم ناشده مقابلة والده ليمهد السبيل لمهمته.

وكان الملك فيصل يعرف المحجوب ويحترمه، اذ عرفه من خلال دورات الامم المتحدة في منتصف الخمسينات. وكان محجوب ايضا يقدره كثيراً، وقد وصفه مرة، بأنه قائد عربي بمعنى الكلمة، له وجه نسر، وشخصية قوية، مهيمنة، وتأثير بالغ على من يلتقي به.

ووافق الملك فيصل على مقابلة محجوب وحين فاتحه في موضوع اليمن، وجده، كما وصفه السفير السوداني والامير عبدالله، اي انه غير تواق لاثارة أو مناقشة قضية اليمن، ومصراً على ان لا تكون له علاقة بعبد الناصر. بيد ان المحجوب انتهز فرصة الحديث عن علاقتها الطويلة



الملك فيصل وفي استقباله الازهري

القائمة على الاحترام المتبادل، وقال له «بالطبع اعرفك جيداً، وَأكن لجلالتك بدوري اعظم التقدير، وفوق ذلك أعرف انك بصفات العربي النبيل، الذي حين يجد خصمه جريحا لا يقتله، بل يعالج جروحه ثم يعرض عليه ان يختار بين المبارزة والتفاهم.. وعبد الناصر، ليس بخصم او عدو، وانما اخ عربي»..

وصمت الملك ونظر الى محجوب، ثم اعطاه ورقة وقلما كانا على مكتبه، وسأله: «ماذا تريد..؟»».

فسجل على الورقة خطوط المقترحات السودانية وقدمها اليه، وقرأ الملك فيصل الملاحظات وتأملها ثم قال: «اقبل هذه مبدئيا، ولكن الافضل ان تبحث فيها مع مستشاريّ د. رشاد فرعون

وعمر السقاف».

واجتمع معهما بالفعل، واطمئن ايضا الى ان الملك فيصل حريص على المشاركة في قمة الخرطوم العربية.

وغادر المحجوب جدة الى القاهرة ووجد في استقباله زكريا محيي الدين نائب عبد الناصر ووزير الداخلية ومحمود رياض وزير الخارجية، اللذين نقلا اليه، ان عبد الناصر في انتظاره في منزله بالمنشية، وابلغهما بما توصل اليه من خطوط عريضة حول قضية اليمن مع الملك فيصل، وعندما اطلع عليها عبد الناصر اعرب عن شكوكه وتحفظاته قائلا «اذا قبلت بهذه المقترحات بدا ان كل ما عملناه حتى الان سيذهب سدى، وان الملكية ستعود الى اليمن وتذهب الجمهورية».

فرد محجوب: «معذرة، فليس في هذه الخطوط، الا صيغة الاتفاق مع الملك فيصل وليس هناك اشارة الى اسرة حميد الدين، او الملكية، او الجمهورية. كل هذه الامور سيترك تقريرها لليمنيين».

وبعد شيء من المناقشة اقترح رئيس وزراء السودان ان يسمح له باطلاع الصحف ووكالات الانباء على انه ـ اي عبد الناصر ـ وافق مبدئيا على الاتفاقية، لكن مع بعض التحفظات التي سيبت فيها حين وصوله والملك فيصل الى الخرطوم للاشتراك في مؤتمر القمة.

وعلى حد تعبير المحجوب، ان عبد الناصر نظر اليه وهو يكاد يبتسم «أتظن انني سأحضر القمة»!؟

فاجابه: «يجب ان تحضر».

عقب عبد الناصر: «اتضمن اذا ذهبت الى القمة الا يرتب زكريا انقلابا اثناء غيابي»؟

رد محجوب: اني متأكد ان زكريا محيي الدين لن يجرؤ على ذلك، لانه لا يريد مزيدا من المتاعب..!!

وفي يوم ٢٤ آب (اغسطس) ٦٧ اذاع المحجوب بيانا من القاهرة، ابلغ خلاله الصحافيين أن كلا من الملك فيصل والرئيس عبد الناصر وافق على المقترحات السودانية لتسوية قضية اليمن، وان التفاصيل سيتم التوصل اليها، خلال تواجدهما معا في الخرطوم، للاشتراك في مؤتمر القمة العربي.

كانت الخرطوم مع اقتراب موعد انعقاد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم، قد بذلت كل استعداداتها وقدراتها من اجل انجاح القمة العربية، واعدت مبنى البرلمان القديم الذي شهد قرار اعلان استقلال السودان في اول كانون الثاني (يناير) ١٩٥٦، كمقر لانعقاد جلسات مؤتمر القمة العربي، كما اعدت، بعض اجنحة القصر الجمهوري، للقاءات الجانبية للملوك والرؤساء العرب، وجهزت الفندق الكبير لاقامة الملوك والرؤساء. واقيم مركز اعلامي، وفرت له كل



عبد الناصر ومحجوب واستقبال جماهيري كبير

الاجهزة لتمكين الصحافة العالمية من الاتصال بوكالات انبائها، وصحفها في كل انحاء العالم، كما خصصت لهم فنادق وسط المدينة حتى يتيسر لهم الانتقال، والسيارات الممكنة، وقدمت شخصيات سودانية عدة، منازلها وسياراتها لتكون تحت تصرف المؤتمر، وسارع كل مواطن الى تقديم ما لديه من خبرة وتحول كل السودانيين الى يدة واحدة تسعى الى الاحتفاء بقدوم الملوك والرؤساء العرب وتهيئة المناخ الذي يقود الى نجاح لقائهم.

ورفعت اعلام جميع الدول العربية على الشوارع والميادين والمباني الرئيسية، وقامت الشركات والبيوتات التجارية بتزيين وانارة مواقعها وشارك الطلاب والطالبات في تنظيف الشوارع والمباني، واصبحت العاصمة، مدينة باهرة وأخاذة من خلال هذا الجهد وذلك الحماس الدافق الذي اختزن في انتظار وصول القادة العرب.

تحول السودان كله الى عائلة واحدة، ووقف اسماعيل الازهري واعضاء مجلس السيادة، والسيد محمد عثمان الميرغني والامام الهادي المهدي ومحمد احمد محجوب رئيس الوزراء والوزراء وكبار الشخصيات السودانية في مطار الخرطوم ليكونوا في استقبال الملوك والرؤساء العرب الذي بدأ وصولهم في السابع والعشرين من آب (اغسطس) ١٩٦٧.

ومن دون تنظيم سابق، وصلت الطائرة المقلة لعبد الناصر وبعدها بدقائق طائرة الملك فيصل وانفجرت مشاعر السودانيين كالسيل العارم بالهتافات العالية والمدوية باسميهما: عاش فيصل، عاش ناصر، عاشت الامة العربية.. امة واحدة ومصير واحد.. الى النصر يا ناصر وفيصل.

اهتزت الخرطوم من اقصاها الى اقصاها، وارتجفت الكاميرات في ايد الصحافيين الاجانب، اذ فاجأتهم مشاعر السودانيين، وحماسهم البالغ. وراحت السيارة التي تقل عبد الناصر، وبجانبه المحجوب والسيارة التي تقل الملك فيصل وبجانبه الازهري تسيران ببطء شديد، والجماهير من حولها، وامامها، وفوقها، تهتف وتصفق، وتجري وراء الموكب، وكان هذا الاستقبال الحار بكل ما عبر عنه من حماسة وتصميم واجماع، ايذاناً ومؤشراً بنجاح لقاء الخرطوم.

واضفى هذا الحماس بدوره تأثيره على القادة العرب، فقال عبد الناصر: «جئت للخرطوم يائساً وحزينا، فاذا الجماهير السودانية بحماسها، وصدقها تعيد اليّ القوة والامل والتفاؤل».

اما الملك فيصل فقد كان يردد «الحمد لله.. الحمد لله.. هذا دليل خير باذن الله».

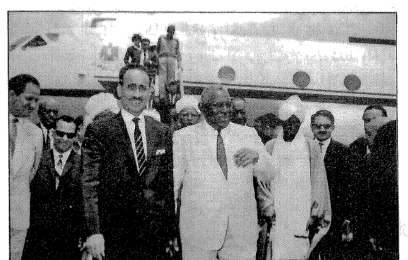
لقد احتشدت العاصمة باكملها، رجالا ونساء واطفالا في هذه الاستقبالات الحاشدة منذ الصباح الباكر وحتى ساعة متأخرة من الليل. وكانت دهشة الصحافيين الاجانب والمراقبين والديبلوماسيين، في انه لم تقع حادثة واحدة، وان الشعب وحده، حافظ على النظام، لانه لم يكن في مقدور اي قوة ان تسيطر على اندفاع ذلك الموج البشري، مع ممارسة اليقظة والوعي اللذين تحلى بهما الشعب السوداني.

وعقد الملوك والرؤساء العرب اول اجتماعاتهم يوم ٢٩ آب (اغسطس) ١٩٦٧، الذي افتتحها اسماعيل الازهري، بحديث قصير، محتفيا بالرؤساء والملوك العرب الذين لا يعتبرهم ضيوفا، وانما هم اصحاب دار، وانه اذا قصرت الامكانيات هنا او هنالك، فان المشاعر السودانية الفياضة تغطي كل قصور، ثم تناول التحديات التي تواجه الامة العربية بعد حرب ٥ حزيران (يونيو) وقال: «ان هذه الجلسة مفتوحة، لكي يشهد العالم باجمعه، ان الامة العربية، متماسكة وتتوحد عند الخطر، وان مصيرها واحد وايضاً قدرها».

ثم تحول المؤتمر الى جلسات مغلقة.

قال الديبلوماسيون السودانيون، الذين وقع عليهم عبء تسجيل مداولات مؤتمر القمة العرب، ان الملوك والرؤساء كانوا جميعهم في قمة مسؤوليتهم وتضامنهم، وواقعيتهم، وان الملك حسين كان اول المتحدثين، حيث شرح الاوضاع في الاردن بعد حرب الايام الستة. والخسائر التي منيت بها بلاده، ونقل عبد الناصر للرؤساء والملوك العرب، كيف بدأت الحرب وتفاعلاتها الداخلية والخارجية والخسائر التي تعرضت لها مصر. وقال: «ان مصر الى جانب خسائرها الفادحة في الرجال والعتاد، والحاجة الضرورية الى اعادة بناء قواتها المسلحة، ستظل تخسر ١١٠ ملايين جنيه بسبب اغلاق قناة السويس».

وتحدث الرؤساء والملوك، عن الاسبقيات التي ينبغي القيام بها، في هذه المرحلة الصعبة، حيث


عبد الرحمن عارف والازهري



الشقيري وشفيق الحوت حضرا عن فلسطين

ان الشعوب العربية، وقد هزتها حرب حزيران (يونيو)، تحتاج الى جهد عمل مشترك يعكس جديتها في مواجهة العدو الصهيوني.

وفي حفل العشاء الذي اقامه اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة بالقصر الجمهوري، اقترح عبد الناصر ان يحضر هو والملك فيصل الى منزل محمد احمد محجوب رئيس الوزراء واتجها فعلا الى منزل محجوب، فصحب عبد الناصر وزير خارجيته محمود رياض، وصحب الملك فيصل شقيقه الامير سلطان.



شارل
حلو والازهري

وبعد تناول القهوة، بدأ عبد الناصر باثارة موضوع اسرة حميد الدين في اليمن، فاجابه الملك فيصل: «يا عزيزي جمال، كانت اسرة حميد الدين عدوة الى اربعين سنة، لا سنوات»!
واضاف الامير سلطان: «ان اسرة حميد الدين لا مكان لها في اليمن، ولا امل لها في العودة الى الحكم».
كانت النقطة التالية ـ طبقا، لما كتبه محجوب رئيس الوزراء والمضيف ـ وضع تفاصيل خروج الجيوش المصرية من اليمن، فحدد لذلك موعد وقال: «عبد الناصر ليست لدينا سفن لنقل الجنود والمعدات فهل تساعدنا المملكة العربية السعودية؟».
اجاب الملك فيصل: «تعرف انه لا سفن لدينا ايضا، لكن رتب امر ذلك مع اي شركة للملاحة وانا ادفع الكلفة».
وكان لدى عبد الناصر، نقطة اخرى، عبر عنها في قوله: «يا عزيزي الملك فيصل، لقد صادرتم مصارفنا في المملكة العربية السعودية».
ووعد الفيصل بحل القضية.
وبعدما تم الاتفاق على تشكيل اللجنة الثلاثية العربية، ابدى السلال اعتراضه عليها لأنها

شكلت من دون علمه، ولانه اعتبرها تدخلا في شؤون اليمن الداخلية، واقترح عبد الناصر على محجوب لقاء السلال شخصيا.

وعندما ذهب اليه المحجوب في مقر اقامته بالخرطوم وشرح له، انه ليس هنالك تدخل في شؤون اليمن الداخلية، وان الاتفاقية كانت بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، وهدفها ازالة الخلافات بينهما. اما فيما يتعلق باليمن نفسها، فان اللجنة العربية الثلاثية شكلت لجمع الفئات اليمنية، المختلفة، وهذه الفئات هي التي تضع حلا لمشكلة اليمن بالداخل.

ورفض السلال قبول ما طرحه رئيس الوزراء السوداني، ولكن مؤتمر القمة العربي في الخرطوم واصل انعقاد جلساته السرية، وكانت هنالك اكثر من مفاجأة.. واكثر من حدث..!

الحسين
يرفض اقتراح ناصر

اشتمل جدول اعمال مؤتمر القمة العربي بالخرطوم على ثلاث قضايا مهمة هي:
١ ـ تنسيق الجهود العربية لازالة اثار العدوان بالعمل العسكري والاقتصادي والسياسي.
٢ ـ دراسة جوانب الضعف العربية التي ادت الى الهزيمة ليمكن تفاديها في المستقبل.
٣ ـ تصفية القواعد العسكرية الاجنبية في البلاد العربية.
وفي اطارها، جرت المناقشات السرية، حيث جاءت اراء وملاحظات الملوك والرؤساء، متسمة بكثير من التعقل والواقعية والمسؤولية، والحرص البالغ على الوصول الى نتائج ايجابية لمجابهة الموقف الخطير.

ظهر جليا في الجلسات المغلقة لمؤتمر القمة العربي الذي عقد بمقر البرلمان القديم في الخرطوم، حجم الخسائر الفادحة التي منيت بها الامة العربية في كل من مصر والاردن وسوريا، اذ اشار عبد الناصر الى ان خسائر مصر وحدها من اغلاق قناة السويس بلغت ١١٠ ملايين جنيه. وقال الملك حسين انه يحتاج الى اربعين مليون جنيه سنويا لادارة شؤون الدولة، وكان لابد من تحرك اخر، قاده الشريف حسين الهندي وزير المالية والاقتصاد الذي حضر مع وزراء المال العرب في كل من الكويت وبغداد المؤتمر، والذين أوصوا بوقف ضخ البترول كلياً، والى اجل غير محدود، والى ان تزال اثار العدوان العسكري، وجرت اتصالات جانبية مع الوفد السعودي والكويتي والليبي، ونقلت وجهة النظر السودانية التي عبرت عن تقديرها العظيم لموقف دول البترول العربية التي لم تتردد لحظة في وقف ضخ البترول، والاستجابة الفورية لكل ما اقتضته ظروف الحرب مع العدو الصهيوني.
وجاءت وجهة النظر السودانية الواقعية والعملية الداعية الى اعادة ضخ البترول لمعاونة دول المواجهة (مصر والاردن وسوريا) على الصمود، وتم التفاهم والقبول.

• • •

وفي جلسة مسائية مغلقة برئاسة اسماعيل الازهري، وبحضور الملوك والرؤساء العرب طرح السؤال.. كيف يتم جمع المال؟
وساد الاجتماع صمت قصير، وكان محجوب رئيس الوزراء جالسا بجوار الملك فيصل،

فالتفت اليه، وقال له:

«أبا عبدالله.. آن لك الكلمة الاولى».

وقال الملك فيصل من دون تردد «ستساهم المملكة العربية السعودية بخمسين مليون جنيه سنويا».

ثم التفت المحجوب الى الشيخ الصباح، حاكم الكويت الذي اجرى مشاورة سريعة مع وزيري الخارجية والمال الكويتيين، ثم اعلن: ان الكويت ستساهم بخمسة وخمسين مليون جنيه سنويا».

وعندما جاء دور الوفد الليبي، قال ولي عهد ليبيا انذاك، ووزير الخارجية، انهما لا يملكان تفويضاً، رد محجوب، «سنعتبر مساهمة ليبيا ثلاثين مليون جنيه، واطلبا من الملك السنوسي الموافقة وهو لن يتأخر».

وقال محجوب رئيس الوزراء، عندما سئل كم من الوقت استغرقته مناقشة مسألة الدعم المالي العربي، رد: في عشرين دقيقة فقط، وافقت ثلاث دول عربية على دفع مائة وخمسة وثلاثين مليون جنيه سنويا.

ونص قرار القمة العربية في هذا الشأن على ما يأتي: «وافق كل من المملكة العربية السعودية، ودولة الكويت والمملكة العربية السعودية على دفع المبالغ السنوية التالية، على ان يتم الدفع سلفاً كل ثلاثة اشهر ابتداء من منتصف تشرين الاول «اكتوبر» ٦٧ الى ان تزال اثار العدوان: المملكة العربية السعودية ٥٠ مليون جنيه، الكويت ٥٥ مليون جنيه وليبيا ٣٠ مليون جنيه وبهذه الطريقة يضمن الشعب العربي ان يكون قادراً على الاستمرار في المعركة من دون اي ضعف الى ان تزال اثار العدوان: ٤٠ مليون للاردن، و٩٥ لمصر.

وقال الازهري رئيس المؤتمر معلقاً على القرار انه يمثل الاصالة والروح العربية وقيمها. وأومأ عبد الناصر موافقا ومرتاحا.

وجرت مناقشة حول قضية مهمة وهي تتعلق بالتسوية السلمية، وما تعنيه هذه العبارة وكيفية تحديدها. واقترح عبد الناصر في الجلسة المغلقة ان يسمح للملك حسين شخصيا العمل على التسوية من جانب واحد مع اسرائيل فيما يختص بالاردن. ولكن الملك حسين، الذي حرص على المشاركة بزيه العسكري في جميع اجتماعات القمة العربية، اكد رفض الاردن لأية تسوية جانبية، وقال ان اي تسوية يجب ان تكون جزءاً لا يتجزأ من تسوية عربية شاملة.

وكانت هنالك مخاوف من ان تؤدي التسوية السلمية الى مفاوضات مباشرة او غير مباشرة مع اسرائيل. فاظهر السودان تشدده على وجوب التمسك بقرار وزراء خارجية الدول العربية وهي: لا صلح مع اسرائيل، ولا اعتراف بها، ولا مفاوضات معها واصرار على حقوق عرب

فلسطين في ارضهم.
وقال محجوب رئيس الوزراء، انه اذا لم تتم صيغة القرار على هذا النحو، وبهذه الطريقة، فأننا قد نعتبر ان مؤتمر القمة لم يعقد ابداً.

وفي جلسة علنية، حضرها جميع الصحافيين القادمين من كل انحاء العالم الى جانب الديبلوماسيين والمراقبين الاجانب والذين ضاقت بهم شرفات مبنى البرلمان القديم. وكانت عيونهم، تتجول بين عبد الناصر (مصر) وفيصل (السعودية) وحسين (الاردن) والصباح (الكويت) وعارف (العراق) وشارل الحلو (لبنان) والباهي الادغم ممثلا لبورقيبة (تونس) وعبد العزيز بوتفليقه ممثلا لبومدين (الجزائر) والدكتور محمد بن هيما ممثلا للحسن الثاني (المغرب) والسلال (اليمن) وحسن الرضا (ليبيا).. وقد بدت على اساريرهم الارتياح والاجهاد، اذ ظلوا على مدى اقامتهم في الخرطوم اما في اجتماعات جانبية واما في الجلسات المغلقة التي واصلوها صباحا ومساء.
وقد انهى الازهري (السودان) المؤتمر في قوله: «لقد ساد اجتماعاتكم الشعور المشترك بعظم المسؤولية التاريخية التي تواجهها الشعوب العربية في هذه المرحلة الحاسمة، والدقيقة من مراحل نضالها، وما تلقيه على الشعوب العربية من مسؤوليات».
وقال: «ان الملوك والرؤساء قرروا ان ازالة العدوان من الارض العربية هي مسؤولية مشتركة بين جميع الدول العربية، مع ايمانهم التام بأن هذه الطاقات كفيلة بازالة آثار العدوان، وبأن النكسة التي تعرضت لها الشعوب العربية يجب ان تكون حافزاً قوياً لوحدة الصف ودعم العمل العربي المشترك».
واضاف: «وفي ظل هذا التقويم اتفق القادة العرب وممثلوهم على الوسائل الفعالة التي تكفل تحقيق ازالة اثار العدوان، ومن بينها دعم الدول التي تأثرت مواردها الاقتصادية مباشرة نتيجة للعدوان، وذلك لتمكين هذه الدول من الصمود في وجه الضغوط الاقتصادية.
وعبر الملوك والرؤساء العرب عن ايمانهم الراسخ وعزمهم الاكيد على ضرورة مواصلة العمل العربي الموحد من اجل صيانة الحق المقدس لشعب فلسطين في وطنه، ويناشد القادة العرب المجتمعون شعوب وحكومات العالم بتأييد هذا الحق العادل باتخاذ مواقف ايجابية ازاء قوى الاستعمار الصهيوني التي تحول دون شعب فلسطين وبين ممارسته لهذا الحق.
كما اتفقوا ايضا على اتخاذ الخطوات التي تدعم وتعزز العلاقات العربية وفقاً لميثاق التضامن العربي، وبقية تحقيق آمال الشعب العربي في التقدم والرخاء.
واعربوا ايضا عن تقديرهم البالغ لمبادرة السودان الشقيق بالدعوة الى عقد هذا الاجتماع التاريخي، كما عبروا عن مشاعرهم الفياضة تجاه الاستقبال الحماسي الذي استقبلهم به شعب



الملك فيصل وعبد الناصر وبينهما محجوب

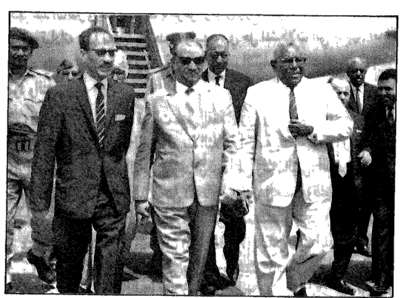


الملك فيصل والملك حسين

السودان الكريم.

وهنا وقف الملوك والرؤساء، ايذانا بانتهاء قمة الخرطوم، وقد تماسكت ايديهم وهم يتبادلون اطراف الحديث، وكاميرات العالم تنقل كل تصرفاتهم.

وامضى الصحافيون الليل باكمله، وهم يبعثون برسائلهم تباعا، ناقلين، قرارات المؤتمر، وقالوا: ان مؤتمر القمة العربي في الخرطوم، حقق نجاحا مذهلا، اذ اكد تماسك القيادات العربية، وتصميمها على الصمود والتصدي، وانه حقق الدعم الضروري لكل من مصر والاردن، وقرر ضخ البترول بدلا من استمرار ايقافه، كما نجح فيصل وعبد الناصر، في الوصول الى حل



الازهري مع السلال وعارف

لمشكلة اليمن وانهاء القتال على الجبال وسحب الجيوش المصرية من هنالك.

وقالت وكالات الانباء، أنه بعد شهر من وقوع هزيمة حزيران (يونيو) ٦٧، فان العرب عادوا اكثر قوة وتضامنا، وان الحرب لم تشتتهم، وانما جمعتهم ووحدتهم. واشادوا بدور السودان في انجاح القمة العربية، سواء سياسيا، او تنظيميا، او امنيا، واعلاميا، أو ديبلوماسيا، واشادوا ايضا بقدرات الازهري على ادارة الجلسات المغلقة والمحجوب في اللقاءات الجانبية والهندي في الجانب المالي.

وكعادة الصحافيين عندما يلتقون في مؤتمر كبير، فأنهم ينهمكون في تغطية انبائه، وما كادوا يفرغون منه حتى يتجهوا الى الاسواق والى المعالم الرئيسية في العاصمة لرؤيتها على عجل قبل العودة الى مراكزهم وعواصمهم، وعندما عادوا الى فنادقهم ابلغتهم اداراتها، انها اعدت لهم فواتير اقامتهم للتسديد، ولكن الحكومة السودانية اعتبرتهم جميعا في ضيافتها وتولت تغطيتها، وشملت الضيافة الصحافيين العرب والاجانب وكان عددهم وقتها نحو اربعمائة.

● ● ●

ومثلما فعل في زيارته الاولى للسودان عام ١٩٦٠، حرص عبد الناصر على لقاء السيد علي الميرغني ونجله السيد محمد عثمان الميرغني ورافقه اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة، كما زار الصادق المهدي زعيم المعارضة وكان برفقته ايضا الازهري، حيث شكره على مبادرته الاولى عندما كان رئيسا للوزراء عام ٦٦ والخاصة بانهاء القتال في اليمن.

وظهر عبد الناصر في هذه اللقاءات بالخرطوم وهو في روح معنوية عالية، لقد قدم له الشعب السوداني وقياداته دعما معنويا بلا حدود، واسهموا في حل المشكلات التي جابهها. اما القادة العرب فقد منحوه ايضا من خلال القمة العربية الدعم السياسي والاقتصادي الذي يمكنه من الصمود والتصدي.

كلف السودان، بمتابعة تنفيذ قرارات مؤتمر القمة العربي، واختير محمد احمد محجوب رئيس الوزراء ووزير الخارجية رئيسا للجنة العربية الثلاثية الخاصة بقضية اليمن، وكان عليه لقاء القيادات اليمنية في بيروت والقاهرة. ووجد ان عدداً من زعماء اليمن، اللواء حسن العمري والشيخ احمد النعمان والقاضي عبد الرحمن الارياني معتقلين في مصر، وطلب محجوب من عبد الناصر، اطلاق سراحهم، اذ انه لا يستطيع ان يناقش معهم مستقبل اليمن وهم رهن الاعتقال. فأفرج عنهم، حيث نقلوا الى مقر المحجوب (قصر الطاهرة) بالقاهرة حيث ابلغهم بالاتفاق الذي تم التوصل اليه بين فيصل وعبد الناصر، وبخروج الجيش المصري من اليمن، وعقد مؤتمر وطني يشترك فيه جميع رؤساء القبائل الذين لرأيهم وزن في زمن السلم والحرب واولئك الذين يعتبر رأيهم مقبولا وقيما، كالقضاة والعلماء والزعماء السياسيين، وعلى اساس ان يسهم المؤتمر الوطني بدوره في تحقيق التسوية الوطنية التي تعيد السلام والاستقرار.

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) اقصي السلال بانقلاب عسكري، والفت حكومة جديدة برئاسة محسن العيني، وعلى حد تعبير المحجوب، كان معظم اعضاء الحكومة اليمنية الجديدة اما «لاجئين» في بيروت، او «سجناء» في القاهرة. وشكل مجلس جمهوري من ثلاثة اعضاء برئاسة القاضي الارياني وعضوية النعمان ومحمد علي عثمان.

وبعد جهود مستمرة، ومثابرة، استقرت الاوضاع في اليمن وعاد السلام بعد حرب استمرت نحو ثماني سنوات.

قال محمد احمد محجوب رئيس الوزراء، انه مع اوائل قيامه بالوساطة باسم السودان لانهاء الصراع اليمني، كان جالساً مع عبد الناصر، وقال له يومها «يا اخي محجوب، نحن مدينون لك كثيراً بما قمت به نحو مصر في مؤتمر الخرطوم ومقدرون كثيرا لجهود السودان في تحقيق اتفاق احلال السلام في اليمن، وحين يصل اخر جندي مصري ارض الجمهورية العربية المتحدة، سأمنحك ارفع اوسمة الجمهورية العربية المتحدة، وسأجمع اكبر حشد سياسي لتقليدك اياه..».

وجاء اليوم الذي عاد فيه اخر جندي مصري الى ارض الوطن.. فماذا تلقى المحجوب من عبد الناصر؟ ثم ما هو الجانب الاخر الذي شغل السودان فيما يتعلق بقرارات مؤتمر القمة العربي بالخرطوم؟

تحفظ على قرار ٢٤٢!

ظل السودان على حرصه بمتابعة قرارات مؤتمر القمة العربي بالخرطوم، على المستوى السياسي والاقتصادي والديبلوماسي. وقد تصرف في جهده باقتناع وتصميم تامين.. ولذلك تابع باهتمام شديد القرار الجديد الذي قدمه الوفد البريطاني الى مجلس الامن في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ الخاص بحرب الشرق الاوسط. ووجد رئيس الوزراء ووزير خارجية السودان بعد دراسة النص البريطاني، ان نقاطاً كثيرة شابها الغموض، وتحتمل ايضا اكثر من تفسير وتأويل، كما انه لم ينص صراحة على انسحاب اسرائيلي كامل، خلال فترة معقولة من كل الاراضي العربية المحتلة، كما ان القرار تحدث عن «انهاء كل الاعتداءات، وحالات الحرب، واحترام سيادة كل دولة في المنطقة، وسلامة اراضيها، واستقلالها السياسي، وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها».!

وسارع السودان الى ارسال مذكرة عاجلة الى مندوبه في الامم المتحدة للاتصال باللورد كرادون لنقل التحفظات السودانية على النص البريطاني، وطالب بتعديلات في فقرات محددة، لازالة الغموض، وشدد على وجوب تغيير الفقرة التي نصها: «انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة من اراض احتلت في القتال الاخير» الى «انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية» التي احتلتً في القتال الاخير.

كما نبهت المذكرة السودانية الى وجوب الاشارة الواضحة الى حقوق الشعب الفلسطيني، بدلا من الاشارة العابرة، وتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

وبعث السودان في الوقت نفسه ببرقيات للسفارات السودانية بالعواصم العربية، لتنقل بصورة عاجلة لملوك ورؤساء تلك الدول، ان القرار البريطاني الشهير برقم ٢٤٢، يناقض قرارات مؤتمر قمة الخرطوم..!

وبعث ممثل السودان في الامم المتحدة بتقرير عاجل الى وزارة الخارجية بالخرطوم يبلغها بنتائج اتصالاته مع اللورد كرادون ـ ممثل بريطانيا، انذاك ـ الذي افاد ان الجانبين في المجلس، ألحا عليه في احداث بعض التغييرات في مسودة القرار، خاصة فيما يتعلق بشكليات الانسحاب

ولكنه قاوم لان اي تغيير يؤدي الى هدم الثقة في عدم انحياز بريطانيا ورغبتها في العدالة في هذه القضية. وكان تعليق رئيس الوزراء ووزير خارجيته على المذكرة التي بعث بها ممثل السودان بالامم المتحدة ان القرار البريطاني اسوأ بكثير من القرار الاميركي، ومن قرار دول اميركا اللاتينية اللذين رُفضا في دورة الجمعية العمومية الطارئة بعد حرب الايام الستة، اي في اعقاب وقوع حرب ٥ حزيران (يونيو) ٦٧.

وابدى السودان وقتها، تحفظه ورفضه تماما لقرار مجلس الامن (٢٤٢) لتعارضه مع قرارات قمة الخرطوم، ولانه لا ينص صراحة على الانسحاب من الاراضي العربية وايضا على حقوق الشعب الفلسطيني.

وابلغ عبد الناصر بتحفظ السودان على قرار مجلس الامن المتعلق بحرب الشرق الاوسط، بينما وافقت عليه مصر والدول الاعضاء في مجلس الامن.

شهدت هذه الفترة ٦٧ و٦٨ و٦٩، تقاربا سودانيا ومصريا عفويا وطبيعيا، حيث جاء في اعقاب حرب حزيران (يونيو) عشرات ومئات من الشباب المصريين وايضا من الكتاب والصحافيين والباحثين الذين اصابهم الاحباط الشديد في اعقاب وقوع الهزيمة. جاءوا الى الخرطوم وبعضهم اتجه شرقا، وشمالا وجنوبا ناشدا الهدوء، لاستيعاب وتقويم ما حدث في مصر. وقد وجدوا من السودانيين مشاعر اخوية احاطتهم بكل العناية والتفهم. وعندما عادوا الى القاهرة، كانوا قد عادوا بروح معنوية عالية، وحلت المشاعر المتفائلة مكان القنوط واليأس. كما اصبح وصول الوفود الرسمية المصرية عاديا وطبيعيا لاجراء محادثات مشتركة.

اما الحزبان الرئيسيان الاتحادي الديموقراطي، وحزب الامة، انصرفا نحو تجميع وتنظيم صفوفهما بالقدر الممكن في اعقاب مناقشات ساخنة حول وضع الدستور الدائم، واتفق على ان يكون الدستور اسلاميا، والنظام الجمهوري، رئاسيا، وبدأ الاتحاد الديموقراطي يستعد لذلك ومرشحه اسماعيل الازهري، وايضا حزب الامة بعد توحيده (جناح الصادق وجناح الامام) ومرشحه للرئاسة الامام الهادي المهدي، واتفق انذاك على اجازة الدستور في غضون ستة اشهر على ان تجري انتخابات الرئاسة في مطلع عام ١٩٧٠. وظلت جميع القيادات السودانية على اتصال بالقاهرة، وبعبد الناصر بشكل خاص الذي حرص على منح وقت كاف لزواره السودانيين مهما كانت مشاغله، وقد زاره الازهري، والهادي المهدي، ومحجوب والصادق المهدي وغيرهم من السياسيين والقيادات النقابية.

وباستثناء المكانة الخاصة لآل الميرغني ـ محمد عثمان الميرغني ـ لدى مصر ولديه، فقد وصل عبد الناصر، بعد خبرة وتعامل طويل مع السودانيين، وخاصة في اعقاب حرب حزيران (يونيو)



الازهري والصادق المهدي ومحجوب

٦٧، الى ان هناك اجماعا عند السودانيين على مساندة وتأييد مصر. ووصل الى قناعة ان لا يظهر منه وان لا تظهر مصر، تفضيل حزب على حزب او جماعة على جماعة في السودان.

صحيح ان الحزب الاتحادي الديموقراطي ارتبط تاريخيا بمصر، وقامت اهدافه الرئيسية على اساس الوحدة او الاتحاد مع مصر، ولكن المتغيرات في مصر والسودان في اعقاب اول انتخابات عامة في السودان عام ٦٥ و٦٧، اظهرت ان صيغة الحكم مشتركة. اي بين الاتحادي الديموقراطي والامة، واقتنع عبد الناصر بصيغة التعامل المتوازن بين الحزبين الكبيرين من دون مساس ايضا بالمكانة التاريخية للاتحاديين في مصر.

وفي لقاء في القاهرة، ابلغ عبد الناصر الامام الهادي المهدي والصادق المهدي، حرصه على فتح صفحة جديدة لعلاقات مستمرة وبناءة، واشار الى دور السيد عبد الرحمن المهدي والد الامام وجد الصادق، الذي زار مصر لأول مرة في اعقاب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، واجرى محادثات اخوية مفيدة مع القيادة الجديدة في القاهرة. بل انه بعث برسالة شخصية في مطلع عام ١٩٥٤ مع الشيخ احمد حسن الباقوري وزير الاوقاف الذي كان في الخرطوم، حيث طلب منه: «ان ينقل لعبد الناصر ان لكل من السودان ومصر علاقات جيدة مع اميركا وبريطانيا وانه ينبغي الافادة من هذه الصلات لمصلحة البلدين. وطلب الاستعانة به اذا حدث اي خلاف في محادثات الجلاء مع الجانب البريطاني في القاهرة، ولقد توقفت المحادثات اكثر من مرة، ثم استؤنفت اثر اتصال المهدي بلندن».

واشار عبدالناصر الى اتفاق سابق، هدف في اساسه إلى تغيير التعامل الذي كان سائدا بين مصر وحزب الامة والانصار قبل ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢، حيث كانت الحكومات المصرية السابقة تصنفهم بأنهم الاقرب الى بريطانيا، وبالتالي فهم خصوم لمصر. ونقل حسن محجوب وزير سابق واحد قادة حزب الامة في منتصف الستينات، ان عبد الناصر ابدى في ذلك الاتفاق، استعداد مصر للتعاون مع دائرة المهدي في المجالات الاقتصادية نظير ان تتحول معاملات «دائرة المهدي» عن البنوك الانكليزية الى البنوك المصرية.

وكانت اعوام ٥٣ و٥٤ و٥٥ وحتى منتصف ٥٦، تمثل فترة مهمة في ارساء العلاقة بين عبد الناصر واسماعيل الازهري رئيس الوزراء انذاك، خاصة، وقد حفظ عبد الناصر للازهري نصيحته بخصوص معالجة الاوضاع داخل مصر، وايضا موقفه خلال الازمة بين مجلس قيادة الثورة واللواء محمد نجيب، اذ طلب الازهري من قيادات الوطني الاتحادي الامتناع عن الادلاء بتصريحات معارضة لعبد الناصر، لان الخلاف وقتذاك لم يكن خلافا شخصيا، وانما خلاف اساسه اختلاف اتجاهين، وان عبدالناصر يمثل الاتجاه الجديد والغالب، ولكن عبدالناصر مثل غيره من المصريين آنذاك، أحزنه تحول الحزب الوطني الاتحادي من دعوة الاتحاد مع مصر الى الاستقلال، وان اسماعيل الازهري شخصيا لعب دورا اساسيا في هذا التحول. وعندما وقعت حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، كان اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة اول من جاء الى القاهرة، واخذ على عاتقه الاتصال بالدول العربية لعقد مؤتمر القمة العربية بالخرطوم، الذي منح عبد الناصر الدعم المعنوي والمادي لبناء الجيش المصري والصمود في مواجهة العدو الاسرائيلي.

ونقل عبد الماجد ابو حسبو قطب الحزب الاتحادي الديموقراطي ووزير الاعلام في ايار (مايو) ١٩٦٩ أنه في احدى مقابلاته في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧، واثناء عودته من مؤتمر وزراء الاعلام العرب في تونس قال له عبد الناصر ما يلي: اريد ان احملك رسائل مهمة لكل من الامام الهادي المهدي والسيد اسماعيل الازهري، وارجو ان تنقلها بحرفيتها لهما:
«بالنسبة للامام الهادي المهدي ارجو ان تخطره باننا قد اسأنا التقدير منذ البداية للانصار، فلقد كنا ننظر اليهم كاعداء تقليديين لنا، ولكن بعد ذهابي لمؤتمر القمة في الخرطوم، وبعد رؤيتي لجماهير الانصار التي استقبلتنا بذلك الحماس والاكرام، وبعد حديثي مع الامام الهادي ورئيس الوزراء محجوب، ادركت اننا اخطأنا في حقهم، لان ما وجدته منهم قد اثبت لي ان العربي والمسلم ينسى كل عداواته مع اخيه العربي والمسلم ساعة الشدة، فارجوا ان تنقل لهم اعتذاري هذا».
اما بالنسبة للسيد اسماعيل الازهري، فلقد اسأنا التقدير ايضا بالنسبة له، وللظروف التي

كانت تحيط به عندما اعلن استقلال السودان، وربما لا يكون هذا خطأي، وانما خطأ اولئك الذين اوكلت اليهم امر السودان، سامحهم الله».

وقال عبد الماجد ابو حسبو في مذكراته: «انه قام وهو في غاية السرور بابلاغ تلك الرسائل».

كان من الواضح، ان عبد الناصر وصل الى معادلة صحيحة للتعامل مع السودانيين ليكون على وفاق مستمر مع الحكم في السودان، وفي الوقت نفسه، يحفظ شعبيته بين السودانيين.

ولكن الاحداث مازالت بدورها تتابع، وايضا المفاجات المتلاحقة التي لم تتوقف لحظة.. وايضا المتغيرات!

كانت الشهور الاولى لعام ٦٩، مشحونة بالشدّ والجذب والعمل النشط في جميع المجالات وعلى جميع المستويات.

وفي يوم ١٩ ايار (مايو) ١٩٦٩، توجه اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة الى زائير بناء على دعوة الجنرال موبوتو لمناسبة تأسيس الحزب الحاكم، كما وجه الدعوة الى اثني عشر رئيسا افريقيا من بينهم د. كاوندا رئيس زامبيا، وملتون اوبوتي (يوغندا) كما ان احد اغراض الاحتفال كان تكريم اسماعيل الازهري باعتباره رئيسا للجنة منظمة الوحدة الافريقية التي نجحت في «تصفية المرتزقة البيض» حيث جرى جمعهم من اجزاء افريقية متعددة وشحنوا في عدة طائرات الى عواصم اوروبا. وجرت الاحتفالات بمدينة كسنجاي.

وكان الوفد المرافق لاسماعيل الازهري محدود العدد، يتكون من وزير ووكيل الخارجية والداخلية وقائد القوات المسلحة بالجنوب والرائد مأمون عوض ابوزيد، الى جانب مدير مكتبه، ومدير رئاسة الجمهورية، وكنت الصحفي الوحيد الذي رافقه في هذه الرحلة الرسمية والاخيرة.

وفي كسنجاي (زائير)، قال اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة لمدير القصر الجمهوري انذاك (احمد حسين الرفاعي) ـ الان امين عام القصر الجمهوري ـ ومدير مكتبه عبد الرحمن المهدي ـ الان رئيس مجلس ادارة ومدير عام بنك الخرطوم ـ ماذا يدور في ذهن «ود عوض ابوزيد»، يقصد ابن عوض ابوزيد ـ والده من اقطاب الاتحادي الديموقراطي ورئيس مجلس بلدية ام درمان انذاك فاجاباه: لماذا..؟ رد في قوله: انه يتفادى الوقوف بجانبه، وحتى في اللحظات التي صادفت وجوده امامه، فانه سرعان ما يبعد عنه..؟ فماذا يدور في رأسه؟

كان الرائد مأمون في المخابرات العسكرية للجيش، وعندما وقع انقلاب ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، شغل منصب سكرتير مجلس قيادة الثورة ووقتها لم يعلق اي من السيد الرفاعي، ولا عبد الرحمن المهدي، وانتهت الزيارة الرسمية، وعاد الوفد الى الخرطوم عصر يوم ٢٣ ايار (مايو) ١٩٦٩.

والذين كانوا في المطار من المستقلين، لاحظوا ان اسماعيل الازهري صافح من كانوا امامه، واتجه على عجل الى السيارة لتقله الى منزله.

لقد احس لحظتها، ومن خلال هذه الزيارة، ان ثمة امراً ما يدبر..! ولكنه لم يعرف يقينا من اين ولا الى اين؟

• • •

قال محمد احمد محجوب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، أنه جاءته رسالة في ايار (مايو) ١٩٦٩ مفادها ان هنالك عدداً من الضباط الشبان في الجيش، يعقدون اجتماعات للاطاحة بالحكومة، وانه في اليوم التالي استدعى الفريق الخواض محمد احمد القائد العام وافاده بما تلقاه من معلومات، فوعد باجراء تحقيق وبعد ٢٤ ساعة، قدم اليه تقريراً، قال فيه: ان المعلومات التي قدمت اليه عارية من الصحة تماما، وانه اي محجوب، لم يشك في نتيجة التحقيق، معتبراً ان النتائج جاءت من مدير الاستخبارات العسكرية الاميرالاي محمد عبد القادر الذي عرفه كضابط نزيه وقدير، ولكنه عرف في وقت لاحق، ان الاميرالاي عبد القادر كان في اجازة انذاك، وان الرائد مأمون عوض ابوزيد كان ينوب عنه، ومن الطبيعي ان يبلغ القائد العام، ان المعلومات غير صحيحة.

وماذا ايضا عن نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية حسن عوض الله؟

وقال نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية حسن عوض الله، انه تلقى تقريراً يفيد بوجود تحرك لبعض الضباط في الجيش، وابلغ بالاسماء، ومن بينها اسم اللواء جعفر نميري، وانه استدعى مدير عام البوليس الذي نفى بدوره هذه المعلومات!

وفي مطلع ايار (مايو) ١٩٦٩، كنت وزميلي الاستاذ الفاتح التيجاني في منزل الصادق المهدي في ام درمان وفي اثناء مناقشة معه حول احتمالات وقوع انقلاب عسكري، رفع الصادق المهدي رئيس حزب الامة انذاك اصابع يده اليسرى، معدداً الاسباب التي تجعله مستبعدا للانقلاب منها، ان ثورة تشرين الاول (اكتوبر) الشعبية اكدت للعسكريين ان الشعب اختار الديموقراطية، ثم ان القيادة الحالية للجيش، متمسكة بالضبط والربط الى اقصى مدى، وهذا ما لمسه ابان رئاسته لمجلس الوزراء من ٦٦ الى مايو ٦٧، ولم يكن الصادق وقتها، قد عرف ان قيادات الافرع الرئيسية للجيش السوداني قد سافرت مجتمعة في وفد واحد الى موسكو للتفاوض بشأن الاسلحة والمعدات التي اتفق على شرائها من الاتحاد السوفياتي، وان الوفد وصل الى هنالك صباح ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩!

وفي ذلك الصباح، اذاع اللواء جعفر نميري والسيد بابكر عوض الله بيان انقلاب ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩؟!

اما لماذا تناول هذا الجانب الخطير، لما حدث في ايار (مايو) ٦٩؟ فلأنه مقترن ايضا بالقاهرة. وبعبد الناصر.. فهل كانا على علم وهل شاركا بأعداد الانقلاب؟

الصادق أعاد
نميري الى الجيش

في صباح يوم ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، اعلن اللواء جعفر نميري قيام مجلس قيادة الثورة برئاسته وعضوية بابكر عوض الله والمقدم بابكر النور والرائد فاروق حمد الله، والرائد هاشم العطا، والرائد ابوالقاسم هاشم والرائد ابو القاسم محمد ابراهيم والرائد مأمون عوض ابوزيد، والرائد زين العابدين محمد احمد عبد القادر.

واعلن بابكر عوض الله تشكيل وزارة جديدة، ضمت شخصيات معروفة باتجاهاتها السياسية، ولكن العديد منهم سمع بتعيينه وزيرا من خلال الاذاعة، وبعضهم، كان خارج السودان (موسى المبارك)، وعين سفير السودان في القاهرة، وزيرا للاقتصاد والتجارة. وجرى اعلان قرارات متتالية اشبه بالصواعق المتلاحقة. حل مجلس السيادة، ومجلس الوزراء، والجمعية التأسيسية، ولجنة الخدمة المدنية ولجنة الانتخابات. وحل المجالس المحلية، واحيل عدد من كبار المسؤولين ممن عرفوا بالكفاءة والخبرة الى التقاعد، وجرى اقصاء اخرين من مناصبهم.

وارسلت برقية الى السفارة السودانية بموسكو لابلاغ اعضاء الوفد العسكري ورئيسه اللواء محمد ادريس عبدالله بالعودة الى الخرطوم، حيث جرى التحفظ عليهم لدى وصولهم ثم تم اعفاؤهم من مناصبهم العسكرية، وكانوا جميعا من اكفأ العناصر العسكرية السودانية.

ووضعت الصلاحيات التشريعية والتنفيذية في يد مجلس قيادة الثورة الجديد، وصدرت قوانين استثنائية صارمة لمنع اثارة اي نوع من المعارضة في وجه النظام الجديد.

وحتى قبل منتصف نهار يوم ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، ظلت الامور في العاصمة ـ اي المدن الثلاث، الخرطوم وام درمان والخرطوم بحري ـ ماضية بصورة طبيعية. غالبية المواطنين انصرفوا الى قضاء شؤونهم اليومية، لم يكن هنالك ما يشير الى مساندة، كما لم يكن هنالك ما يعكس وجود معارضة، وظل الاتصال الهاتفي مستمرا.

كان اسماعيل الازهري رئيس مجلس السيادة قد استيقظ كعادته مبكرا، وادى صلاة الفجر

ثم بدأ في تلاوة القرآن، وحتى عندما ابلغته زوجته بان المدرعات احاطت بداره، استمر في تلاوة القرآن.

اما محجوب رئيس الوزراء فقد كان في غرفة من منزله في الطابق العلوي، عندما قال له صهره، يظهر انه حدث انقلاب. واطل محجوب من الشرفة، وعندما رأى جنودا حول منزله، اجابه: «ليس يظهر، بل ان الامر مؤكد».

كان الهاتف السري في منزله لايزال يعمل، فاجرى اتصالات مع عدد من الوزراء، ولم يستطع اي منهم القيام بشيء، اذ كانت القيادات الرئيسية للجيش خارج البلاد.

اما الصادق المهدي فقد عقد اجتماعا مع كبار مستشاريه في «قبة المهدي» بام درمان، حيث جرى تقويم سريع لما حدث. وكان من رأي احد كبار مستشاريه (نقد الله) وجوب مقاومة ما حدث على الفور.

وبدا ان الامور اخذت تستقر في ايدي النظام الجديد بعد ظهر يوم ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، حيث بقيت الوحدات العسكرية في مراكزها، وجرى سحب الحرارة من اجهزة الهاتف في العاصمة وغيرها من مدن السودان.

وضعت حراسة مشددة على منزل اسماعيل الازهري بام درمان حيث احاطت به الدبابات، وجرى اعتقال الوزراء وفي مقدمتهم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية حسن عوض الله ثم اعتقل الوزراء الاخرون حيث جمعوا في منزل الضيافة بالخرطوم، وكان من ضمنهم الشريف حسين الهندي وزير المالية، الذي كان في تقديره ان النظام الجديد، ينبغي مقاومته من دون خشية او تردد وبعدها اختفى تماما، وسبّب اختفاؤه ازعاجا حاداً للنظام الجديد، حيث راحوا يوجهون نداءات من الاذاعة والتلفزيون بالقاء القبض على الهارب الشريف حسين الهندي او التبليغ عن مكان وجوده. ولكن بدلا من القاء القبض او التبليغ عنه، فانه وجد معاونة كاملة من المواطنين الذين اعانوه على الوصول الى الامام الهادي المهدي في جزيرة ابا، قلعة الانصار، ووجد ان الامام مثله، غاضب تماما لما حدث، وانه قرر معارضة النظام الجديد وشعاراته التي اعلنها.

وبدءا يبحثان معا في كيفية مواجهته واسترداد النظام الشرعي.

ولم يتردد بابكر عوض الله رئيس الوزراء ووزير الخارجية، والذي عُرف عنه فيما بعد صلته الوطيدة بالقاهرة، باتخاذ قرارات عدة مفاجئة مثال الاعتراف بالمانيا الشرقية. ثم بعث برسالة عاجلة لسفارة السودان في لندن، طلب فيها من سفير السودان سر الختم الخليفة، تسليم كل الاوراق الرسمية الى المستشار بالسفارة، واخلاء المنزل الرسمي، وتسليم السيارة وجواز

السفر الدبلوماسي والعودة فورا الى الخرطوم باوراق ثبوتية عادية.

وقد وصف القرار في حينه، بانه اتسم بالجده وعدم التريث، من جانب رئيس وزراء النظام الجديد الذي كان يعتقد ان سر الختم الخليفة الذي شغل منصب رئيس وزراء حكومة تشرين الاول (اكتوبر) قد اجهض اهدافها.

وفي الوقت نفسه صدر قرار اخر بتعيين الدرديري احمد اسماعيل الذي كان رئيسا لحزب وادي النيل ثم انصهر في الحزب الوطني الاتحادي، والذي استقر في القاهرة واسس مكتبا لمزاولة عمله في المحاماة، سفيراً في القاهرة وسرعان ما جرى اعتماده، وقدم اوراقه لجمال عبد الناصر.

كانت القاهرة، اول عاصمة عربية اعترفت بالنظام الجديد، ورحبت به، وراحت تتابع تطورات، الموقف ساعة بساعة، وتتلقى تقارير السفارة المصرية اولا باول.

ونقل الاستاذ بشير محمد سعيد الشخصية السودانية المرموقة والذي شغل منصب المستشار الاعلامي للفريق اول عبد الرحمن سوار الذهب في اعقاب الانتفاضة الشعبية في نيسان (ابريل) ١٩٨٥، ما سجله الكاتب المصري المعروف احمد حمروش في كتابه «قصة ثورة ٢٣ يوليو»:

«وعندما اعلنت اسماء اعضاء مجلس قيادة الثورة واعضاء مجلس الوزراء تبين ان لي صلات شخصية وسياسية مع عدد منهم وهم الرائد الشهيد هاشم العطا الذي كثيرا ما زارني في القاهرة وفي مكتبي في روز اليوسف، موفداً من الشهيد المناضل عبدالخالق محجوب للتعرف على طبيعة الجيش عام ١٩٥٢، والمحامي فاروق ابوعيسى وزير الدولة للرئاسة وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الذي لعب دورا رئيسيا في ثورة اكتوبر ١٩٦٤، وبابكر عوض الله رئيس القضاء الذي تعرفت اليه اثناء موقفه المساند للشعب خلال ثورة اكتوبر ٦٤، فمحجوب عثمان وزير الارشاد وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، والذي حضر موفدا من الحزب لمقابلة جمال عبد الناصر، والذي قابلته ومعه امين الشبلي وزير العدل والذي كان نقيبا للمحامين. ورئيسا للحزب الاشتراكي، وشارك في ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر. ابلغت جمال عبد الناصر هذه الحقائق من خلال شعراوي جمعة، واتصل بي سامي شرف بعد ساعة واحدة، طالبا مني مقابلة جمال عبد الناصر في مساء اليوم نفسه في ٢٦ ايار (مايو) ١٩٦٩.

وعندما ذهبت الى مكتب سامي شرف (سكرتير عبد الناصر) فوجئت بوجود احمد فؤاد رئيس مجلس ادارة بنك مصر، والزميل السابق في قسم الجيش في حدتو (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني، نواة الحزب الشيوعي المصري). وكان جمال عبد الناصر مشرق الوجه، مهتماً اشد الاهتمام بما حدث في السودان، ولم تكن علاقة جمال عبد الناصر سيئة بأية حال مع نظام

الازهري ومحجوب.

ونقل الاستاذ بشير محمد سعيد، عن حمروش قوله: وصلت الخرطوم يوم ٢٧ ايار (مايو) وقمت مع الزميل احمد فؤاد فور وصولنا بمقابلة جعفر نميري وبابكر عوض الله في مقر قيادة القوات المسلحة. وقد طلب الاثنان انضمام الرائد مأمون عوض ابوزيد باعتباره قد عين مسؤولا عن امن الثورة.

واستقبل الجانب السوداني رسالة جمال عبد الناصر بترحيب شديد، واعتبرها بابكر عوض الله تثبيتاً للحركة وامراً منتظراً من جمال عبد الناصر الذي عرف بمساندته لحركات التحرر الوطني.

وفي الصباح، ذهبنا الى منزل الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب في منزله المتواضع بام درمان، وعقدنا معه جلسة مناقشة طويلة حول الوضع الجديد في السودان. وتبين لنا ان حركة القوات المسلحة قد تمت بواسطة سريتين من المظلات، وقوة من المدرعات لا يتجاوز عددها اربعمائة ضابط صف وعسكري، كانوا في مناورات خارج الخرطوم، حسب مشروع سابق، وتمت العملية بهدوء، ولم تطلق سوى طلقة رصاصة واحدة في الهواء في مكتب بريد الخرطوم اثناء قطع المواصلات.

وعاد المبعوثان من الخرطوم الى القاهرة «وعندما عدنا، استقبلنا عبد الناصر فوراً في استراحة القناطر، وكان اول سؤاله لنا عن استقرار الاوضاع، ثم اسباب تأخرنا هناك، وبعد جلسة امتدت ساعتين، طلب منا ان نداوم الاتصال به في كل ما يتعلق بالتطورات الجديدة، وبعيداً عن الاتصالات التقليدية لتسهيل وصول الحقائق الى جمال عبدالناصر لاصدار القرارات اللازمة. وقد توطدت العلاقات كثيرا بين النظام الجديد في السودان وبين عبد الناصر، وانسجمت سياسة الدولتين حول مشكلة الشرق الاوسط وحول رفض الهزيمة، وقال جعفر نميري، ان جمال عبد الناصر، قال له: ثورة السودان اعطتني قوة وعزيمة ومنحتني املا وثقة.

وجد عبد الناصر في ثورة السودان عمقا استراتيجيا لمصر، ووجدت ثورة السودان في جمال عبد الناصر سنداً لها».

وكانت العلاقة بين القاهرة والخرطوم في هذه الفترة شديدة الارتباط اكثر منها بين القاهرة واية عاصمة عربية اخرى، وانتعشت في ذهن عبد الناصر الوحدة العربية مرة اخرى.

وعندما استقرت الامور الى حد معقول للنظام الجديد، قرر مجلس قيادة الثورة ارسال وفود الى العواصم العربية لينقلوا اليها اهداف الثورة، وحرصها على تقوية العلاقات مع الدول



اللواء جعفر نميري مع كاتب هذه الحلقات ومدير وكالة الانباء الفرنسية في القاهرة اثناء لقاء تم فجر ٢٦ ايار (ايار) ١٩٦٩



نميري في بورتسودان

العربية. وكان اول وفد منها قد اتجه الى القاهرة، وضم الرائد ابو القاسم محمد ابراهيم والرائد مأمون عوض ابوزيد، اللذين اتجها مباشرة، في اعقاب وصولها الى القاهرة، لمقابلة جمال عبد الناصر الذي كان في انتظارهما، فأديا امامه التحية العسكرية ثم صافحاه في ود شديد، ونقلا اليه رسالة مجلس قيادة الثورة وتقديره له لمساندة ثورة السودان التي ستكون دعما لمصر وللامة العربية وللثورة الفلسطينية.

واهتمت الصحافة المصرية بتغطية هذه الزيارة في صفحاتها الاولى، حيث نقلت الاستقبال الرسمي من مطار القاهرة، ثم لقاء المبعوثين بعبد الناصر والتحية العسكرية التي ادياها امامه، ثم نقلت الرسالة التي حملاها.

وكان من الواضح، ان الاعلام المصري ركّز بصورة مكثفة على نقل التطورات في الخرطوم اولا باول، واحيانا، كانت الصحافة المصرية، تسبق الصحافة السودانية في نقل الانباء السودانية، اذ نشرت صحيفة الاهرام القاهرية، خبراً مفاده، ان محمد احمد محجوب الذي وضع قيد الاقامة الجبرية في منزله بالخرطوم سيسمح له قريبا بالسفر الى لندن للعلاج.

واذكر اني نشرت هذا الخبر نقلا عن الاهرام في الصفحة الاولى لصحيفة الرأي العام اليومية، فتلقيت محادثة هاتفية من الرائد فاروق حمد الله عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الداخلية، فسألني ان كنت قد تعمدت ابرازه في الصفحة الاولى؟ فقلت: نعم، لان الكثيرين كانوا يعرفون انه قد أجريت له عملية كبيرة في لندن، وانهم لابد وقد احسوا بالقلق نحوه وهو رهن الاعتقال، وكما ان قرار سفره يمثل عملا طيبا، ومبادرة حسنة ثم انصرفنا الى حديث اخر، ولكني عرفت فيما بعد انه سجل على «الرأي العام» نشرها الخبر وابرازه قبل ابلاغ محجوب شخصيا به؟! بينما لم يؤخذ على الصحيفة القاهرية شيء من هذا.. اذ عرفته ونشرته من دون موافقة مسبقة.

كان اللواء جعفر نميري رئيس مجلس قيادة الثورة قد سافر بعد اسابيع قليلة من القيام بحركة ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩ الى موسكو على رأس وفد سوداني كبير بغرض الحصول على مساعدات في المجالات الاقتصادية والزراعية والعسكرية. وعندما انتهت زيارته من دون نجاح يذكر، عاد الى الخرطوم عن طريق القاهرة، حيث توقف للقاء جمال عبد الناصر. وقد اقام اللواء نميري حفل افطار، اذ كانت الزيارة في شهر رمضان، حضره عبد الناصر ونميري واعضاء الوفد السوداني، ولاحظ نميري ان معظم المناضد خالية من المدعوين، وعندما انتهى الافطار وودع عبد الناصر، سأل عن سبب عدم حضور المدعوين فتبين له، ان السفير طلب قائمة باسماء المدعوين، وايضا بطائق الدعوة لمراجعتها، ونسيها تماما في مكتبه، وبالتالي لم يحضر اي من المسؤولين المصريين لان الدعوات بقيت اسيرة احد ادراج مكتب السفير.

واصاب نميري غضب شديد، وسارع فور عودته الى الخرطوم باعفاء السفير الذي لم يمض على تعيينه سوى اسابيع قليلة. وجرى تعيين احمد سليمان كسفير جديد في القاهرة وكان صاحب شخصية ذات ثقافة عربية وتاريخية واسعة. واستطاع في وقت قصير اقامة علاقة طيبة مع عبد الناصر والمسؤولين المصريين كافة وايضا مع الكتاب والمثقفين في مصر ومن بينهم الاستاذ احمد بهاء الدين.. وقد استقال عام ١٩٧١، لخلافه مع النظام الجديد.

ومن المفارقات في النظام الجديد، ان رئيس مجلس قيادة الثورة اللواء جعفر نميري، كان قد ورد اسمه في محاولة انقلاب في مطلع عام ١٩٦٦، حيث اعتقل عدد من العسكريين والمدنيين،

واظهرت التحقيقات انه لا علاقة للعقيد جعفر نميري بهذه المحاولة. وكان صاحب قرار اعادته الى القوات المسلحة، رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنذاك الصادق المهدي.
اما المفارقة الثانية، فان رئيس الوزراء في النظام الجديد بابكر عوض الله والذي كان قاضيا في مطلع الخمسينات في مدينة الابيض رشحه اسماعيل الازهري رئيس الوزراء ورئيس الحزب الوطني الاتحادي صاحب الاغلبية في البرلمان، كاول رئيس لبرلمان منتخب في السودان.

وجرى اتصال بالسيد محمد عثمان الميرغني زعيم الختمية ليصدر بيانا يعلن فيه تأييده للنظام الجديد، ولكن الميرغني قال لموفدي النظام: كيف تطلبون مني التأييد والمساندة، وقد وضعتم رئيس الحزب الاتحادي اسماعيل الازهري تحت الحراسة الجبرية، واحاطت المدرعات بمنزله، ووضعتم قيادات الحزب والوزراء المعتقلين في منزل الضيافة، واخرين في سجن كوبر، واصدرتم بيانات بمطاردة وملاحقة الذين تعذر القبض عليهم (يقصد حسين الهندي).
وقال له ممثلا النظام، ان الثورة تمثل توجهاته نفسها مع الامة العربية والتعاون مع مصر ومساندة قضية فلسطين، فجاء رده، ان هذا امر مختلف، لانكم القيتم القبض، وجاهرتم بالعداء، لهؤلاء الذين حملوا هذه الاهداف عبر سنين طويلة.
وانتهت مقابلته معهما، بانه لا يستطيع، اعلان اي تعليق او تأييد، قبل سحب المدرعات من حول منزل الازهري، واطلاق سراح قيادات الاتحادي الديموقراطي.
وكانت تلك مفارقة اخرى، لقد كان النظام يعتقد ان محمد عثمان الميرغني وبحكم العلاقات التاريخية مع مصر وعبد الناصر، سيكون اول المؤيدين، ولم يخطر في بالهم، تحفظه او امتناعه عن اعلان مساندة النظام الجديد.
وكان عبد الناصر والقاهرة يتابعان ايضا اولا باول ما يجري في السودان، خصوصا وان الاحداث، ظلت تتدافع بلا حدود، وايضا.. بلا انقطاع؟

القدس
والضفة قبل سيناء

وظل النظام الجديد مواصلاً لجهوده لتأمين الاوضاع الداخلية، حيث تمت مقابلة بين اللواء جعفر نميري والصادق المهدي، وجرت مناقشة طويلة، ابدى خلالها الاخير تحفظه الشديد نحو الصيغة اليسارية المتطرفة للنظام الجديد. مما يعني تجاهل القوى السياسية الرئيسية في البلاد، وطرح افكاره بوضوح شديد. وطلب اللواء جعفر نميري امهاله للتشاور مع زملائه، اعضاء مجلس قيادة الثورة، حيث اتخذ المجلس قرارا اخر، في استدعاء الصادق المهدي لمواصلة الحوار بمقر القيادة العامة للجيش، ولم يجد احداً في انتظاره وانما وجد قرارا بنقله بالطائرة مباشرة الى مدينة بورتسودان (شرق السودان) واحتجز هناك ليكون بعيداً عن تطورات الخرطوم وايضا عن احداث جزيرة أبا.

كان الامام الهادي المهدي، قد قرر مقاومة النظام الجديد وانضم اليه العديد من الشخصيات السودانية. ونقلت التقارير أن اسلحة حديثة اخذت طريقها الى جزيرة أبا. وان تدريبات واسعة تجري هنالك لاستخدام السلاح.

وقال الاستاذ بشير محمد سعيد في مذكراته: ان الانقلابيين اكثروا من عيونهم وجواسيسهم في المنطقة ليزودوهم بالمعلومات، وعزفوا ان الانصار ظلوا يرددون «لا سلام بلا اسلام»، «الله اكبر ولله الحمد»، «القرآن دستورنا ولا شيوعية ولا الحاد».

وارسلت قيادة النظام بقوة عسكرية محدودة العدد الى جزيرة أبا بقيادة الضابط ابوالذهب.. وقد حاصرها الانصار اول الامر، واحاطوا بها، ولكنهم مكنوا قائدها في نهاية المطاف من مقابلة الامام الهادي المهدي، حيث تظاهر بموافقته على ما طلب، وهو ابعاد الوجه الشيوعي عن النظام واعادة الديموقراطية وحكم الشورى الى البلاد.

وتطورت الاحداث بعد هذا تطوراً سريعاً، حيث استخدمت الطائرات لاول مرة لالقاء المنشورات التي تدعو الاهالي الى الاستسلام. وجاء في احد المنشورات: «لقد وضح لسلطة الثورة ان الهادي يقف موقف التحدي لها غير مكترث»، وقالت المنشورات: «يا جماهير جزيرة سوداننا الحبيب، فالثورة قامت من اجلكم واجل ابنائكم.. تفجرت لتسعدكم، وتخرج بكم من


محادثات عبد الناصر ونميري في اوائل عهد مايو

الظلمات الى النور، ومن العبودية والتسلط الى الحرية والصحة والرفاهية.

وعليه فان السلطة تناشدكم حماية لاطفالكم ونسائكم بان تسلموا كل الاسلحة النارية للسلطات، ولا تنخدعوا وتقتلوا انفسكم، واخوانكم.

سلموا انفسكم للسلطات بالتبليغ خارج الجزيرة أبا لاعادة سيطرة السلطات واستتباب الامن.. واذا لم تنصاعوا للتعليمات المطلوبة سنحملكم المسؤولية الجسيمة امام الله والوطن».

ولم يكن في تخطيط الامام الهادي المهدي ولا الشريف حسين الهندي ولا من معهما، ان تقع المعركة في المكان الذي وقعت فيه، ولا في الزمان الذي شهد وقوعها، وكان تخطيطهم ان يتم التدريب فيها ثم ينسلون منها الى الغرب برجالهم وسلاحهم.

وضربت الطائرات الجزيرة بقنابلها الحارقة، ولما رأى الامام الهادي ما تعرض له رجاله ومؤيدوه من تقتيل وما قابلهم من قوة لا قبل لهم بها، امر بالتسليم حقناً للدماء، فسلم من سلم وقاتل من قاتل، وقتل من قتل.

اما الامام الهادي فقد صحب معه قلة من ذويه، وخرج من جزيرة ابا التي تبعد نحو ٢٥٠ ميلا عن الخرطوم متجهاً نحو الحدود الشرقية، وفي نيته وعزمه الوصول الى اثيوبيا، ليكون لاجئا لدى الامبراطور هيلاسيلاسي، وقرب منطقة الكرمك على الحدود الاثيوبية وقعت مناوشات انتهت بمقتله مع اثنين من مرافقيه. وصدر بيان رسمي اذاعه راديو ام درمان، اعلن فيه: «ان الحراس في نطقة الحدود في الكرمك على الحدود الاثيوبية امروا سيارتين بالتوقف، وان السائقين تجاهلا الاوامر وحاولا اجتياح الحاجز المقام على الطريق، وجرى تبادل اطلاق نار وان الامام الهادي المهدي لقي مصرعه في احدى السيارتين»، ثم صدر بيان لاحق بأن الامام

الهادي دفن قرب الحدود الاثيوبية، ولم تعط اي تفاصيل اخرى، وظل مكان دفنه سراً مدفونا معه، حتى قامت الانتفاضة الشعبية، حيث كونت لجنة للتقصي في كيفية مقتله وموقع دفنه، الذي حدد وجرى في مطلع هذا العام نقل رفاته من هنالك وتم دفنه بجوار والده وجده في ام درمان.

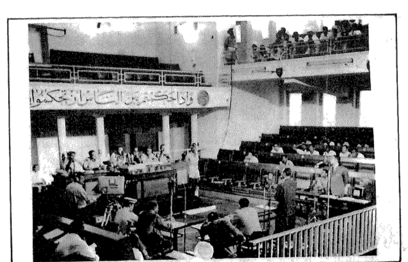
وفي اليوم التالي، كانت احداث ابا بما فيها مقتل الامام الهادي المهدي، العناوين الرئيسية لصحف القاهرة، انذاك «الاهرام» و «الاخبار» و «الجمهورية»، وابرزت البيانات التي اذيعت من راديو ام درمان.

وكان من الواضح، ان عبدالناصر تابع هذه الاحداث باهتمام شديد، وايضا بحزن وأسف لما انتهت اليه.

وافلح الشريف حسين الهندي في الخروج من جزيرة ابا الى الحدود فوصل اثيوبيا واتفق مع الامبراطور هيلاسيلاسي على استضافة السودانيين الذين قرروا مقاومة النظام الجديد. اما هو فاتجه الى المملكة العربية السعودية، حيث استقبله الملك فيصل فور وصوله، اذ كان يعرفه جيداً، وتوثقت الصلات بينهما ابان انعقاد مؤتمر القمة العربي بالخرطوم في عام ١٩٦٧، واعجبه فيه ذكاؤه الحاد وقدراته العالية واحسن الفيصل استقبال الهندي الذي شرح له حقيقة الاوضاع في السودان، واستمع الملك اليه باهتمام بالغ، اذ كانت للسودان، ولاتزال مكانته لدى السعودية، واستضافه في كرم عربي اصيل ووضع تحت تصرفه كثيراً من الامكانيات التي احتاجتها الجبهة الوطنية انذاك.

• • •

وحدثت تطورات اخرى حزينة، ففي منتصف آب (اغسطس) ١٩٦٩ توفي علي الازهري الشقيق الوحيد لاسماعيل الازهري. وأبلغ الازهري بنبأ وفاة شقيقه علي وهو رهن الاعتقال بسجن كوبر، وسمح له بالتشييع، وعندما حضر وجد في انتظاره حشداً كبيرا من المواطنين، فاستقل السيارة مع السيد محمد عثمان الميرغني، وفي طريق العودة من المدافن، اصيب بنوبة قلبية، وكانت تلك اول مرة تنتابه، بل اول مرة يتعرض فيها لأزمة صحية، وجرى نقله الى مستشفى الخرطوم، ووضعت حراسة امام غرفته، ووجد عناية فائقة من الاطباء، ولكنه اسلم الروح بعد اسبوع واحد من رحيل شقيقه علي، وخرج سكان العاصمة باكملها واتجهوا نحو منزله بام درمان، رغم انه لم يذع نبأ وفاته الا في وقت متأخر، وقفلت الطرق. ولم يشر بيان وفاته الى اسماعيل الازهري باعتباره احد مؤسسي الحركة الوطنية في السودان ورئيس اول حكومة وطنية، وكان رئيساً للحزب الاتحادي الديموقراطي، ولمجلس السيادة حتى ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٩، ولكن الصحف اليومية فعلت ذلك مما اغضب النظام الجديد.



المحكمة العسكرية التي مثل امامها اركان حكومة الازهري



الإمام الهادى المهدى زعيم الأنصار فى الجزيرة أبا

شيع جثمان الازهري في موكب رهيب اثار الفزع والقلق لدى قادة النظام انذاك، وراحت طائرات الهليكوبتر تحلق فوق مواكب المشيعين الذين غطوا كل الطرق والميادين الرئيسية، والقى السيد محمد عثمان الميرغني خطابا حماسيا عدّد فيه ماثر الازهري، وانجازاته الوطنية على المستويين السوداني والعربي والاقليمي، وكان موت الازهري فاجعة حقيقية لكل سوداني، اذ ظل طول حياته رمزاً للوطنية ونموذجا للقيادة الملتزمة بالقيم الدينية والاخلاقية والوطنية.

وعندما انتهت مراسم التشييع والدفن، تنفس قادة النظام الجديد الصعداء، اذ كان رحيله

المفاجىء مريحا لهم لأن مجرد وجوده حياً، ورهن الاعتقال يعني وجود معارضة يصعب مقاومتها.

وشكل النظام الجديد محكمة اسماها «محكمة الشعب» لمحاكمة الوزراء الذين اتهمهم بالفساد برئاسة الرائد ابوالقاسم محمد ابراهيم، وقدم امامها نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية حسن عوض الله، وعبدالماجد ابو حسبو وزير الاعلام واحمد السيد حمد وزير التجارة والتموين ويحيى الفضلي وزير المواصلات واحمد زين العابدين وزير الصحة، وكانوا جميعا من قيادات الحزب الاتحادي الديموقراطي وجرت المحاكمة علنية عبر التلفزيون والاذاعة، وظهر ان نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وايضا بقية زملائه الوزراء السابقين كانوا يقطنون اما في منازل للايجار او مرهونة لدى البنوك التي قدمت قروضاً لتشييدها. وتحولت المحاكمة الى دليل براءة، وشهادة علنية بنزاهة الحكم الذي اتهم بالفساد، وكان وزير الصحة احمد زين العابدين وهو محام، شديد السخرية من المحاكمة ولذلك جرى الحكم بسجنه ثم افرج عنه فيها بعد حيث لجأ الى بريطانيا.

وقعت كل هذه الاحداث، ولم يتجاوز عمر النظام الجديد سوى اشهر قليلة، ورأت قيادة مجلس الثورة دعوة جمال عبد الناصر الى زيارة السودان لمناسبة احتفالات عيد الاستقلال (الذكرى الرابعة عشرة) في اول كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠، واستقبل استقبالاً شعبياً كبيراً لدى وصوله الخرطوم. واقيم احتفال شعبي باستاد الخرطوم تحدث فيه اللواء جعفر نميري، ثم تحدث جمال عبد الناصر في خطاب امتد لاكثر من الساعة وقال فيه:

«جئت اليكم هنا في آب (اغسطس) سنة ١٩٦٧، بعد الهزيمة، وفي هذا الموقف الصعب، كنت اتساءل عند وصولي الى مطار الخرطوم، ماذا سيكون عليه الحال، حينما اقابل هذا الشعب الشقيق المكافح.. وعندما وصلت الى عاصمتكم المجيدة، رأيت شعب السودان البطل يعطينا من الامل في المستقبل كل ما يمكن ان آخذه وكل ما يمكن ان اؤمن به، وقف شعب السودان البطل في الطرقات من الصباح الى المساء حتى وصلنا لنحضر مؤتمر الخرطوم. وكان الشعب كله ينادي بالتصميم على النضال، والتصميم على الصمود، وعلى الوقوف حتى النصر، وعدت الى القاهرة بعد مؤتمر الخرطوم وخرجت المجلات الاجنبية وقالت «الشعب في الخرطوم يهلل للبطل المنهزم».. وقلت في نفسي في هذه الايام، ان هذا الشعب لم ينهزم وانما كان يعبر عن ارادة الامة العربية».

ومضى عبد الناصر في حديثه امام الجماهير السودانية قائلا: «كانت حيوية الشعب السوداني، ونحن نعقد المؤتمر هنا في الخرطوم، هي الملهم، ألهمنا الشعب حتى ينجح المؤتمر، وحتى استطعنا ان نخرج من المؤتمر بقرارات تساعد على الصمود، وتأكيد قدرة الامة العربية على

مواجهة اي صدمة عارضة تقابلها، ولم تكن الاحداث المحزنة، المؤسفة التي حدثت في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الا صدمة عارضة ألمت بنا ولكننا تأثرنا بالصدمة، ولم نفقد أملنا في المستقبل».

وقال عبد الناصر: «كان الاستعمار يريد اشاعة الاستسلام، وكنت اقول في نفسي في هذه الايام في حزيران (يونيو) ١٩٦٧، هل تستطيع الامة العربية ان تقاوم هذه الحملة الجارفة التي يشنها الاستعمار واعوان الاستعمار حتى نيأس من المستقبل؟».

واجاب عبد الناصر: «اليوم ونحن نبدا اول يوم من عام ١٩٧٠ اقول لكم اننا استطعنا في مصر ان نبني القوات المسلحة من جديد اضعاف ما كانت عليه في الماضي، واننا استطعنا ان نعلم ما هي الاخطاء التي كانت، واستطعنا ان نعمل على تصحيح هذه الاخطاء، ان كل فرد من ابناء مصر اليوم يدخل في القوات المسلحة سواء في ذلك الفلاح او العامل او خريج الجامعة.. كلهم صفوف متراصة من اجل الدفاع عن الاهداف القومية.. كلنا اليوم في مصر يد واحدة.. اننا اليوم نضع في جبهة القتال اكثر من خمسمائة الف مقاتل، واننا نسير على الطريق نبني فعلا الجيش القوي الذي يتكون من مليون مقاتل حتى نتمكن من مجابهة اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل».

وقال عبد الناصر: ان علينا ان نعمل، ونعمل من اجل النصر، ومن اجل الحرية، ان ارضنا قد اغتصبت، ليس فقط في سيناء، ولكن في الضفة الغربية وفي القدس وفي الجولان. ونحن نطالب بالقدس قبل سيناء، ونطالب بالضفة الغربية قبل سيناء، ونطالب بالجولان قبل سيناء.

واضاف عبدالناصر: اننا نسير في طريقنا، وقد قال الاخ اللواء نميري انكم مع اخوتكم في مصر الجيش، جيش واحد، والشعب شعب واحد، وهو هو المعنى الكبير الذي يعبر عن وحدة وادي النيل، وعن وحدة مصر والسودان وان الوحدة التي كانت في الماضي والتي كانوا ينادون بها في الماضي كانت وحدة بين الاقطاع، ولا يمكن لاي شعب باية حال من الاحوال ان يقبل وحدة بين أقطاع، انها في هذه الاحوال عمل توسعي، اما الوحدة التي ننادي بها اليوم فهي وحدة الاحرار.

ملحوظة:

أبدى الاتحاديون حزنهم الشديد للتعبير الذي اطلقه عبدالناصر على مناداتهم بالوحدة او الاتحاد مع مصر، بـ «وحدة الاقطاع» وقالوا انه تجاوز الحقيقة التاريخية، اذ ظلت المناداة بهذا الشعار على مدى خمسين سنة بين شعبي وادي النيل.

وابلغ عبد الناصر: فقد ظنت اسرائيل انها محت كلمة فلسطين، ولكن شعب فلسطين خرج وخرج الفدائيون، وخرجت المقاومة الفلسطينية تقاتل وتستشهد وتواصل بطولاتها، اننا

استطعنا ان نتوحد وقامت الجبهة الشرقية تتعاون مع الجبهة الغربية، اريد ان اقول لكم ان هذه المعركة ليست معركة سهلة، ولكنها معركة صعبة جدا، لانها معركة مع اسرائيل، ومن هم وراء اسرائيل، والتي تريد منها ان تقضي على شعوب الامة العربية كما تصورت انها قضت على شعب فلسطين.

وقال عبدالناصر للجماهير السودانية: ان الاستعمار حاول بكل الوسائل ان يكسر مقاومتنا، وان يجعلنا نستسلم ونسير في طريق غير طريق الصمود، قلنا اننا نريد السلام، ولا نقبل الاستسلام، رفضنا المشروعات المشبوهة في سنة ٦٨ وسنة ١٩٦٩، وكانت المشروعات تتلخص اساساً في التفرقة بين العرب، تسوية لمصر وحدها ثم بعد هذا تسوية للاردن، وكنا نعلم ان هذا يعني ان القدس قد ضاعت واعطيت لليهود، وان الضفة الغربية قد ضاعت واعطيت لاسرائيل، وقالوا لنا ان مسألة الحدود مع مصر، ليست مسألة نقاش، وليس مسألة مفاوضات، وقلنا.. ماذا عن القدس؟ وماذا عن الضفة الغربية؟ اننا لا نفرق بين سيناء والارض العربية في الاردن وسوريا.

نريد تحرير ارضنا جميعا، لن نتنازل عن شبر من ارضنا بأي حال من الاحوال.

وقال عبد الناصر: كنا نرى من القاهرة، نراكم هنا في السودان، والشباك، تلتف من حولكم، شباك الولايات المتحدة والمانيا الغربية والدول الاستعمارية، وكنا نتساءل اذا حل هذا بالسودان، فماذا سيكون مصيرنا؟ ان السودان يؤمن جبهتنا الجنوبية، وكنا في هذه الايام نشعر اننا لا نستطيع ان نفعل شيئا لاننا نواجه العدو على قنال السويس، وكنا نحسب حسابنا، ونضع تقديرات للموقف، ونقول لقد قارب السودان ان يسقط في قبضة الاستعمار ولم يبق الا ايام قليلة، وفجأة وفي فجر ٢٥ ايار (مايو) اعلن راديو السودان، هذه الثورة، ثورة السودان. لقد استطاعت القوات المسلحة في السودان ان تقوم بدورها وتخرج لتحمي شعب السودان.

فاين الاستعمار، لقد ذهب الاستعمار.. واعوان الاستعمار؟

وقال عبد الناصر للجماهير: انه طالع الصحف السودانية صباح اليوم وقرأ ان صحيفة (الرأي العام اليومية) سألته كيف سارت الثورة المصرية وكيف استطاعت ان تعمل ما عملت؟ وجاء رده: ان الحل بسيط، الوحدة الوطنية والتنازل عن الانانية، لقد حققنا، ما حققناه في مصر بالوحدة الوطنية، وانني اتمنى ان تحققوا في السودان باكثر وبأسرع ما حققناه في مصر.

وكانت لخطاب عبد الناصر انذاك، اصداء واسعة داخليا، وخارجيا، اذ اعلن عن اكتمال بناء القوات المسلحة المصرية (٥٠٠ الف جندي) وفي طريقهم الى (المليون جندي) وتحديث السلاح،

ورفض الحل المنفرد، واقامة الجبهة الشرقية للتعاون مع الجبهة الغربية.

وعبرت القيادات السودانية التي شاركت في الحكم حتى ايار (مايو) ١٩٦٩، عن اسفها، وحزنها لوصف عبد الناصر لها «بانهم أعوان الاستعمار». لقد كانوا اول من اتصلوا بعبدالناصر قبل وقوع حرب ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، يسألوه عن احتياجات مصر للمعركة وللحرب، وعندما حلت الهزيمة، سارعوا قيادة وشعبا الى تضميد جراح مصر، وجراحه شخصياً بعقد مؤتمر القمة العربي بالخرطوم، وبانهاء القتال في اليمن، واعادة الجيش المصري من جبال اليمن الى مصر.

وقال خضر حمد، وحسن عوض الله، والشريف حسين الهندي وعبد الماجد ابو حسبو من قيادات الاتحادي والديموقراطي، لقد كان دعمنا لمصر، ولعبد الناصر ولمصر، صادقا ومتجردا وبلا حدود.

وقال محجوب رئيس الوزراء: «ان عبد الناصر قال له، نحن مدينون للسودان بما تحقق في مؤتمر القمة العربي، وانه عند اكتمال جهود السلام في اليمن ويعود اخر جندي مصري الى ارض الجمهورية العربية المتحدة، فسأمنحك ارفع اوسمة الجمهورية.. وبدلاً من الوسام سائد الانقلاب العسكري ضد حكومتي»!.

ورحبت الصحف السودانية في افتتاحياتها بعبدالناصر وبحديثه الصريح للشعب السوداني وللامة العربية، واتسعت شعبية النظام الجديد في السودان.

ولكن الاحداث مازالت تتوالى... فالى اين؟

وقبلها ماذا قال في طرابلس، وماذا كان موقفه من الوحدة الثلاثية الفورية بين مصر والسودان وليبيا...؟

لا.. للوحدة الفوريّة

كان عبد الناصر قد جاء الى طرابلس، ومعه اللواء جعفر نميري رئيس مجلس قيادة الثورة، والعقيد معمر القذافي رئيس مجلس قيادة ثورة الفاتح من ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩.

وجرى عقد اجتماعات بين عبد الناصر ونميري والقذافي، حضرته الوفود المرافقة لهم، لبحث الوحدة الثلاثية بين مصر والسودان وليبيا.

وكان العقيد معمر القذافي اكثر تشدداً في مطلبه بأقامة واعلان وحدة ثلاثية فورية.

وعلى حد قول السفير السوداني ابوبكر محمد صالح احد مقرري اجتماعات طرابلس: ان عبد الناصر ابدى تحفظاً شديداً نحو الوحدة الفورية، اذ كان يرى ضرورة وجود المقدمات والضمانات التي تكفل نجاح وثبات الوحدة، وانه يستوجب اولاً العمل على الوحدة الوطنية، وازالة المشاكل الداخلية، واستعرض الاوضاع الداخلية في السودان، وايضا في ليبيا، وفي مصر، واشار الى مشكلة الجنوب ووجوب حلها، وايضا وجوب الحفاظ على السيادة بتأكيد عدم الانحياز. وكان وقتها بقصر السودان، اذ ادلى رئيس الوزراء ووزير الخارجية انذاك بتصريحات تعكس التعاطف مع المعسكر الشرقي.. لاستمالة الشيوعيين للنظام الجديد.

ونقل ايضا تجربته الوحدوية بين مصر وسوريا، وظروفها ثم وقوع الانفصال واسبابه واثاره.

وقال للمجتمعين: ان قرار الوحدة يستوجب صدوره من القاعدة، وعبر اقتناع ومشاركة، وعبر تدرج يأخذ في الاعتبار ظروف كل بلد على حدا، وارساء قاعدته الاجتماعية والاقتصادية وتأتي بعدها الوحدة السياسية.

وقال لهم ان ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢، نادت بالاشتراكية، ولكن كانت هنالك اسبقيات واوليات، انصرف الجهد نحوها، ولم تبدأ ثورة ٢٣ تموز (يوليو) بالاخذ بالاشتراكية في مصر الا في تموز (يوليو) ١٩٦١، وقال احد الحاضرين، نحن نستغرب هذا الحديث لقد كنت تنادي دائما بالوحدة العربية، ولكننا نراك تتراجع.

فضحك عبد الناصر.. وقال: إعتبرني انفصالياً..!

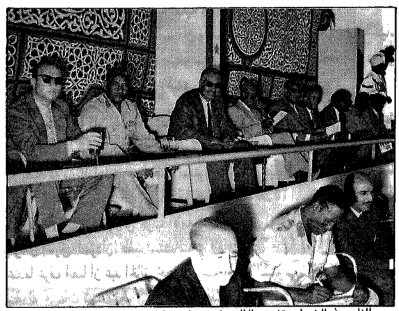
وبعدها صدر ميثاق طرابلس في صفحة واحدة، واشار الى ان الوحدة تأتي بالتدرج،

والتكامل، وان الوحدة الوطنية مقدمة للوحدة العربية..

وفي لقاء في منزله بمنشية البكري يوم ١٤ ايار (مايو) ١٩٧٠، شرح عبد الناصر للاستاذ محجوب محمد صالح رئيس تحرير صحيفة الايام السودانية كيفية التكامل والتعاون الاقتصادي والثقافي والعلمي بين مصر والسودان وليبيا. وجاء في ذلك قوله: في رأيي ان كلمة (التكامل) لا تعبر عن الوضع الذي نريده. التكامل يعني ان تمتنع دولة من الدول الثلاث عن صنع سلعة تنتجها دولة اخرى. وليس هذا هو ما نريد.. أو نسعى اليه، ان تجربتنا تثبت ان كل بلد من هذه البلاد، يستطيع ان يستوعب كل شيء، وان ينتج في كافة المجالات، ولذلك فان هدفنا، هو ان يقدم كل بلد للاخر من التسهيلات التي في مقدوره ان يقدمها، والتي يطلبها البلد المعني، حتى يعمل الجميع، وحتى تستغل الطاقات والامكانيات استغلالا تاما، المسألة في بساطة هي اتفاق للتعاون في هذه الميادين ولتبادل المنافع، واستغلال كل بلد لموارده، وقد كانت هنالك اتفاقية تجارية ثنائية بين السودان ومصر، وقد انضمت اليها الان ليبيا.. وبجانب هذا التعاون هناك امور اقتصادية اخرى مثل اعطاء الافضلية لدولة، ومعاملة اكثر رعاية، وتخفيض العوائد الجمركية، مثلما يحدث في دول السوق الاوروبية المشتركة. وبالنسبة لنا، فان تطبيق هذه التسهيلات يحتاج الى مزيد من الوقت والدراسة.

ويجب ان نذكر انه لكي تنجح هذه السياسات، لابد ان تشعر كل دولة من الدول الثلاث، وتقتنع أن مصلحتها تتحقق بصورة كاملة عندما تقدم على مثل هذه الخطوة، واذا تسرعنا من دون أن نستوثق من اجماع رغبات كل بلد من البلدان الثلاثة، فاننا نفتح ثغرة ينفذ منها الاستعمار. (التكامل)، كلمة خاطئة تحتمل التفسير، بان مصر تنتج سيارات، ولذا فان الدولتين الاخريين يجب ان لا تعملا على انتاج السيارات.. السيارات التي تنتجها مصر لا تكفي نصف حاجتها، وليس هذا هو التعاون الذي ننشده.. اننا نهدف لتحقيق الفوائد المشتركة لبلادنا الثلاثة، شريطة الا يكسب اي بلد على حساب البلد الاخر، وعلى ان يقتنع كل بلد بالنسبة لاية خطوة تقرر أنها تتم لمصلحته أولا.

وسأله الكاتب السوداني عن حديثه في الخرطوم عن الوحدة الوطنية، فرد عبد الناصر: ان هنالك تناقضات بين الفئات، ولكن هذه التناقضات يمكن حلها بتوحيد صفوفها، اي بالوحدة الوطنية، وقد استطعنا تحقيقها في مصر، وواجهنا بها الاستعمار، وخضنا بها معارك ضارية. ولكن تنظيم هذه الوحدة الوطنية في وعاء سياسي مرّ بتجارب عديدة من هيئة التحرير الى الاتحاد القومي الى الاتحاد الاشتراكي، وكل تنظيم خدم مرحلة، اننا الان نحقق وحدة، وباب الوحدة مفتوح من الالف للياء.. الاهداف.. السياسة الخارجية.. الخ.. ويجب ان لا نتكلم عن



عبد الناصر في الخرطوم تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠

الوحدة الدستورية الا عندما يحين وقتها، وعندما تكون هناك قناعة تامة عند كل طرف من الاطراف المعنية، واجماع كامل واقتناع تام في كل بلد ان مصلحته تقتضيها. اما اذا رفعنا شعار «الوحدة الدستورية» الذي من دون ذلك فسيكون الشعار سبباً في الفرقة، خصوصا ان اعداءنا اقوياء ومتمرسون وقادرون باساليبهم على اصابة اهدافنا وتقويض وحدة صفوفنا.

وقال في نهاية حديثه: «ان لدى السودان امكانيات واسعة ليطور حياته، اذ كان الشعب السوداني دائما الشعب القوي المناضل، واني لأرجو ان يحقق في المستقبل القريب كل ما فاته تحقيقه في السنوات الماضية».

على ان الجانب الذي لم يسجل في هذا اللقاء بين عبد الناصر والاستاذ محجوب وبحضور محمد سليمان سفير السودان بالقاهرة فهو ان عبد الناصر بدأ في هذا اللقاء، وهو في ذروة الارهاق قال لضيفيه السودانيين، انه يعمل اثنتي عشرة ساعة متصلة، وان ما يأخذ بجهده وتفكيره هو بناء الجيش المصري، واعادة تدريبه وتوفير السلاح له ليكون قادرا على مواجهة العدو الاسرائيلي، وقال انه جاء الان من اجتماع مع قيادات الجيش، وقد اسعدته تقاريرهم، بان القوات المصرية تنفذ برنامج العمل باسرع واقصى ما هو مطلوب منها، وانها استعادت تماماً روحها المعنوية العالية، واصبحت جاهزة لكل ما هو مطلوب منها، وانها ـ اي القوات المصرية ـ لن تخذله فيما سبق ان اعلنه امام المصريين وامام الامة العربية، «ان ما اخذ بالقوة لن يسترد الا بالقوة». وقال

ان مواجهة العدو الاسرائيلي تأخذ منه الاسبقية في كل شيء وبلا حدود.
وقال معلقاً على تطورات احداث السودان وليبيا: «ان السودانيين يمتلكون وعياً سياسيا متقدما، وان في مقدورهم الوصول الى صيغة سياسية للعمل من اجل مصلحة السودان وانه من دون ذلك يصعب استقرار الاوضاع فيه».

كانت الزيارة التي قام بها عبد الناصر حيث شارك في احتفالات الذكرى الرابعة عشرة لاستقلال السودان أول كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠، قصيرة، ولكنه استطاع خلالها الإلمام السريع بالتفاعلات الداخلية، سواء على مستوى السلطة (قيادة مجلس الثورة) أو مجلس الوزراء او على مستوى الاحزاب السياسية التي جرى حلها بعد ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩. ولذلك عندما عرف بان الصادق رئيس حزب الامة ورئيس الوزراء عام ١٩٦٦، محتجز في مدينة بورتسودان (شرق السودان) طلب استضافته في القاهرة.
وعندما عرف ايضا ان عبد الخالق محجوب زعيم الحزب الشيوعي، وهو شخصية سودانية متمرسة، له تحفظات شديدة نحو النظام الجديد، طلب ايضا استضافته في القاهرة.
والغريب انهما نقلا في طائرة واحدة، من دون ان يعرف احدهما بوجود الاخر الا عندما وصلا الى مصر، وكانت صلاتهما طيبة، لانهما عملا معاً ابان ثورة ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤ التي اطاحت بنظام حكم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر).
ويقول الصادق المهدي، انه يعتقد: «ان عبد الناصر تدخل آنذاك كنوع من الحرص على سلامتي بالنسبة للظروف، وللاضطرابات التي كانت سائدة في اعقاب ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، وانه في تلك الظروف اي في مطلع عام ١٩٧٠ حاول عبد الناصر اداء دور ما، خاصة وقد اكتشف ان النظام الجديد ليس افضل، ولا اقرب اليه من الوضع الديموقراطي الذي كان سائدا حتى يوم ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٩. لقد بعث اليّ بالاستاذ محمد حسنين هيكل صديقه الشخصي، ورئيس تحرير صحيفة الاهرام ثم بالسيد سامي شرف مدير مكتبه، حيث نقلا عن عبد الناصر قوله: «انه في القاهرة ليس محتجزاً، ولا لاجئاً، وانما هو في بلده، وانه يستطيع ان يتحرك كما يشاء، ويقابل من يريد.. طالما ان الظروف في السودان لا تسمح له بأي دور..».
ونقل اليه سامي شرف: «ان الرئيس عبد الناصر وجهه لتلبية اي طلب من جانبه، كما ان مكتبته ـ اي مكتبة عبد الناصر ـ مفتوحة له في اي وقت» وانه سيلتقي به قريبا.

ولكن هذه الرسالة الممتازة ـ على حد تعبير الصادق المهدي ـ جمدت، اذ جاءت شخصية سودانية ـ غالباً ما قد تكون بابكر عوض الله نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ووزير الخارجية انذاك ـ الى القاهرة ونقلت رسالة من النظام الجديد مفادها: «ان فتح جسور مع الصادق المهدي



عبد الناصر ونميري والفريق فوزي في القاهرة



عبد الناصر يقدم هديته للواء خالد عضو مجلس قيادة الثورة السودانية

او مع عبدالخالق محجوب او مع غيرهما من القيادات السياسية الاخرى تنعكس سلباً على الاوضاع في السودان مما يعرض النظام الى متاعب، وبالتالي يتمنون ايقاف كل مسعى او حوار مع اي منهم».

وكان من نتيجة هذه الرسالة ان قطع الاتصال بالصادق المهدي، واصبح معزولاً تماماً.

فمن جهة، فأن عبد الناصر انصرف بكلياته الى معركته الرئيسية، الجيش والقناة والعدوان وحرب الاستنزاف، ومن جهة اخرى، فان النظام بالسودان، انصرف نحو خلافاته، ومحاولات تثبيت قواعده.



محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة اثناء احدى زياراته للسودان

وفي محاولة اخرى لزيادة شعبية النظام الجديد بالسودان، وللتشاور مع اللواء جعفر نميري، لتوسيع قاعدة المشاركة وايجاد صيغة سياسية تحقق الاستقرار بالسودان، لتنصرف بجهدها نحو المعركة.

وجاء عبد الناصر الى الخرطوم في اطار دعوة الى المشاركة في احتفالات الذكرى الاولى لـ ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩.. وكالعادة جرت استقبالات شعبية واسعة له، خصوصا وان الجيش المصري ثابر على حرب الاستنزاف ضد العدو الاسرائيلي على جبهة القنال.. وكان السودانيون يتابعون تطوراتها باهتمام شديد.

وكانت مفاجأة الاحتفال بالذكرى الاولى لمايو ١٩٦٩ في خطاب اللواء جعفر نميري التي جاءت فيه «قرارات التأميم والمصادرة» حيث جرى تأميم المصارف ومن بينها بنك مصر بالخرطوم.

وقد ضحك عبد الناصر.. وقال: كمان..!

وشملت المصادرة شركات تجارية، اسسها سودانيون، وظلت تعمل بنجاح مطرد عبر سنين طويلة، كما شملت مصانع ومطابع، وفنادق ومتاجر. ثم منيت جميعها بالفشل التام، وسحبت بالقرارات القاتلة والقرارات الحزينة، اذ قصمت ظهر الاقتصاد السوداني، واضعفت القطاع الخاص، وادت الى افلاس شركات كانت تحقق ارباحا عالية الى جانب توفيرها للعملات الحرة.

فيما بعد اعاد اللواء نميري النظر في تلك القرارات وجرى الغاؤها واعيدت الشركات او المصانع او المؤسسات الى أصحابها وهي خاوية من مواردها الاساسية باستثناء القليل...!!

وكان من الواضح، ان القرار اتخذ على عجل من دون دراسة دقيقة او تمعن، ومن دون معرفة او تقدير صحيح لردود الفعل لدى السودانيين الذين رأوا في ذلك اجحافاً وظلماً الى جانب الاثار السلبية التي تمثلت في اضعاف الاقتصاد الوطني وظهور الطبقة الطفيلية.

وكان عبد الناصر متابعاً لكل هذه التطورات الجديدة.. وكان في احيان كثيرة يقارن ما بين الحال الذي كان عليه السودان قبل ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩ وبعده..؟ سواء داخليا، او على مستوى العلاقة بين البلدين. وكان على ما يبدو ايضا منزعجاً مما تلقاه من ان نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ووزير الخارجية لم يحسن القول في الامم المتحدة، كما انه لم يحسن التصرف في مؤتمر الدول الاسلامية بجدة، وكان لكل من هذه المواقف اثارها السلبية.

وعاد الى القاهرة بعد هذه الزيارة، وكانت تلك اخر زيارة له للسودان.. اي في ٢٥ ايار (مايو) ١٩٧٠.

وفاة ناصر المفاجئة!

كان من الواضح ان عبدالناصر راغب في ايجاد صيغة بين هذا الذي حدث يوم ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، وبين القوى السياسية التي يصعب اقتلاعها بين يوم وليلة. ولذلك حرص على لقاء السيد محمد عثمان الميرغني بالقصر الجمهوري قبل عودته الى القاهرة خلال حضوره احتفالات ايار (مايو) ١٩٧٠، ولقد شابَ اللقاء نبرة العتاب من قبل محمد عثمان الميرغني زعيم الختمية، وراعي الحزب الاتحادي الديموقراطي، اذ كان الحزب صاحب الاغلبية (١٠١ مقعد) في الجمعية التأسيسية حتى ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٩، ورئيس مجلس السيادة اسماعيل الازهري، ورئيس الجمعية التأسيسية د. شداد (اتحادي) وغالبية اعضاء الحكومة، ثمانية وزراء الى جانب منصب نائب رئيس الوزراء من الاتحاديين.

وكان يبدو انذاك ان نظام ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩ التي سارعت مصر الى الاعتراف به، وكأنه موجه ضد الحزب الاتحادي الديموقراطي اكثر من اي حزب اخر..!

صحيح، ان حزب الامة لم يسلم من ضربات النظام الجديد، اذ ضربت جزيرة ابا وقتل الامام الهادي المهدي ونفي الصادق المهدي اثر تدخل عبد الناصر شخصيا وطلب احضاره لمصر تأمينا لسلامته، كما ان الصورة الحالية للاوضاع الداخلية لا تشير الى ان النظام الجديد حقق اي نوع من الاستقرار السياسي، او ان غالبية السودانيين قد قبلوا به وارتضوه.

واستمر اجتماع عبد الناصر بالميرغني لوقت غير قصير قبل وداعه والعودة الى القاهرة.

واعقب قرارات التأمين والمصادرة التي اعلنت يوم ٢٥ ايار (مايو) ١٩٧٠، وبحضور عبد الناصر،اصدار اجراءات اخرى قاسية لتأمين ما وصف انذاك بـ«مسيرة الثورة». اذ صدر مرسوم جمهوري، شمل المخالفات الجديدة التي تشكل تهديداً او معارضة للثورة سواء اكانت مقصودة ام لا، وتراوحت عقوبة هذه المخالفات ما بين الاعدام او السجن المؤبد مع مصادرة الممتلكات، وقضى المرسوم ايضا بالحكم بالاعدام او السجن المؤبد على كل من يدان بتهريب البضائع، والعملات، او يعلن الاضراب، او يسيء استخدام الاموال العامة، كما اصبح حمل السلاح، او تسليح اشخاص، او اتلاف الممتلكات العامة، وقبض الاموال لعرقلة الثورة، وطبع

منشورات تنتقد نظام الحكم الجديد، او اعضاء مجلس قيادة الثورة تمثل اعمالا تعاقب ايضا بالاعدام ومصادرة الممتلكات.

وبات نشر خبر كاذب في صحيفة ما، يجعل رئيس تحرير الصحيفة مسؤولا ويعاقب بالسجن، ويدفع غرامة لا تقل عن عشرة الاف جنيه سوداني، مع ايقاف الصحيفة ومصادرة ممتلكاتها.

ومضى المنشور الى ابعد من ذلك وجعل مسؤولية صحة النبأ او الخبر على عاتق المتهم، اي رئيس التحرير او الناشر.

وكانت هذه القرارات الاستثنائية القاسية صورة جديدة للحكم لم يسبق ان عرفها، او عايشها السودان، او السودانيون. لقد حكم الجيش بقيادة الفريق ابراهيم عبود من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨ الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤، ولكن لم يسبق له اتخاذ مثل هذه الاجراءات القاسية والمتشددة، كما انه لم يعمد الى ضرب الاحزاب السياسية اذ اكتفى وقتها بحل الاحزاب وتجميد نشاطها، وتحذير قياداتها من القيام بأي نشاط معاد.

وكانت هذه التطورات، المتلاحقة تأخذ جانبا غير يسير من اهتمام عبد الناصر انذاك.

وانفجرت ازمة دامية في الاردن في منتصف ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ بين قوات المقاومة الفلسطينية والقوات الاردنية. وقطع عبد الناصر فترة الاستشفاء الضرورية له انذاك وعاد الى القاهرة وجاءه اللواء نميري من السودان، والعقيد معمر القذافي من ليبيا، حيث وجه ثلاثتهم رسالتين احداها الى الملك حسين والاخرى الى ياسر عرفات، وكلفوا الفريق محمد صادق بحملها اليهما.

وكان الهدف من وراء الرسالتين، هو وقف الاشتباكات فوراً وبغير ابطاء بين الجانبين. وتوقف اطلاق النار، ولكن سرعان ما تجدد مرة اخرى وبعنف. واقترحت تونس عقد مؤتمر قمة عربي عاجل في القاهرة وسرعان ما جاء الملوك والرؤساء الى القاهرة، وقد اقلقهم تردي الاوضاع والصدام الدامي بين القوات العربية في الاردن، وعقد اول اجتماع يوم ٢٢ ايلول «سبتمبر» ١٩٧٠، واوفد الرؤساء العرب الى عمان وفداً برئاسة اللواء جعفر نميري مرتين، واستطاع الوفد برئاسة نميري في المرة الثانية احضار ياسر عرفات معه مساء يوم ٢٥ ايلول (سبتمبر) وظلت الاتصالات مستمرة بالملك حسين الذي جاء الى القاهرة، وفي مساء يوم ٢٧ ايلول (سبتمبر) تم التوصل الى اتفاق بانهاء العمليات العسكرية من قبل الجانبين، ووقع الاتفاق الملك حسين وياسر عرفات والملوك والرؤساء الذين اشتركوا في القمة العربية الطارئة.

ومنح هذا الدور الذي قام به اللواء جعفر نميري في الاردن، اي الوصول الى عمان وسط



عبدالناصر ومحجوب في لقاء مع الوفود الافريقية بالقاهرة

معارك ضارية، ولقاءه بالملك حسين، واحضاره لياسر عرفات، شعبية جديدة في السودان وفي العالم العربي.

لم يكن معروفا لحظتها، ان كان عبد الناصر، قد تعمد ترشيح جعفر نميري رئيس النظام الجديد لهذه المهمة للاردن، ام انها جاءت مصادفة. ام ان القيادات العربية وقتها، وكانت تعرف ان السودان بشكل خاص تربطه وشائج شديدة نحو الشعب الفلسطيني، قد وجدته افضل واسرع من يقوم بالمهمة المطلوبة بعدما تذكرت له دوره ابان انعقاد مؤتمر قمة الخرطوم في نهاية آب (اغسطس) ١٩٦٧، وتمسكه باستعادة الحقوق الكاملة لشعب فلسطين ودعم الجبهة العربية.

ونسي السودانيون خلافهم مع النظام الجديد، وقرروا الخروج لاستقباله عصر يوم عودته ٢٨ ايلول (سبتمبر). لقد شهدوا له بشجاعة، وبأنه تصرف في هذه المهمة التاريخية بصورة تتوازى مع مشاعر السودانيين في هذه الحرب التي اريق فيها الدم العربي.

وجرى له بالفعل استقبال شعبي حاشد بالخرطوم، وتحدث الى الجماهير معلناً انه قام بالواجب نيابة عنها وباسمها، ونيابة عن الملوك والرؤساء العرب الذين كلفوه باداء المهمة القومية.

كان السودانيون في قمة ارتياحهم لايقاف القتال، ونزيف الدم العربي في الاردن، والوصول الى اتفاق بين الملك حسين وياسر عرفات وبحضور الملوك والرؤساء العرب. وانصرف الجميع الى منازلهم في ذلك المساء. ولاحظ الكثيرون ان اذاعات القاهرة، الغت برامجها العادية، وبدأت تلاوة آي من الذكر الحكيم. وكنت انذاك في منزلي، وكان معي عمر حاج موسى وزير الثقافة والاعلام وموسى المبارك رئيس مجلس ادارة دار الايام والزملاء فضل بشير والفاتح التيجاني

والسفير سيد احمد الحردلو (والان سفير السودان في صنعاء).

وكان عمر حاج موسى، يحدثنا بما نقله اليهم اللواء جعفر نميري عن مهمته والوفد المرافق له الى الاردن، وعن الجهد المتصل الذي بذله جمال عبد الناصر، اذ لم يخلد للراحة او النوم طوال انعقاد جلسات المؤتمر. كما انه تابع ساعة بساعة مهمتهم في الاردن، كما نقل اليهم اللواء نميري، ان عبد الناصر وعده انه بمجرد وداع اخر ضيف، وكان الامير الصباح حاكم الكويت، فأنه سيعود الى مرسى مطروح لينال قسطا من الراحة.

وفيما نحن نتابع ما يحدثنا به عمر حاج موسى وزير الثقافة والاعلام انذاك، دق الباب دقات قلقة ووجدت بالباب زميلي توفيق جاويش، ولقد لاحظت عليه انزعاجاً شديداً، وسألته ما الخبر؟ فنقل لي ان انور السادات اذاع قبل قليل، وفاة جمال عبدالناصر...!

والعجيب.. ان الشخص الوحيد الذي احس بأن ثمة امراً ما كان عمر حاج موسى، اذ لاحظ اني تأخرت فجاء مستطلعاً.

وكان تعقيبه على ما سمع «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم».

وابلغه زميلي توفيق ان اللواء جعفر نميري وجه نداء عبر الاذاعة الى الوزراء لحضور اجتماع طارىء لمجلس الوزراء، وهرعنا نحو مكاتبنا في ذلك الوقت المتأخر، حيث وجدناها قد امتلأت باصوات الناحبين، وامضت العاصمة ساعات باكية وحزينة في الشوارع والميادين.

وخرجت الصحف اليومية، بعناوين، وخطوط سوداء (مات عبدالناصر) (في ذمة الله جمال)، وخرجت مسيرات الموظفين والموظفات، والطلبة والطالبات وجميع المواطنين والمواطنات معبرة عن حزنها لرحيل جمال عبد الناصر، ونشرت عشرات المقالات والقصائد، وكان اشهرها، قصيدة بعنوان (جمال) لشاعر سوداني فذ هو احمد محمد صالح والذي كان عضوا في اول مجلس سيادة، حفظها في حينها الكثيرون، لانها جاءت معبرة وصادقة.

ونقلت صحف القاهرة، والصحف الاجنبية، انذاك صورة للواء جعفر نميري وقد انفجر باكيا لحظة وصوله الى مطار القاهرة وفي استقباله انور السادات رئيس جمهورية مصر بالانابة. وفي مساء اليوم التالي وجه اللواء نميري خطابا الى الشعب المصري قال فيه: ان عبد الناصر فقد للسودان بمثلما هو فقد لمصر، ولكن لابد من مواصلة المسيرة.

واظهرته هذه الصورة، بصورة الاخ والشقيق لحظة الضرورة. وكانت تلك صورة صحيحة، لانها عكست بالفعل مشاعر السودانيين نحو فقدان عبد الناصر.

وجرى اطلاق اسم عبد الناصر على (المحطة الوسطى) للخرطوم وتعتبر اكبر ميدان بالخرطوم، وايضا على احدث امتداد سكني جديد بالخرطوم (امتداد ناصر) وايضا على اقدم مدرسة ثانوية عليا بشارع علي عبداللطيف (مدرسة جمال عبد الناصر).

احس السودانيون ان فقدهم لجمال عبد الناصر كان مزدوجا، لانهم، على حد تعبير عميد الدبيلوماسية السودانية، جمال محمد احمد، «كان يحبهم، وكانوا يحبونه، وكلاهما يعرف هذا».

ولأن رحيله المفاجيء، ترك خيوطا معلقة، كان هو ممسكا ببعض اطرافها، ناصحا او معلقا للنظام الجديد. وكانت انذاك.. ولاتزال اسئلة معلقة.

لو ان العمر امتد به، هل كان نظام اللواء جعفر نميري سار على المنوال الذي انتهى به؟

هل كانت ستكون الاوضاع غير الاوضاع.. والصورة غير الصورة؟

هل كان على اتصال سابق بما حدث يوم ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩؟

هل تغيرت استراتيجيته في التعامل مع السودان من ٥٤ الى عام ١٩٧٠؟

وهل صحيح انه.. كان يفضل التعامل مع الانظمة العسكرية كانقلاب ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨ ثم انقلاب ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩؟

ما رأي الذين تعاملوا معه، محمد عثمان الميرغني والصادق المهدي؟!

اخطاء ناصر الرمادية

ليس افصح من حقائق التاريخ لاعطاء الاجابة الصحيحة عن اسئلة حملت شكوكا، وظلت معلقة على مدى سنين طويلة.

ان انقلاب ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨، من خلال الوقائع ومن اقوال الفريق ابراهيم عبود، ولجنة التحقيق القضائية في الملابسات التي احاطت بوقوع انقلاب ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر)، واقوال اللواء احمد عبد الوهاب وزير الدفاع انذاك، وايضا علي عبد الرحمن من قيادات الاتحادي الديموقراطي، ان الانقلاب كان من عمل قيادة الجيش وحدها سواء بمبادرة منها، أو بتشجيع من رئيس الوزراء ووزير الدفاع. وانه طبقا لاقوال الفريق ابراهيم عبود انذاك، فقد تولوا السلطة حفاظا على مصالح البلاد العليا ولازالة الجفوة المفتعلة بين السودان ومصر. وان مسألة اعتراف مصر بالنظام الجديد جاء بعد حدوثه، وليس قبله. ولم يكن هنالك اتصال سابق من اي نوع، وجاء قول عبد الناصر في مؤتمر تعاوني بعد ايام من وقوع انقلاب ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨ في اول رد فعل له تجاه ما حدث في السودان انه عندما نقلت اليه اخباره، قد أصابه وجوم، كحدث لم يكن منتظرا، ولكنه، على حد قوله كان واثقا من جيش السودان، لانه جيش وطني، وانه يعرف قياداته، كما عرف ضباطه وجنوده حيث حاربوا جنبا الى جنب في معارك فلسطين ١٩٤٨.

ان عبد الناصر عندما اندلعت ثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤ التي ابعدت قيادات الجيش عن الحكم واعادته الى الحكم المدني، عبر عن ارتياحه الشديد لحدوث الثورة لرئيس الوزراء سر الختم الخليفة ووزير الخارجية محمد احمد محجوب ووزير الزراعة احمد سليمان وازيوني مندري وزير المواصلات عندما جاءوا الى القاهرة في نهاية كانون الاول (ديسمبر)، وعلى حد قول رئيس الوزراء سر الختم، فانه كان في حالة معنوية عالية، وكان شديد الاصغاء والمتابعة ليعرف كيفية استرداد الديموقراطية على نحو لم يسبق وقوعه في اي جزء من العالم.

وعند عودة الديموقراطية وعودة الاحزاب السياسية، فقد استقبلها عبد الناصر بقلب مفتوح. ووقتها قابل السيد علي الميرغني ونجله محمد عثمان الميرغني في الاسكندرية كما قابل



السيد محمد عثمان الميرغني وعن يمينه الامام الهادي المهدي

قيادات الاتحاديين برئاسة اسماعيل الازهري وقيادات حزب الامة، الامام الهادي المهدي، والصادق المهدي، ومحمد احمد محجوب وعبد الحليم محمد. وكان على صلة شخصية طيبة بهم، وهم ما خذلوه عندما وقع زلزال ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وحدثت الهزيمة، وكانوا جميعهم ـ حكومة وشعبا ـ الى جانبه وجانب مصر وحتى اخر لحظة. بل ان عبد الناصر عندما جاءه عبد الماجد ابوحسبو قطب الاتحادي الديموقراطي ووزير الاستعلامات في ايار (مايو) ١٩٦٩، حمله رسالة الى هذه القيادات ناقلاً اعتزازه وتقديره الشخصي لهم ومؤكداً حرصه على التعامل معهم بروح الاخاء والمشاورة.

والكثيرون الذين عاصروا الوقائع ممن كانوا شهوداً قبل اشهر من ايار (مايو) ١٩٦٩ وبعد وقوع ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، لم يلحظوا تحركا لما يمكن ان ينسب مباشرة الى عبد الناصر تجاه ما حدث يوم ٢٥ ايار (مايو).

كانت علاقة مصر وعبد الناصر بالسودان وقياداته في أوج قوتها ومتانتها، وكانت علاقة هؤلاء بكل من السعودية والكويت وليبيا جيدة للغاية، وهي الدول التي وافقت على الدعم المالي لمصر كل ثلاثة اشهر. وكان السودان آنذاك يتدخل اذا ما تأخر سداد اسهام اي من هذه الدول، كما انه كان الدولة العربية المعنية بمتابعة قرارات مؤتمر قمة الخرطوم، ونجح في انهاء القتال وسحب الجيش المصري من جبال اليمن والعودة الى مصر.

وعند وقوع ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، قال الكاتب احمد حمروش في كتابه ثورة ٢٣ تموز (يوليو)، انه ظهر له انه يعرف عدداً من اعضاء مجلس قيادة الثورة كما يعرف رئيس الوزراء

الجديد وبعض الوزراء، وانه اجرى اتصالا بمكتب عبد الناصر، حيث اجتمع به، وكلفه بالسفر مع احمد فؤاد الى الخرطوم ليقفا على مجريات الاحداث وتطوراتها وينقلا اليه خلفية وحقيقة ما حدث.

ان الكثيرين يعتقدون، ان السودان حتى يوم ٢٤ ايار (مايو)، كان سندا وظهراً قوياً لمصر ولعبدالناصر مما مكنه من اعادة بناء الجيش من دون ان يحمل هماً نحو ما يجري في الجنوب. ولكن بوقوع ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، فأن ما جرى فيه اخذ كثيراً من وقته اذ كان عليه معالجة الاثار السلبية والجانبية للنظام الجديد.. ٢

وجاء الى السودان مرتين، في اول كانون الثاني (يناير)، وفي ايار (مايو) ١٩٧٠، وفي قناعته ايجاد صيغة سياسية لا تتجاهل القوى السياسية بالسودان. وقابل محمد عثمان الميرغني زعيم الحزب الاتحادي الديموقراطي بالقصر الجمهوري في ايار (مايو) ١٩٧٠، وقبلها استضاف في مطلع ١٩٧٠ الصادق المهدي رئيس حزب الامة في القاهرة حفاظا على سلامته. كما استضاف عبدالخالق محجوب زعيم الحزب الشيوعي السوداني الذي اظهر تحفظا نحو نظام ايار (مايو) في اسابيعه الاولى.

وقال عبد الناصر في لقاء مع الاستاذ محجوب محمد صالح وبحضور السفير محمد سليمان في منتصف ايار (مايو) ١٩٧٠ ان الاستعداد العسكري يأخذ كل ساعات يومه وجهده، وان وجود صيغة سياسية تلتقي حولها القوى السياسية ضرورية لتأمين الاوضاع بالسودان.

وقال لي الصادق المهدي رئيس حزب الامة ورئيس الوزراء السابق ان عبدالناصر اكتشف في وقت مبكر: «ان النظام الجديد ليس افضل ولا اقرب من الوضع الديموقراطي».

مات عبد الناصر فجأة مساء يوم ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠، واحس السودانيون، ربما اكثر من اي شعب عربي اخر، بفاجعة حقيقية مزدوجة. وكان لاحساسهم ما يبرره خاصة بعد السنوات العسيرة التي عانوا منها.

ولذلك جاء السؤال الافتراضي: لو ان العمر امتد بعبد الناصر هل كان النظام المايوي برئاسة المشير جعفر نميري استمر على الحالة التي انتهى بها؟

جاءت اجابة الصادق المهدي زعيم حزب الامة، ورئيس الوزراء، والذي تعامل مع عبد الناصر كرئيس للوزراء عام ١٩٦٦، وكان ضيفه في القاهرة عام ١٩٧٠، عندما احضره من الخرطوم حفاظا على سلامته. جاءت اجابة الصادق من خلال استعراض لخلفية العلاقات السودانية ـ المصرية حتى قامت ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢، التي بدورها قامت مباشرة باعطاء الاسبقية للسودان، ومن خلال تطورات، ومراحل عديدة تعامل عبد الناصر مع السودان،



الشريف حسين الهندي الى جانب الازهري يستقبلان وزير خارجية الكويت

ولكن كان تعامله الاكثر تميزاً عبر سنواته الاخيرة.

قال الصادق المهدي، ان المعالم الاساسية لزعامة عبد الناصر اعتمدت على التالي:

١ ـ احساس عميق بالكرامة الوطنية.

٢ ـ احساس بالصراع الاجتماعي.

٣ ـ احساس عميق بالتخلي عن التبعية الاجنبية.

وهذه المعالم اثرت بشكل أو اخر على مواقفه جميعها. وفي الوقت نفسه كان له توجهه القومي، وكان يقف مع خط عراقة العلاقات المصرية ـ السودانية وعلى اساس رؤية مغايرة تماما عن من سبقوه.

واعتقد ـ والحديث على لسان الصادق ـ انه في ظل المتغيرات والتحديات التي واجهها عبد الناصر، كان بحاجة الى استيعاب اوسع، وفهم افضل للقوى السياسية والعسكرية والاجتماعية ليتعامل معها بنجاح اكبر وافضل، وايضا لتقدير اكثر وانفع للقدرات المتاحة على الساحة الاسلامية والعربية للتعامل مع الخطر الصهيوني والاستعماري.

واعتقد أن عدم التقدير لهذه العوامل الاساسية كان لها تأثير على مجريات الاحداث، وحرب حزيران (يونيو) نموذج لها.

وعندما حدثت هزيمة ٥ حزيران (يونيو)، ادرك عبد الناصر، حجمها وابعادها، وبالتالي ما هو مطلوب لها.

خرج من هزيمة حرب (حزيران) يونيو) جريحا، ولكن الخرطوم في نهاية آب (اغسطس)

١٩٦٧، اعادت اليه العافية، وتجاوز الاحباط، واستطاع الوقوف والثبات واصبح هاجسه الاكبر استرداد الكرامة الوطنية ودحر العدوان.

حمل عبد الناصر في صدره كل مشاعر «ود البلد» الوطنية، واخذ نفسه بالمشقة، والجهد سواء داخليا او اقليميا او دوليا، وعندما جاء انور السادات وجد امامه اخطاء. وبدلا من الوصول الى تصويبها من خلال معادلة صحيحة داخليا وخارجيا، اخذ يناقض تماما كل ما عمله عبد الناصر.

فمثلا أعتبر السادات على مستوى العمل الخارجي، والتعامل مع العدو الصهيوني، اعتبر ان قوة اسرائيل هي في الواقع من القوة الاميركية وأن اوراق الحل كلها في يد اميركا بنسبة ٩٩,٩٪.

وبذلك اعطى السادات اخطاء ناصر الرمادية لونا اقرب الى البياض.

هذا الذي احدثه السادات، اثر بشكل او اخر على جعفر نميري رئيس نظام مايو، وكان هنالك تماثل في كثير من الاوجه.

وبالطبع... لم يكن ليحدث شيء من هذا لو ان العمر امتد بعبد الناصر، على اساس الخلفيات السابقة، واهتمامات ومشاغل وأهداف اي منهم.

الانطباع الذي مازال راسخاً في خاطري كما يقول الصادق المهدي عن شخصية عبدالناصر هو انه كان يتمتع بشخصية قوية ومتماسكة، وهو يمتلك في ذات الوقت صفة البساطة، كان شخصية قوية وبسيطة في وقت واحد، وهو ايضا شخصية مصرية صادقة، ولديه احساس عميق بالكرامة المصرية والعربية. وهو امر ما كان متوافراً لدى الكثير من القادة. ووجدت سهولة في التعامل معه وتفهماً مشتركا نحو عدد من القضايا، مع اختلافات في مسائل متصلة بموضوع الاسلام واسبقيته.

كانت لاسماعيل الازهري رئيس اول حكومة وطنية ورئيس الحزب الوطني الاتحادي علاقة وطيدة وممتدة مع عبد الناصر من خلال التعامل المباشر، في احدى فترات التوتر بين البلدين في عامي ٥٤ و٥٥، وحمل كل واحد منهما للاخر احتراما خاصاً، اذ كان لكل منهما ظروفه ومشاكله وكان هنالك تفهم ما من جانبهما للخلاف.

وتوطدت الصلة بعد ثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤، حيث اصبح الازهري رئيساً لمجلس السيادة، وايضا في اعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وقد نقل عن الازهري قوله



الكاتب مع عدد من الصحافيين السودانيين والمصريين امام ضريح عبد الناصر في اكتوبر ١٩٧٠

عن عبد الناصر: «وضوح رؤيته، وانه مباشر في قوله وفي تعامله.. وان ايمانه بالعلاقات السودانية المصرية واهميتها للشعبين ولمصالحهما المشتركة كان صادقا الى اقصى مدى».

وكيف كانت علاقة عبد الناصر بالميرغني؟

مفهوم ناصر للعلاقات الثنائية

عندما جاء عبدالناصر في اول كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠، طلب لقاءً مع محمد عثمان الميرغني، ولكن لاحظ عزوفاً عن الاستجابة لهذه الرغبة، فبعث برسول اليه بالخرطوم بحري نهار الجمعة ليبلغه بتحياته، وطالباً لقاءه في المطار ليتسنى التحدث اليه قبل مغادرته الخرطوم عائدا الى القاهرة، وبسبب ارتباط الميرغني بالصلاة، لم يستطع الذهاب الى المطار.. وبالتالي لم يتيسر التحدث.

وجاء للمرة الثانية للسودان في ٢٥ ايار (مايو) ١٩٧٠، وشدد هذه المرة، على اهمية مقابلته لمحمد عثمان الميرغني، وتم اللقاء بالفعل في القصر الجمهوري، وعندما احس بعض اعضاء مجلس قيادة الثورة انذاك ان الاجتماع استمر الى اكثر مما كان يتوقعون، جاء الرائد ابوالقاسم محمد ابراهيم الى مكانهما، وصافح الميرغني، وجلس، وتوقف الحديث، وعندما احس عبد الناصر ان الرائد ابوالقاسم لم يستأذن في الانصراف، التفت اليه، وقال ضاحكا: «احنا اصحاب من زمان» وبعدها انصرف الرائد ابوالقاسم، وواصلا الحديث.

ويقول الميرغني: ان عبدالناصر ـ بالقطع ـ لم يكن سعيداً، ولا مرتاحاً لما حدث في ايار (مايو) ١٩٦٩ لعدة عوامل:

ـ انه في اعقاب ثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤، وعودة الاحزاب السياسية، وصل الى صيغة تفاهم صحيحة مع القوى السياسية، وبشكل خاص مع الحزب الاتحادي الديموقراطي، ومع حزب الامة.

ـ انه تأكد له بعد ثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤، ان الشعب السوداني لا يطيق، ولا يستسيغ الانظمة العسكرية.

ـ انه اعتقد، ان النظام الجديد طرح شعاراته التي كان ينادي بها في اعقاب ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ليجعله في موقع المرتبط به.

ـ العكس هو الصحيح، اي ان النظام الجديد سبب له قلقاً وازعاجاً باكثر مما سبب له

الارتياح والاطمئنان، اذ اظهر في مرحلته الاولى نزعة يسارية متطرفة، كما انه اتخذ اجراءات وقرارات غير مألوفة، ولا مقبولة لدى السودانيين، وكان لبعضها، اثارها السلبية على المستوى الاقليمي والدولي.

□ ظهر له ايضاح الفارق الكبير بين القيادة السياسية المحنكة التي تعامل معها من ٦٥ الى عام ٩٦٩ والقيادة الجديدة التي انساقت خلف الشعارات وافرطت في مصداقية التمثيل الحقيقي لشعب السودان بموروثاته وخصائصه، كما انها القيادة التي ازرته ووقفت الى جانبه بعد هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧.

واضاف محمد عثمان الميرغني، والحديث مازال على لسانه عن اللقاء الاخير في ايار (مايو) ١٩٧٠، كان عبدالناصر يعاني وقتها من اجهاد واعياء مزدوج، جانب منه، سببه تركيز جهده وفكره على معركته المصيرية مع العدو الاسرائيلي، واسترداد الارض العربية والقدس، وجانب اخر متعلق بتماسك الجبهة الداخلية في مصر، اما الجانب الجديد الذي اصابه بالاجهاد فاحداث ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩ التي تفجرت من دون توقع سابق، وادخلته في متاعب لا حصر لها، في حين انه حتى ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٩، كان مرتاحا ومطمئنا للسودان وتأمين ظهر مصر من خلال ما استقرت عليه الامور انذاك.

كان عبد الناصر مرتاحاً، وسعيداً بثورة الفاتح من ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ في ليبيا، ولكنه ظل قلقاً ومرهقاً نحو ما حدث في السودان، ولذلك ظل حتى قبل وفاته، يعتقد ان القوى الوطنية، والحركة الوطنية اذا توحدت، فانها تستطيع في اطار النظام الديموقراطي ان تقود السودان الى مستقبل افضل، وظل يناقش مسألة ايجاد صيغة سياسية، يقبل بها السودانيون، لتهدئة الاوضاع الساخنة انذاك، ويلتفون حولها من دون خلاف او شقاق، كان بالفعل مرهقاً وقلقا مما حدث في ايار (مايو) ١٩٦٩.

كان عبد الناصر يعتقد ـ والقول مازال على لسان الميرغني ـ ان شعبي وادي النيل، هما اقرب الشعوب الى بعضها البعض، وان مصالح البلدين متداخلة ومتشابكة، وتستوجب ايجاد صيغة مستقرة تجعلها فوق الاهواء، والنزعات الشخصية، والشعارات السياسية العابرة.

ويعتقد انه كلما اخذت العلاقات بين البلدين صورتها الطبيعية ازداد التعاضد والتماسك بين الشعبين تلقائيا وقوياً، وكان ـ في ذهنه ـ سلاسة المعاملة، والتعامل، بحيث ينتقل المواطن من السودان الى مصر، والاخر من مصر الى السودان، بسهولة ويسر من دون عراقيل او تعقيدات.

وان تكون هنالك مشروعات مشتركة في كافة المجالات، ولم يكن يعتقد ان هذه الخطوات تحتاج الى صيغة اتحادية او تكاملية، لأن الاتفاقيات، احيانا تظل مجرد حبر على ورق! المهم.. ان

تسير العلاقات بين البلدين بورة طبيعية هادئة من خلال تطور مطرد... وان يحس بذلك أبناء وادي النيل في السودان، وفي مصر.

ولم يكن غائباً عن المسؤولين في مصر، رأي عبد الناصر الحقيقي في نظام ايار (مايو) بالسودان، خاصة، وقد لاحظوا ان اللواء جعفر نميري جاء منزعجاً، عند ابعاد مراكز القوى في مصر والحضور الى القاهرة، لأن بعضها وقف الى جانب اللواء نميري ونظامه الجديد.

ولذلك عندما جاء محمد عثمان الميرغني الى مصر في اول كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣، اجرى اتصالا بنائب رئيس الجمهورية انذاك حسين الشافعي الذي جاءه الى مقره، وأديا معاً صلاة الجمعة في مسجد عمرو بن العاص، ونقل اليه الميرغني ما تم التوصل من اتخاذ موقف معارض مع نظام مايو، حيث لحقه حسين الهندي، وانه راغب في بحث الامر مع الرئيس السادات.

وتم الاجتماع بالفعل مع الرئيس انور السادات، ونائبه حسين الشافعي والميرغني والهندي، حيث جرت مناقشة للوضع في السودان، ووافق السادات على استضافة المعارضة السودانية في مصر وحدد لها ثلاثة مواقع بمناطق رئيسية في مصر.

سبق موافقة الحكومة المصرية للمعارضة السودانية بالتواجد في اماكن محددة، وقوع اكثر من ازمة بين القاهرة والخرطوم، منها ان المسؤولين المصريين امتنعوا عام ١٩٧٢ عن لقاء وزير التربية والتعليم انذاك، في حين أنهم اجتمعوا بمحمد عثمان الميرغني، ونقل الاعلام المصري نبأ وصوله ولقاءاته مما جعل حكومة اللواء جعفر نميري انذاك تطلق تصريحات معادية لحكومة مصر، كما تبودلت الحملات الاعلامية ذات النبرة الحادة، وطالبت التصريحات الرسمية تفسيراً من الحكومة المصرية حول الامتناع بلقاء وزير سوداني، وعدم الاشارة الى وجوده في القاهرة، في حين ظلت ابواب المسؤولين المصريين مفتوحة لشخصية سودانية لا تشغل منصباً دستورياً في السودان.

وتزامنت تلك التطورات مع ما تلقاه نظام مايو من تقارير ان احد الاسباب الرئيسية التي حالت دون حضور الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية الى الخرطوم في اطار جولة لبعض الدول الافريقية ومن بينها اوغندا، ان الملك فيصل بعث برسالة لمحمد عثمان الميرغني عن طريق سفيره بالخرطوم لمعرفة رأيه حول زيارة السودان، وكانت نصيحة الميرغني بعدم الحضور، لأن مجيئه انذاك يمنح النظام الجديد شعبية لا يستحقها.

خلال صلة امتدت نحو ثماني عشرة سنة، وعبر لقاءات واحاديث كثيرة، وايضا مواقف



عبد الناصر ونميري في ايار (مايو) ١٩٧٠

وظروف متباينة، فأن عبد الناصر، واضح في افكاره وارائه، وانه قادر على التعبير عنها بتسلسل يعكس قدرته الذهنية، ونضجه، وانه لوحظ، ان اي قضية او مسألة اثيرت، كانت لديه خلفية ومعلومات متكاملة عنها، والمام كامل بها، وانه يحسن الاصغاء الى اقصى مدى، وقادر على السيطرة على مشاعره، وايضا قادر على ادارة الحديث بصورة تتفق مع طبيعة اللقاء أو الزيارة او الاجتماع وعلى تلخيص كل حديث مهما طال الزمن.

وانه لم يلحظ عليه، سمة التوتر او شد الاعصاب او القلق وكان حديثه في الاجتماعات ينطلق بوضوح وبهدوء لا يشوبه اي انفعال مهما كان حجم ونوع القضية المطروحة.

ولم يكن يخالجه شك في قدرة الامة العربية على التصدي للعدو الصهيوني واسترداد الارض العربية، وكانت قناعته تامة بأن ما اخذ بالقوة لن يسترد الا بالقوة. وكانت تشغله القدس باكثر مما تشغله سيناء ولذلك سارع الى الدعوة لمؤتمر اسلامي عندما وقع حريق في المسجد الاقصى بايدي العدو الاسرائيلي.

وهو الى جانب ذلك ـ والحديث للميرغني ـ كانت فيه صفات الانسان المتواضع، المواطن والاخ والصديق، ويذكر اصدقاءه من السودانيين او المصريين بكل خير وود، وكانت للسودان مكانة خاصة في نفسه، وكنا نحس بها كلما التقينا به سواء في الاسكندرية او القاهرة او الخرطوم.

كانت وفاته خسارة فادحة لا تعوض، يكفي انه حتى الشهر الاخير لوفاته كان يبحث عن صيغة للخروج من مأزق مايو وليعيد تصحيح ما هو ممكن.


ناصر وسر الختم الخليفة رئيس الوزراء ومحمد احمد محجوب وزير الخارجية

ولذلك جاءت المشاركة في تشييعه حتى مثواه الاخير في القاهرة، ليس من قبل الواجب المطلوب فحسب، وانما الاحساس العميق بفقده.

خفايا أطول زيارة

علاقة الميرغني بجمال عبدالناصر، علاقة وطيدة، امتدت من ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ الى ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠. اي انه يمثل، احدى القيادات السودانية القليلة التي اتيح لها معاصرته طوال هده السنوات، (نحو ثمانية عشر عاما)، وتعاملت معه مباشرة، وظلت دائما طرفا فيما يخص القضايا الرئيسية في مصر، وبالطبع، ما يرتبط بالسودان، وفي كافة المراحل، وعلى اتصال وثيق به.

ولذلك فأن حديثه عن عبد الناصر، يمثل اهمية خاصة، وكما قلت في ما تقدم ان شهادة الميرغني، لا تكتسب وزنها بحكم قيادته للاتحادي الديموقراطي الذي ينادي باقامة علاقة خاصة مع مصر، ولكن لانه ظل حاضرا، ومشاركا، وشاهداً على عبد الناصر ومواقفه، وعلى مسار العلاقات بين البلدين، وفي ظل وجوده كقائد لثورة ٢٣ تموز (يوليو) وكرئيس لمصر، وللجمهورية العربية المتحدة.

فعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، جرى اول اتصال هاتفي من اللواء محمد نجيب بالسيد علي الميرغني ليطمئنه على السيطرة على الموقف، ولينقل اليه التطورات الجديدة في مصر، وبعدها كلف السيد علي الميرغني، نجليه محمد عثمان واحمد الميرغني اللذين كانا في زيارة لمصر، لينوبا عنه في نقل التهنئة الى مجلس قيادة الثورة وامنياته بالخير والتوفيق للعهد الجديد.
وكانت تلك المرة الاولى، للقاء باللواء محمد نجيب والبكباشي جمال عبد الناصر واعضاء مجلس قيادة الثورة.
وكانت هذه المقابلة ذات اهمية خاصة لمجلس قيادة الثورة لانها تمثل دعماً وسنداً من قبل السودانيين للثورة المصرية.

وفي مطلع عام ١٩٥٤ ـ وبعد توقيع اتفاقية الحكم الذاتي وتقرير المصير في شباط (فبراير) ١٩٥٣، واجراء اول انتخابات عامة في السودان، وفوز الحزب الوطني الاتحادي بغالبية المقاعد

في البرلمان الجديد ـ وجه مجلس قيادة الثورة المصرية الدعوة الى السيد علي الميرغني ونجليه محمد عثمان واحمد الميرغني ولوفد كبير مرافق لهم، ضم الدرديري محمد عثمان (اول رئيس لمجلس السيادة) والشيخ عمر اسحاق وعمر الخليفة عبدالله وميرغني حمزة وعدداً من الشخصيات ورجالات الختمية، وارسلت الباخرة (المحروسة) التي اقلت الملك فاروق الى خارج مصر لتكون في انتظاره لنقله الى الاسكندرية.

ومثلما كان وداعه في السودان رسميا وشعبيا، على طول الطريق (السكة الحديد) من الخرطوم الى بورتسودان حيث كان في انتظاره ووداعه اسماعيل الازهري رئيس الوزراء والوزراء، احتفى بوصوله رسميا وشعبيا في مصر، وايضا منذ لحظة دخول (المحروسة) المياه المصرية والى ان وقفت في المكان المعد لها، حيث استقبله اللواء محمد نجيب والبكباشي جمال عبد الناصر واعضاء مجلس قيادة الثورة والوزراء.

ووصف ذلك الاستقبال الحاشد، بأنه فريد، لم يسبق أن حظى به اي زائر على اي مستوى في مصر. وكانت دلالته انذاك اظهار تقدير مصر، قيادة وشعبا لقيادته للحركة الوطنية في السودان ولوقوفه الثابت مع مصر ولمساندته للثورة الجديدة من دون تحفظ.

وجاء اسماعيل الازهري رئيس الوزراء وعلي عبد الرحمن وزير العدل، ويحيى الفضلي وزير الاستعلامات من الخرطوم للاطمئنان على صحة السيد علي الميرغني في الاسكندرية، قبل مواصلة رحلتهما الى المملكة المتحدة، حيث وجهت اليهم الدعوة من قبل الحكومة البريطانية.

وعقد اجتماع مشترك مع الجانب المصري، حضره عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، وزكريا محيي الدين والشيخ احمد حسن الباقوري، حيث جرت مناقشة حول تكييف العلاقات السودانية ـ المصرية، في ضوء المشروع الذي اجازه مجلس قيادة الثورة والذي نادى باقامة اتحاد بين مصر والسودان، ويكون لكل بلد برلمانه، ورئيسه، واقامة رئاسة دورية للاتحاد، ومجلس وزراء مشترك للبلدين، وايضا برلمان مشترك يقتصر دوره على مناقشة القضايا العامة، والخاصة بوادي النيل، وتنسيق السياسة الخارجية، والسياسة الدفاعية والامنية لوادي النيل، وجرت مناقشة مستفيضة لهذا المشروع من كافة زواياه، بما فيها ان يكون السيد علي الميرغني اول رئيس لجمهورية اتحاد مصر والسودان، ولكن السيد علي، اعتذر لان قبوله بالمبدأ في تلك المرحلة المبكرة يعني التأثير على الاوضاع بالسودان، وانه طبقا لاتفاقية الحكم الذاتي، فلابد من تقرير المصير (الاتحاد مع مصر او الاستقلال)، وبعدها يتم تكييف العلاقات السودانية ـ المصرية، واعاد الى الاذهان ـ مع الفارق الزمني والسياسي ـ ان الادارة البريطانية والادارة المصرية (الحكم الثنائي) طرحتا عليه عام ١٩٢٢ فكرة تنصيبه ملكا على السودان، وجاء رده (انذاك اي عام ٢٢) بالاعتذار لان مثل هذا المنصب لابد وان يكون للشعب كلمته، وايا كان



حسن عوض الله ويحيى الفضلي شخصيات سودانية تعاملت مع عبد الناصر

المنصب، فلا ينبغي ان تكون هنالك وصاية من اي طرف.

وقد ظل عبدالناصر طوال فترة اقامة السيد علي الميرغني بالاسكندرية، حيث امضى نحو اربعة اشهر، يداوم على زيارته بالمستشفى او القصر الذي خصص لاقامته.

وجه عبد الناصر الدعوة الى محمد عثمان الميرغني لزيارة مصر في شتاء ٥٤، حيث حضر الاحتفال الذي أقيم بميدان المنشية بالاسكندرية، وشهد اطلاق النار عليه في محاولة لاغتياله، واخطأته الرصاصات، واصابته شظايا الزجاج الذي تطاير واصيب الوزير السوداني ميرغني حمزة الذي كان جالساً الى جوار الميرغني.

وقال الميرغني انه شاهد على ما حدث تماما، ويتذكره كما لو حدث بالامس، وانها محاولة اغتيال، كان يمكن ان تودي بحياة عبد الناصر، لو ان الرصاص لم يخطئه.

وقال: ان عبد الناصر ظل رابط الجأش، متماسكا وشجاعا، وحاثا الجماهير على البقاء في

اماكنها، وان مصر بخير. فاذا مات عبدالناصر.. فكل شعب مصر عبد الناصر.

وعندما تأزم الموقف اثر رفض البنك الدولي لتمويل اقامة السد العالي، واعلان عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦، استقبل عبد الناصر، محمد عثمان الميرغني في ساعة مبكرة من الفجر بمقر مجلس قيادة الثورة بالجزيرة، حيث ابلغه انه تسلم انذارا من بريطانيا وفرنسا، ان الحرب لا محاولة واقعة، لان مصر قررت رفض الانذار البريطاني ـ الفرنسي.

وفي اليوم التالي اوفد اليه زكريا محيي الدين وزير الداخلية الذي نقل اليه احتياجات مصر، في ظروف الحرب واعبائها، وفي مقدمتها، توفير المؤن الغذائية، وتأمين ظهر مصر، ونقل الميرغني الرسالة الى الخرطوم، وظل على مدى اسبوعين متابعاً لتطورات الحرب في السويس، وناقلا للخرطوم المستجدات المتلاحقة.

وعاد الميرغني الى الخرطوم، بعدما هدأت الاحوال في مصر، وادين العدوان الثلاثي من العالم باسره وارغمت الدول المعتدية على الانسحاب.

وكان للسودان وقفته الايجابية في تلك الايام المشهودة، وجرى اقامة المستشفى السوداني في مدينة بورسعيد، حيث سارع السودانيون الى التبرع بالمال والذهب واخرون بالدم حيث اتجهوا مباشرة الى جبهة القتال.

وجاء عبد الناصر في اول زيارة رسمية له للسودان يوم ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠، ورغم ان بعض التقارير حذرته من احتمال خروج مظاهرات عدائية له بسبب توقيع اتفاقية مياه النيل واقامة السد العالي الذي ادى الى تهجير سكان منطقة حلفا (٥٠ الف نسمة) (شمال السودان) فانه استقبل بحفاوة شعبية ورسمية بالغة، وامتدت الزيارة نحو عشرة ايام، زار خلالها جميع مناطق السودان، وأقام له السيد علي الميرغني حفلا كبيرا بالسرايا بالخرطوم، كما اقام الصديق المهدي حفلا مماثلا في ام درمان، واسترعى انتباه عبد الناصر، ان المقرىء في حفل الميرغني، تلا بعض الايات من سورة طه ﴿قال رب اشرح لي صدري، ويسر لي امري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي، اشدد به أزري، واشركه في امري كي نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، انك كنت بنا بصيرا﴾ [صدق الله العظيم].

وان المقرىء الذي تلا ايات من الذكر الحكيم في حفل المهدي اختار سورة ﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [صدق الله العظيم].

كانت تلك الزيارة تعتبر اطول زيارة لعبد الناصر للسودان، واطول فترة امضاها خارج مصر منذ ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢.

ووقتها، تطايرت تساؤلات كثيرة، واستفهامات عديدة عن بواعث ومقاصد هذه الزيارة

الرسمية الطويلة، وجاءت الاجابة: ان زيارة عبد الناصر تتميز بالخصوصية، وانه من الصعب مقارنة زيارته للسودان بأي زيارة اخرى، كما انه ابدى حرصا على زيارة مناطق السودان، خاصة تلك التي لم تتح له الظروف مشاهدتها ابان تواجده في السودان من عام ١٩٤٠ الى عام ١٩٤٣.

ومن العجيب ان يظل السر وراء اطالة هذه الزيارة مكتوما، ومطويا طوال الثلاثين سنة (بالتحديد تسع وعشرين سنة) وحتى قراءة هذه السطور، اذ رأت الحكومة السودانية انذاك وجود نشاط معاد على الحدود الشرقية، بعلم وموافقة الحكومة الاثيوبية،د فاتخذت الحكومة قرارها الفوري بحظره وايقافه تماما، وضربته يوم وصول عبدالناصر، اي ان السودان، وقتها، حكومة وشعبا، كانا مشغولين تماما بضيف كبير وان صحفيي العالم جاءوا للخرطوم لتغطية زيارته، حيث شنت طائرات الجيش السوداني غارات متتالية على المعسكرات التي انطلقت منها الاعمال العدائية، واكملت مهمتها على النحو المطلوب، حيث جرى تصفية المعسكرات تماما على الحدود الشرقية وداخلها.

ووقتها، لم يعلق اي مسؤول اثيوبي على ما جرى على الحدود الشرقية (اثيوبيا) وداخلها، ولزم الامبراطور هيلاسلاسي الصمت التام، ولم يقدم استنكارا او احتجاجا او ايضاحا!

ولعلنا نذكر ان عبد الناصر عندما استقبل الوفد السوداني برئاسة سر الختم الخليفة رئيس الوزراء ووزير الدفاع في منزله بمنشية البكري في نهاية كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٤، انه استفسر عن الوضع على الحدود الشرقية، وعما اذا كان الامبراطور قد ساند اي نشاط او عمل عدائي على الحدود الشرقية.

وكان عبد الناصر ـ على حد تعبير ـ رئيس وزراء حكومة ثورة تشرين الثاني (اكتوبر)، شديد الاهتماما بالحدود الشرقية، وشديد الاهتمام ايضا بمعرفة نيات حكومة اديس ابابا، ووقتها، ابدى مخاوفه، ووجوب الحيطة والحذر، من دون انقطاع.

حرص عبد الناصر على اضفاء اهتمام شخصي ورسمي بكل رسائل السيد علي الميرغني، فعندما وقعت ازمة حلايب في شباط (فبراير) ١٩٥٨، وطلب الميرغني من عبدالناصر سحب لجان الاستفتاء على الجمهورية العربية المتحدة من منطقة حلايب. سارع عبد الناصر الى الموافقة، وعندما التمس بعض المسؤولين في نظام حكم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) منه التحدث الى الميرغني حول نشاط بعض القيادات السياسية، جاء رده انه لا يملك القيام بهذا الدور، لأن السيد علي الميرغني في مكانة الاب والوالد، لانه ادرى بالامر واعرف به.

وكان اذا جاء الى القاهرة بعث زكريا محيي الدين ليكون في استقباله عند مقعد الطائرة، واحاطته بكل الاحترام الواجب، ويبادر يوم وصوله الى زيارته للتحية والاطمئنان على صحته.

وفي لقاء تم بالاسكندرية، وجه له دعوة غداء بمقره في المعمورة، واثناء حوارهما تناولا ما حدث في اليمن حيث قامت الثورة بقيادة السلال، وعبر عبدالناصر عن فرحته بما حدث، باعتبار أن الثورة تمثل مدخلا لتطوير الحياة في اليمن، وجاء تعليق السيد علي الميرغني «ان ثورة اليمن خطوة طيبة، وان اهل اليمن ادرى بشعابها، وينبغي ان يتركوا وشأنهم ليحققوا بانفسهم التطور المطلوب لحياتهم ولبلدهم».

واضاف الميرغني: ان الدولة العثمانية امضت نحو ثمانين سنة ولم تستطع ان تتجاوز الساحل، وظل بعض اهل اليمن يعتقدون أن حدود العالم تنتهي عند حدود الجبال التي تحيط بهم. ولحظتها، لم يدر في خلد عبد الناصر، انه سيأتي الوقت، وتجد قوات من جيش مصر نفسها في معارك مع قبائل في جبال اليمن.

وفي اعقاب ثورة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤، وعودة الديموقراطية، كان عبد الناصر حريصاً على توحيد الاتجاه الاتحادي في حزب واحد، اي تجميع جناحي الوطني الاتحادي (الشعب الديموقرطي برئاسة علي عبد الرحمن والوطني الاتحادي برئاسة اسماعيل الازهري في حزب واحد).

وكان يرى ان الحركة الاتحادية ذات جذور تاريخية في السودان وان لها دورها المؤثر في الحركة الوطنية، وان ما بين قياداتها من صلات شخصية وعامة اكبر من اي خلاف، وانها مطالبة بتوحيد جهدها، واستضاف الميرغني والازهري حيث جرى تناول هذا الامر، وظلت الجهود متصلة من ١٩٦٥ حتى تكللت بالنجاح اي توحيد جناحي الحزب في الاتحادي الديموقراطي في عام ١٩٦٧، وعندما جرت الانتخابات العامة في سنة ١٩٦٨، احرز الاغلبية في الجمعية التأسيسية (١٠١ مقعد.)، واصبح الازهري رئيسا لمجلس السيادة وعلي عبد الرحمن نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية وتسعة وزراء في الحكومة الائتلافية، اما منصب رئيس الوزراء فقد تقلده محمد احمد محجوب (حزب الامة) وكان مقبولا لدى الاتحاديين، وقبل ستة اشهر من موعد اجراء انتخابات رئاسة الجمهورية وقع انقلاب ٢٥ أيار (مايو) ١٩٦٩.

كانت هنالك ملاحظة دقيقة، توقف عندها الكثير من المراقبين، وهي انه عندما توحد جناحا الحزب الوطني الاتحادي في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨، وكانوا على وشك الاقتراع بصوت الثقة في حكومة عبدالله خليل (حزب الامة)، وقع انقلاب ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر)، وقيل وقتها ان رئيس الوزراء انذاك فضل تسليم السلطة، للجيش على تسليمها للاتحاديين في ظل النظام الديموقراطي.

وعندما التقى جناحا الاتجاه الاتحادي في عام ١٩٦٧، واحرزوا الاغلبية في الجمعية

التأسيسية، وقع انقلاب ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، وكان رئيس الوزراء محمد احمد محجوب (حزب امة).

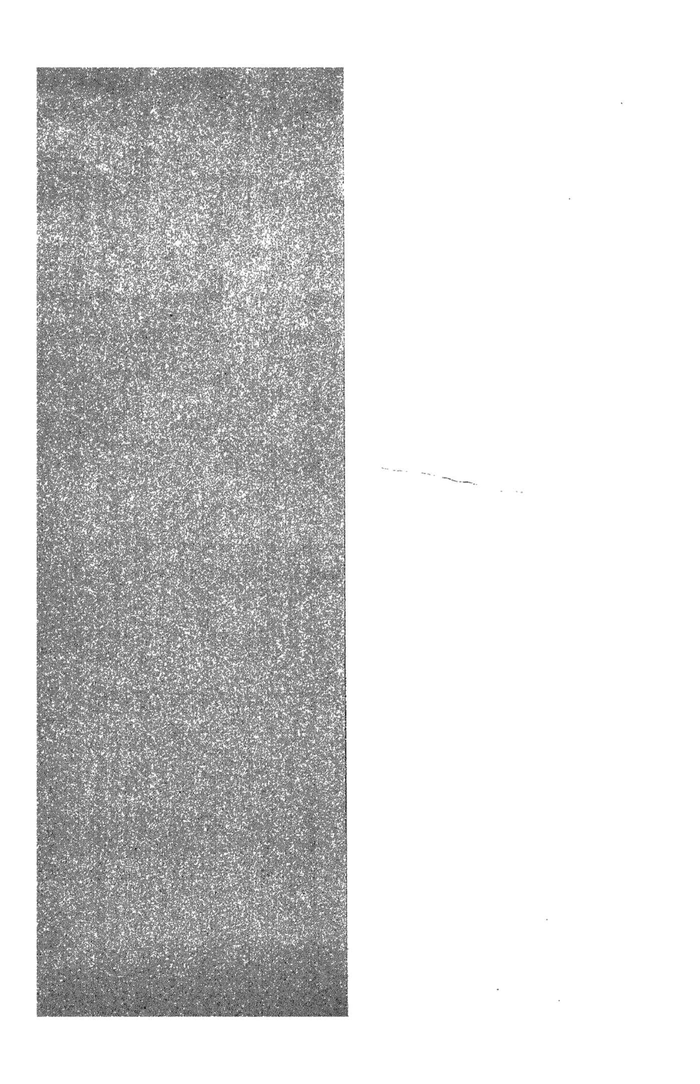
وقيل وقتها، وفيما بعد، ان المحجوب ـ رغم حبه وعشقه للديموقراطية ـ فأنه لم يتخذ قرارا ما نحو التقارير التي تلقاها بصفته رئيسا للحكومة، ووزيراً للدفاع عن وجود تحرك عسكري للاطاحة بالنظام الديموقراطي مما سهل وقوع انقلاب ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩، وقد كان هنالك اثنان من اقارب المحجوب في مجلس قيادة الثورة، هما الرائد ابو القاسم محمد ابراهيم، والرائد ابو القاسم هاشم، وانه لهذا السبب عومل معاملة افضل من المعاملة التي لقيها اسماعيل الازهري حيث نقل الى سجن كوبر ومات في مستشفى الخرطوم بعد ثلاثة أشهر من اعتقاله بينما ظل مقيما في منزله تحت الحراسة وبعدها سمح له بالسفر الى بريطانيا. وقيل ان احد دواعي التغاضي عن تلك التقارير، ان المحجوب ادرك أن مرحلة دوره كرئيس للوزراء قد انتهت، ولذلك لم يكترث، وفعل ما فعله زميله عبدالله خليل في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨.

الفهـرس

رقم الإيداع ٨٤٠٨ لسنة ١٩٩١



ت : ٩٣٢٧٠٦



الكاتب في سطور



* ألتحق مبكرا بالعمل الصحفي في دار الايام ثم في دار الرأي العام وشغل منصب نائب رئيس تحرير صحيفة الرأي العام اليومية ورئيسا لتحرير الرأي العام الاسبوعية، ثم مديراً لتحرير الصحافة اليومية، ونائبا لرئيس هيئة تحرير دار الصحافة.

* ظل مديرا لوكالة الانباء الفرنسية بالخرطوم لاكثر من عشر سنوات وغطى لها معظم الاحداث المهمة آنذاك بما فيها مؤتمر القمة العربي الذي انعقد بالخرطوم في آب (اغسطس) ١٩٦٧، وكان اول من نقل قراراته للعالم قبل اعلانها بعشر ساعات.

* عمل كاتبا متعاونا مع صحيفة الشرق الاوسط الدولية، ومجلة «التضامن» اللندنية، وايضا مع صحيفة السياسة السودانية اليومية والاضواء الاسبوعية.

* اسس ادارة العلاقات العامة والادارة الثقافية في هيئة قاعة الصداقة التي اقيمت كمركز للمؤتمرات الاقليمية والدولية، ووضع برنامج تدريب للعاملين في اقسامها في فرنسا وبلجيكا.

* اشرف عام ١٩٧٨ على المركز الصحفي أبان انعقاد مؤتمر قمة منظمة الوحدة الافريقية في الخرطوم.

* متزوج وله اربعة اطفال.

* من مؤلفاته:

- شخصيات صحفية عرفتها
- وقائع اطول يوم في تاريخ السودان الحديث
- وقائع وخفايا الانتفاضة الشعبية
- الصاغ صلاح سالم والسودان
- السلام الممكن والمستحيل
- كيف مات الازهري..؟

* تحت طبع:

- الدبلوماسية السودانية الجزء الاول ثم الجزء الثاني
- اوراق سياسية سودانية من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨ الى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٤
- قصة اختفاء اشهر واجمل مدينة سودانية
- صناعة الحكومات في السودان.